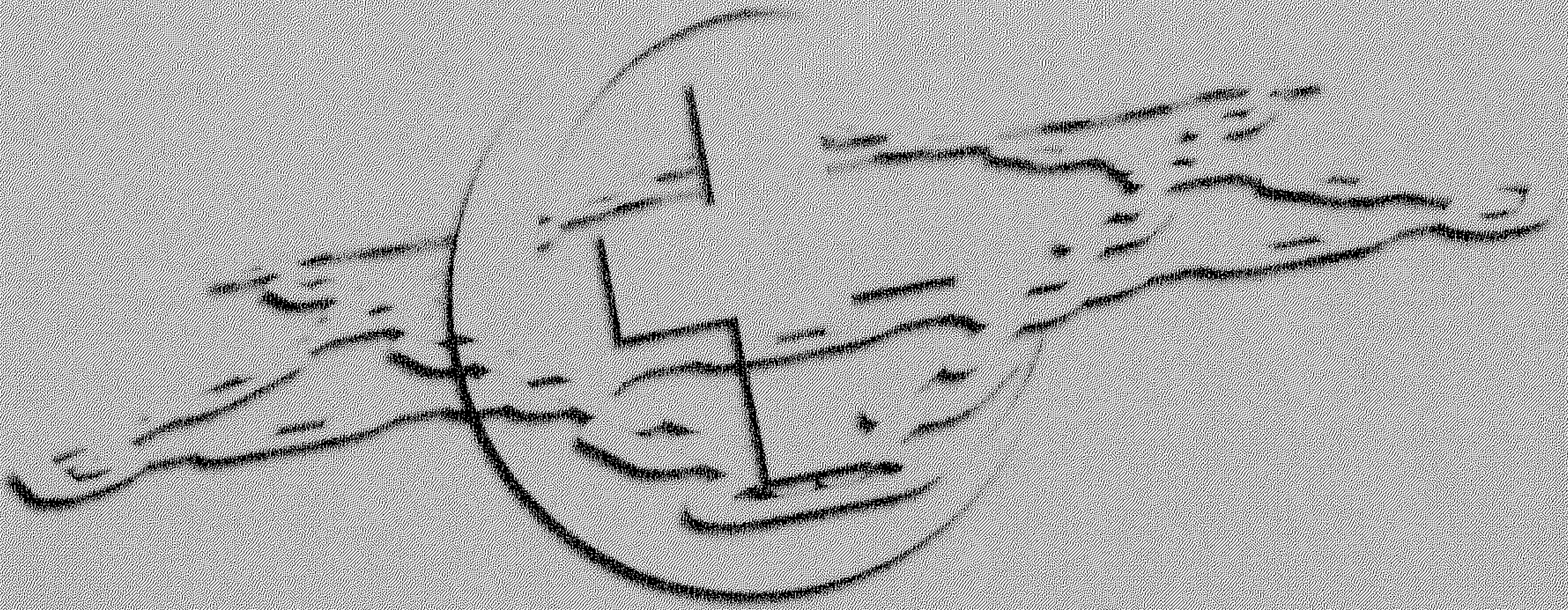
د./ أحمس حسن صبحي

المسلمون والمسيحيون تحت الحصار اليهودي



ظهور الاسلام واليهود
التسلل اليهودي إلى المسيحية
الخروج اليهودي من الجزيرة العربية
التسلل اليهودي إلى الاسلام
اليهود والدولة العثمانية
اليهود والسيطرة على أوروبا
اليهود والعالم الجديد
اليهود ووعد الآخرة

مكتبة مدبولي

المسلمون والمسيحيون تحت الحصار اليهودى

- ظهور الإسلام واليهود
- التسلل اليهودى إلى المسيحية
- الخروج اليهودى من الجزيرة العربية
- التسلل اليهودى إلى الإسلام
- اليهود والدولة العثمانية
- اليهود والسيطرة على أوربا
- اليهود والعالم الجديد
- اليهود ووعد الآخرة

مكتبة مدبولى

العنوان : ٦ ميدان طلعت حرب – القاهرة
تليفون : ٥٧٥٦٤٢١ ـ **فاكس :** ٥٧٥٢٨٥٤
الكتاب : المسلمون والمسيحيون تحت الحصار اليهودى
الكاتب : د. أحمس حسن صبحى
رقم الإيداع : ١٤٧٠٠ / ٢٠٠١
الترقيم الدولى : 6 - 356 - 208 - 977

الطبعة الأولى : ٢٠٠٢
غلاف الفنان : أحمد صفوت

عربية للطباعة والنشر

العنوان : ٧& ١٠ شارع السلام ـ أرض اللواء ـ المهندسين
تليفون : ٣٢٥٦٠٩٨ ـ ٣٢٥١٠٤٣ ـ فاكس : ٣٢٩١٤٩٧

المسلمون والمسيحيون تحت الحصار اليهودى

- ظهور الإسلام واليهود
- التسلل اليهودى إلى المسيحية
- الخروج اليهودى من الجزيرة العربية
- التسلل اليهودى إلى الإسلام
- اليهود والدولة العثمانية
- اليهود والسيطرة على أوربا
- اليهود والعالم الجديد
- اليهود ووعد الآخرة

تأليف
د. أحمس حسن صبحى

مكتبة مدبولى
٢٠٠٢


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى أرواح الشهداء المسلمين فى كل زمان ...

يقول الله عز وجل :

﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ۞ فَاذْكُرُونِى أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِى وَلاَ تَكْفُرُونِى ۞ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ۞ وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لاَ تَشْعُرُونَ ۞ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنْ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرْ الصَّابِرِينَ ۞ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۞ أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُهْتَدُونَ ﴾ صدق الله العظيم [سورة البقرة : ١٥١ / ١٥٧]

فإنا لله وإنا إليه راجعون .

المؤلف

د. أحمس حسن صبحى

شكر واجب

أحببت التاريخ بنشأتي كأحد أولاد مؤرخ مصرى من الرعيل الأول للتاريخ الفرعونى – رحم الله أبى رحمة واسعة – لكننى لم أدرسه حرفة ومسارًا ، بل كان هواية محببة إلى نفسى ، فأنا أؤمن بأن التاريخ هو معلم الشعوب بلا شك ، أو لعل حبى لأبى – رحمه الله – حببنى فى التاريخ الذى أشربنى إياه منذ صغرى .

عندما وضعت هذا الكتاب ، مزيجًا من الدين والسياسة فى قالب تاريخى ، رأيت أن خير من يصحح أخطائى التاريخية ، أستاذ مثقف فى علم التاريخ يضرب فى بحره كملاح ماهر . قارئ متمكن فى كل العلوم ، دينًا وسياسة ومن قبلهما التاريخ . قدمت كتابى لأستاذى الدكتور على حسن رئيس هيئة الآثار الأسبق واحد علماء التاريخ الفرعونى والمصرى ، راجيًا أن يقرأ ما سطرته وأن يصحح لى أخطائى التاريخية ، رغم علمى بانشغاله فى محاضراته وقراءاته وسفره إلى الخارج للمحاضرة فى كل جامعات العالم . لم يبخل علىّ بملاحظاته وتوجيهاته التى قمت بتصحيح ما أشار به فى بعض الأحداث التاريخية التى جاءت خلال السرد ، ناقدًا لرأى ومقرّظًا لآخر .

إن العالم – والدكتور على حسن أحدهم – لا يبخل بعلمه على الناس ، وإن متلقّى العلم لابد وأن يشكر أستاذه على فضله وكرمه ومعرفته ونصحه . إلى أستاذى الدكتور على حسن ، أتقدم بشكرى وامتنانى واعتزازى بأنه خط بقلمه على مسودة كتابى فصحّح أخطاء وقعت فيها كهاو للتاريخ فجعلنى كمن أبدو مؤرخًا .

له الشكر والعرفان والامتنان سائلاً له المولى بأن يجزيه عن مصر وأبنائها خير الجزاء .

د. أحمس حسن صبحى

تقـــديم

بقلم المؤرخ الدكتور / علي حسن

الـــتاريخ هـــو وعاء الخبرة البشرية ، هو العلم الخاص بالجهود البشرية ، هو المحاولـــة الـــتى تستهدف الإجابة على الأسئلة التى تتعلق بجهود البشرية فى الماضى ونستشـــف مـــنها جهـــود المستقبل ، هو العلم الذى يكشف عن طبيعة الأشياء ثم تصـــنيفها وتبويبها - وإصدار الإحكام عليها ولابد للتاريخ من وثائق . يقولون أن مـــن أحب نفسه عزت عليه نفسه فأكرمها ، ومن عزت عليه نفسه فأكرمها ، عـــز لديه قومه فأكرمهم ، ومن عز لديه قومه فأكرمهم تقدم إليهم بمقالة من صدق أو بصـــالحة من عمل ، ثم مضى بهم مؤمن فى طريق الحق وعلى الله قصد السبيل ، ذلك ما يأمر به الدين الصحيح ويؤمن به العقل الصحيح ، وهذا ما يقدمه الكتاب الـــذى بـــين أيديـــنا ، فهو إضافة حقيقية عن موضوع شائك تعددت فيه الآراء واختـــلفت لأنـــه يتناول موضوعًا عن اليهود والمسلمين أو بنى إسرائيل والمسلمين فى بلاد الشرق بصفة خاصة .

المصريون القدماء طردوا الإسرائيليين من مصر حوالى ١٢٠٠ ق.م . وطهروا وطنهم من عبث بنى إسرائيل ، والمصريون القدماء لم يظلموا بنى إسرائيل ولم يتجنوا عليهم ، إنما لا حظوا فى مسلكهم لؤم الطبع وسوء الخلق والانحراف عن المروءة ، والـــبعد عـــن النبل بعد أن سمحوا لهم أن يصيبوا من رزق أرضهم ويرعوا أغنامهم وأنعـــامهم وماشيتهم ، ولكنهم لم يراعوا حرمة الضيافة فطردوهم من هذا الوادى الخصيب .

والمصـــريون القدماء لم ينفردوا بين أمم الدنيا بفعلتهم هذه ، وإنما كان شانهم كشأن كثير من الأمم .

نحـــن نعلم أن اليهود قد نزلوا بأرض الروم فعاثوا فيها الفساد فصب عليهم الـــروم ســـوط عذاب - واليهود قد حاوروا " رسول الله محمد " فى المدينة المنورة فآذوه وطعنوا فى دينه وهم يعلمون حقيقة هذا الدين العظيم ، فلما اكتشف أمرهم

وكيدهم اضطر ذلك النبى الكريم أن يأخذهم بالصارم العنيف ، واليهود نزلوا أرض اسبانيا فلما ظهر لأهلها كيدهم نكلوا بهم وشردوهم ، واليهود نزلوا أرض ألمانيا فخانوا عهدها وأكلوا خيراتها وفضحوا عرضها وسيطروا على كنوزها فلما بعث الله عليهم " هتلر" أخذ بخناقهم فعذبهم ثم شتتهم فى أقطار الأرض وظلوا يهيمون على وجوهم حتى إذا ضاقت الأرض عليهم بما رحبت فكروا فى أرض الميعاد فتسللوا إليها يبغون فيها الفساد ووجدوا فيها عربا أدركهم الاستعمار فأذلهم فى دينهم ودنياهم وبدّد أرزاقهم وشتت شملهم وضيع آمالهم حتى كاد يخرجهم من الحياة ، وانتهز اليهود الفرصة فاستغلوا محنة العرب وأخذوا يمتصون دماءهم حتى إذا ما استوثقوا من ضعفهم مالوا عليهم ميلة واحدة ووجدوا من ذئاب السوء من يعينهم على التهام تلك اللقمة السائغة ، وكان من وراء ذلك أن اضطرب الشرق العربى كله اضطرابا قويا دوى صوته فملأ أسماع الدنيا جميعا ، والله وحدة يعلم كيف يكون المصير.

هؤلاء اليهود الذين وفدوا إلى فلسطين من ثلاثين دولة ويتحدثون سبعين لغة (٧٠) وبعضهم عدو لبعض نظرا للخلافات الكثيرة التى تسود عادة مثل هذا الخليط من المجتمعات ، ومن الأقوال المأثورة التى يذكرها مؤرخوا إسرائيل المعاصرة عبارة الجندى الإسرائيلى المسمى " روفائيل " إذ يقول : لولا اشتباكنا مع العرب فى حرب لاشتبك اليهود مع اليهود . وتلك فضائل بنى إسرائيل شعب الله المختار أولئك هم صفوة البشر كم يدعون .

هذا الكتاب له منهج بحث وبه كم هائل من المعلومات قد يستفيد منها رجل التاريخ ، ورجل الحرب ، وصاحب السياسة ورجل الدين ورجل الأدب قد يستفيد منها الإنسان عامة فى الإحاطة بمسلك اليهود خلال مراحل مختلفة من التاريخ والمرتبطة بعلاقتهم مع المسلمين ، والكتاب يوضح أن حسن النية شيىء وحسن التقدير شيئ آخر والمرء قد تحسن نيته ويصح عزمه ولكنه قد يخطىء التقدير كثيرا فيما يطلب من أمور الحياة .

د. على حسن

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم الأنبياء سيدنا محمد ﷺ .

عندما انتهيت من كتابى (اليهود أعداء محمد ﷺ) ، أدركت أن اليهود الذين خرجوا من الجزيرة العربية مطرودين ، بيّتوا النية على الانتقام من المسلمين بكل الوسائل وبشتّى الطرق .

منذ أن خرج اليهود من الجزيرة العربية ، بعد أن شعّ عليها نور الإسلام ، وتفرّقوا فى الأراضى شتاتًا ، كان الحقد على المسلمين هو الدم الذى يسرى فى عروقهم ، فتسللّوا عبر الإمبراطورية المسيحية الشرقية - الإمبراطورية البيزنطية - إلى دول أوروبا فى جماعات صغيرة ، يعملون فى التجارة والربا ، ونزح قسم آخر عبر سهول الأناضول إلى وسط آسيا حيث عاشوا بين قبائل الخزر الوثنية . استطاع أولئك اليهود غواية ملك الخزر ، فأعلن تحوله إلى اليهودية ، وأجبر شعبه وقبائله الخزرية على اعتناق تلك الديانة . لم يكن الخزر من الجنس السامى ولا من العبرانيين ، ولكنهم شعب قوقازى لا يعرف العبرية .

تمكن اليهود المطرودين من بلاد الإسلام أن يُنشئوا دولة يهودية جديدة ، بما للخزر البرابرة من رجال وعتاد وقوة ، جبُلوا على السلب والنهب والاغتصاب . لكن قدر تلك الدولة اليهودية أنها قامت وفى جنوبها الأمة الإسلامية ، وفى غربها الأمة المسيحية البيزنطية ، وكلتاهما قوّة يحسب لها حساب شديد ، فانتظرت الدولة الخزرية اليهودية سنينا عدة ، تتجنّب الاقتتال المباشر مع تلكما القوتين ، فاتجهت اليهودية الخزرية إلى شرق أوروبا ، تغزو وتهوّد وتقيم المستوطنات فى الأراضى المجرية والبولندية والروسية والألمانية ، وتتحين الفرص لضرب المسيحية والإسلام بشتى الطرق والوسائل .

★★★

لم تتحمل المسيحية الأوروبية ، استمرار وجود اليهود على أراضيها ، بما جمعوه من مال الربا والتجارة فى أوقات قليلة ، فبدأت حملة فى مصادرة أموالهم وطردهم وإعدامهم . كانت

أمّــة الخــزر اليهودية وما فتحته من أراضى ، هى الملجأ الآمن لليهود الفارين من الاضطهاد المسيحى .

مــع التخوّف من الصدام المباشر مع المسيحية والإسلام فى ذلك الوقت ، لجأ اليهود إلى بــث عيونهــم وسط هذين الدينين ، فأظهر بعض اليهود إسلامهم وآخرون مسيحيّتهم بهدف يهــودى عالق بذهنهم ، ألا وهو تخريب الدينين بشكل أو بآخر عن طريق بث العقائد المزيّفة والتشكيك فى مصداقية المسيحية والإسلام . تلك هى خصائصهم منذ أن خرجوا من مصر ، فــتركوا دين التوحيد وعبدوا العجل . إنهم يدركون أن كثيرًا من بنى الإنسان تسهل غوايته بالمال والشهوات ، يسير وراء من يدعوه للمعصية . تولّوا عن شياطين الجن مهمتهم ، فكالوا لهم بئس معين ، وأعانهم الشيطان على أمرهم فأصبح فكرهم شيطانيًا ، ولبئس ما يفعلون .

★★★

كــان الفكــر الشيطانى اليهودى يعمل بلا هوادة لضرب القوتين المؤمنتين معًا . فلقد طــردهم المســيحيون من كل دار وقتلوهم وصادروا أموالهم . وطردهم المسلمون من أرض الحجاز وصادروا أموالهم . دبّر اليهود أمرًا ، فأوقدوا نار الحقد بين المسيحيين والمسلمين فبدأت الحــروب الصــليبية ، وخســر الطرفان فيها مالاً ، يزيد عن مجموع الأموال التى صودرت مــن اليهــود ، وأوغــلت صدور الفئتين كل منهما ضد الأخرى . إنها سلسلة من الأحداث لازالت تعيش بين الطائفتين حتى يومنا هذا ، يغذّى اليهود نار حقدها كلما خبت نارها ، لتظل مشتعلة ، فيطفىء الله بعزّته النار كلما ارتفع لهيبها .

والغريب فى الأمر ، أن المسيحية والإسلام ، دينان يشتركان فى أن السلام هو المبدأ الذى يتمحّور حوله الدينان . السلام من الله ، ومع النفس ومع البشر جميعًا . استطاع شياطين الإنس مــن اليهــود ، أن يحيــلوا السلام إلى بحار من الدم . لعلهم استبدلوا دم القرابين التى كانوا ينحرونها قربانًا تقربًا إلى الله على ما يعتقدون ، بدماء المسلمين والمسيحيين معًا ، يقدمونها قربانًا لشــيطانهم . إن الله بعــزته وقد كرّم البشر أحسن تكريم ، لا يرضى بسفك الدم البشرى ، فحكم على اليهود بأن من يقتل نفسًا بغير نفس ، كأنما قتل الناس جميعًا .

★★★

اســتطاع اليهود استخدام المسيحيين ، بعد خمود نار الحروب الصليبية فى حصار الــمّد الإسلامى الذى اجتاح العالم ، والذى تغلغل فى قارات الدنيا ، فبات الأمر وكأنه صراع واضح

صــريح بين المسيحية والإسلام . كان اليهود هم عماد تجارة الرقيق الذين لا يظهرون أبدًا فى الصورة . هم الذين يبرمون الصفقات ويربحون منها الثروات الهائلة ، ثم يُلصقون تهمة النخاسة بغيرهم ، وتحديدًا بالعرب المسلمين .

بدأت مرحلة التهام المستعمرات فى أفريقيا وآسيا من الأوروبيين المسيحيين وكان ليهود البرتغال وأسبانيا دورًا هامًا لا ينسى ، بهدف التجارة وجنى الثروات كهدف دنيوى مسيحى ، وحصار الإسلام فى هاتين القارتين ، بما فيها من ثروات طبيعية وبشرية كهدف دينى يهودى . كــان الهدفان كافيان تمامًا للشعوب الأوروبية ، للوثوب على الأراضى والاقتتال للفوز بأكبر قدر ممكن من أراضى القارتين .

سبق تلك الفترة ، تغلغل اليهود فى السلطة الحاكمة بالدولة العثمانية والدول الأوروبية فــتولّى مــنهم رؤساء للوزارات فى إنجلترا وبصفة خاصة دزرائيلى ، وهى التى كان لها الباع الأكبر فى تصريف شئون العالم ، والسيطرة على بحار الدنيا بأسطولها الكبير القوى . كذلك فى هولــندا وفرنسا ، والتى استوطنها الكثير من اليهود ، راحلين إليها من بولندة وروسيا وألمانيا منذ أزمان بعيدة . كان اليهود فى تلك البلاد يتحكمون فى التجارة والمال ، وتعلموا من تجاربهم الســابقة فى أوروبــا فعاشوا مثل أهلها ، متخلّين عن حياة « الجيتو » أوحىّ اليهود . دخلوا أروقــة السياسة فيها ، يشايعون كل أطراف السلطة بكل دولة ، فإن فاز أحدها ، كان هناك اليهود للتأثير فيها .

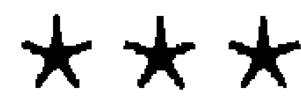
استطاع اليهود السيطرة على التوجه الأوروبى المسيحى ضد الإسلام . وعن طريق دينى يُرضــى غرور كل مسيحى ، استطاع اليهود بخبث شيطانى أن يزرعوا فى قلوب المسيحيين ، أن اليهــود هم شعب الله المختار ، فبذروا بذرة الصهيونية التى آمن بها الكثير من المسيحيين فــأيدوا اليهــود وأمدوهـــم بالمال والسلاح والتأييد المعنوى فى حربهم ضد المسلمين ، الذين يطلقون عليهم اسم العرب .

★★★

كــان اليهود من أوائل المهاجرين إلى العالم الجديد . أمريكا حلم كل مغامر باحث عن الــثروة . هجــم اليهــود بشراســة على أمريكا وتجمّعوا فى بعض المدن واستولوا على المال والــثروات حــتى استطاعوا أن يجعلوا من تلك القارة بئر المدد لكل ما يطلبه اليهود . حوّلوا المسيحيين فيها إلى متعصبّين ضد الإسلام بدعوى قرب قيام الساعة ونزول المسيح ، بعد وقوع

معـــركة حربية نووية تعرف بمعكرة « هرمجدّون » . آمن نحو أربعين مليون مسيحى ، تضمهم الكـــنائس الإنجيلية بتلك الافتراءات اليهودية التى تفترض أن عودة المسيح – وهو غير عيسى ابن مريم عليه السلام – مقرونة بوقوع تلك المعركة النووية التى يفنى فيها العالم عدا فئة قليلة مـــن اليهـــود المخلصين الذين يرفعهم المسيح معه إلى السماء حتى تنتهى الحرب فيعودون إلى الأرض ويعتـــنق اليهود المسيحية الحقيقية ، تلك الأسطورة اليهودية التى تتمحور حولها العقيد اليهودية .

العـــبث بالدين والمُثل ، ليس بالشيء الجديد على اليهود . فلقد جبُلوا عليه منذ القدم ألم يسألوا موسى عليه السلام ، أن يذهب ويقاتل هو والله عز وجل ؟ أبعد هذا نستكثر على شيطانيّتهم الإنسيّة أن يدّعوا الغيب ، فيروّجون لفكرة معرفة موعد قيام الساعة . تمكن اليهود مـــن اســـتغلال الســـطحية الثقافية الأمريكية بالسيطرة الإعلامية اليهودية الطاغية وإغراقهم فى المـــادة ، ليـــزرعوا فيهـــم ما يشاءون من أفكار تخدم أغراضهم الرامية إلى ضرب الإسلام بالمســـيحية ، بينما يأخذ اليهود مقاعد المتفرجين المستمتعين بتلك الدراما الإنسانية ، ينتظرون هلاك الجميع سواهم ، خيالاً وأمانىّ .



لقـــد اقتضى الإعداد لهذا الكتاب سنوات . كان علىّ أن أغوص فى علوم لم أتعمق فيها من قبل ، والرجوع إلى كتب من التراث وأخرى للمحدثين من الكتّاب ، مسلمين ومسيحيين ويهـــود . أغـــوص بين السطور لألتقط عبارة أو أخرى أو حادثة ، على مدى ذلك التاريخ الطويـــل ، تؤكـــد ما توصلت إليه من فكرة أعرضها ، تتفق بالقطع مع قول الله عزّ وجلّ فى سورة المائدة : ٨٢ ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْـــرَبَهُمْ مَـــوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ « صدق الله العظيم » .

لم يكن الأمر بالسهولة التى تصورتها ، فلقد رجعت إلى كتب التاريخ – معلم الإنسانية – وتوقفـــت كثيرًا أمام الأسماء وتوقيت الأحداث ، وقررت أن لا أثقل على القارىء بالتفاصيل الكثيرة ، بل أسوق إليه العرض والنتائج وحسب ، ذاكرا توقيت الأحداث المرتبطة بالموضوع، مشيرًا فى كل موضوع بالمرجع الذى يستطيع القارىء أن يرجع إليه إن أراد ، لمعرفة التفاصيل.

أدركت بعد فترة من الغوص فى كتب التاريخ ، وخاصة بعد إصرارى على تتّبع المراجع التى حصلت منها على النذر القليل من المعلومات الخاصة بالأمر محل البحث ، أن كلّ الكتّاب الأجانب من اليهود الإنجليز أو الفرنسيين أو الأمريكيين أو الروس يتعاملون مع ذكر اليهودية أو اليهود بحذر شديد ، لكن الله بعزته جعلنى أضع يدى على النقاط وسط صفحات طويلة ، لأدرك دور اليهود فى الأحداث تفصيلاً .

أدركـــت أنـــنى وضعت يدى اليمنى فى عش للزنابير ، ويدى اليسرى وجدهّا فى وكر لـــلعقارب . تلســـعنى يُمناى وأنا أقرأ وأحس بأن سُمّ العقارب سوف يقتلنى إذا ما قرأ الناس ما أكتبه .

شجعنى إيمانى ، أن أمضى متوكلاً على ربىّ فى إنهاء ما بدأته تاركًا الأمر كله لله عزّ وجل يفعل بعباده ما يشاء . لكنى أقول ما قاله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم :

- اللهّم قد بلّغت ، اللهم فاشهد .

الحمـــد لله عـــزّ وجلّ الذى أعاننى على هذا الجهد المتواضع . له الحمد والمنّة ، سبحانه وتعالى .

المؤلف

د. أحمس حسن صبحى

الفصل الأول

ظهور الإسلام واليهود

تلّقى إبراهيم عليه السلام ، أمر ربّه عزّ و جلّ بالهجرة إلى مصر ، التى كان يحكمها ملك جبار يخافه الجميع لبطشه و جبروته ، لكن الرسول أبو الأنبياء أطاع خالقه وهاجرإليها .حفظ الله إبراهـــيم رسوله و خليله ، من كل شرّ ، متمثلا فى الخوف على نفسه من إيمانه و دعوته الـــتى أمره الله أن ينشرها فى مصر لنبذ الوثنية ثم الإيمان بالله الواحد ، وكذلك من خوفه على زوجـــته السـيدة سارة رضى الله عنها من أذى الملك الجبار. هكذا ذكرت قصص الأنبياء ، أما الآثار المصرية فقد ظلت صامته تماما عن ذكر شيء من تلك الحقبة من التاريخ .

عاش إبراهيم الخليل عليه السلام فى ربوع مصر سنينا يدعو إلى توحيد الله و نبذ عبادة الأصـــنام بين القوم الذين عاش معهم من البدو ، حتى جاءه أمر الله بالعودة إلى أرض فلسطين ليدعو الناس هناك إلى الإيمان .

وجاءت إرادة الله عزّ و جلّ، أن تكون نشأة يوسف الصدّيق عليه السلام أيضا فى مصر. كان إيمانه و صبره على الأذى و اتباعه ملّة أجداده إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام جميعـــا ، هى الطريق إلى تبوّئه منصب الآمر على خزائن مصر ، واستطاعته أن يعيد إلى أذهان الناس فى مصر معنى الإيمان بالله الواحد القهّار . استطاع يوسف عليه السلام بنبوته أن يُرسخ فى أذهان الناس و قلوب أبناء مصر نعمة التوحيد .

وظهر رسول الله موسى عليه السلام فى أرض مصر ، رسولا لأهلها من المؤمنين ، الذين ظـــلّوا ســـرا عـــلى دعوة إبراهيم و يوسف عليهما السلام ، يكتمون إيمانهم خوفا من بطش الفـــرعون الذى نصّب نفسه إلها على المصريين ، مؤمنين و كفرة على حد سواء(١) . اختار الله موســـى عليه السلام ليكون رسول أول دين سماوى إلى الناس فى الأرض ، و أختار الله بعزته سبحانه و تعالى أرض مصر ، وما فيها من المؤمنين ليكونوا أول من يتلقى هذا الدين السماوى الذى جاء به إبراهيم الخليل عليه السلام . يعْلم الله بعزته و بقدرته ، أن فى مصر قلوبًا على

استعداد فطرى لتلقي الإيمان، وخبرهم المولى بقدرته ، عندما بعث بإبراهيم ثم بيوسف عليهما السلام إلى أرض مصر للدعوة التوحيدية، فآمنت قلوب الكثيرين منهم بالله وحده لاشريك له، من قبل أن يُبعث موسى عليه السلام بشريعة اليهودية . لم يكن إبراهيم عليه السلام من اليهود أبدا ، بل كان مسلما حنيفا مؤمنا بالله العزيز الحميد .

الأدلة كثيرة على أن المؤمنين برسالة موسى عليه السلام ليسوا كلّهم من سلالة يعقوب عليه السلام و حسب . هناك المؤمن من آل فرعون الذى منع الفرعون من قتل موسى عليه السلام ، وهناك السيدة آسيه زوجة الفرعون رضى الله عنها ، الذى بنى لها الله قصرا فى الجنه، وهناك السحرة المصريون الذين آمنوا بدعوة الإيمان. و ضُرب لنا مثل بكُفر قارون بن يصهب، العبرانى الغنىّ، ابن عم موسى عليه السلام ، الذى كفر بربّ العالمين و اتبع فرعون بكُفره . وهناك أيضا هارون السامرى الذى صهر الذهب وصاغ عجلا ليعبده الخارجون من مصر هروبا مع رسول الله موسى عليه السلام . وعلى الرغم من عدم العثور على أية أدلة تاريخية على تلك الحقائق ، فإن فى كتاب الله الكريم ما يغنى الباحث عن الاستدلال بغيره .

لم يكن اختيار الله للمؤمنين بلا سبب ، فالله يعلم بعزّته من هم المؤمنون . كانوا هم الذين عاشوا فيها ، و أنبت الإيمان فى قلوبهم ثمرة التمسك بدين إبراهيم الخليل رغم ما عانوه من اضطهاد وتنكيل .المعروف أن تعاليم الكتاب نزلت على موسى بعد الخروج من مصر ، فكانت دعوة موسىعليه السلام فى مصرهى التمسك بالإيمان بالله وحده إلها وربا لا شريك له، وهى دعوة إبراهيم الخليل عليه السلام . كان طلب موسى عليه السلام من فرعون لا يزيد عن السماح له باخراج من آمنوا بالله وكفروا بفرعون إلها ، من أرض مصر . كان هدف موسى عليه السلام عندما خرج من مصر ومعه من آمن بالله ، أن يتجه إلى أرض مدين التى عرفها وخبرها ، فسار إليها بتوجيه و إرشاد من الله عزّ و جلّ[٢] .

دخل مصر من البدو الرحل ، يعقوب عليه السلام ومعه واحد وستون من أبنائه وأزواجهم وأحفاده وخدمهم ، فكيف يخرجون بعد أربعة أجيال فقط و عددهم ستمائة ألف نسمه ؟[٣] كانت الغلبة للمؤمنين بلا شك . فمن هم إذن شعب الله المختار؟ إنهم المؤمنون الذين اختارهم الله على علم سبحانه ، من بين كل أمم الأرض فى ذلك الوقت الذى بُعث فيه موسى عليه السلام ، من أرض مصر التى بقيت على مرّ الأزمان حصن الإيمان بالله من قبل موسى و بعد عيسى عليهما السلام ، ثم زانها الإسلام نورا على نور .

إن الله عزّ و جلّ لاينحاز إلى شعب معين ، سبحان الله جل شأنه عن الانحياز فهو إله كل ماخلقه بيده الكريمه سبحانه و تعالى . عندما اختار الله تلك المجموعة من الناس فى توقيت معين فقد اختارها لأنها كانت المجموعة التى تعرفه فى وسط وثنى غالب ، أما وقد انتشر الإيمان ، فإن كل رعية الله هم شعبه المختار(٤) .

يقول أرنولد توينبى(٥) : إن أقبح أمثلة عبادة الذات الفانية صيتا يتمثل فى خطيئة اليهود التى تتبدى فى العهد الجديد . فقد سمح شعب إسرائيل الذى أدرك كنزه الروحى بفضل اعتناقه فكـــرة وحدانية الدين ، بأن تفتنة هذه المرحلة الفذّة وان كانت انتقالية فى ارتقائه الروحانى . تـــرك اليهـــود لأنفســـهم العنان لتستهويهم حقيقة ناقصة نسبية وموقوته ومدار تلك الحقيقة اعتبارهم السمو الروحى الذى بلغوه بالعمل و الكدّ امتيازا خلعه الرب عليهم وحدهم بموجب عهد أبدى يجعل منهم شعب الله المختار . هكذا أضلتهم الحقيقة الناقصة فأردهم فى خطأ مميت. إن احتضان اليهود لصفة شعب الله المختار ، قد انحرفت بهم إلى العقم الفكرى وقادهم إلى نبذ كـــنز أعظم قدرا ، هياه الله لهم بمقدم عيسى الناصرى . لقدنسى توينبى أن الله عزّ وجلّ منح الدنيـــا كلها – وليس اليهود وحدهم – نعمة الإسلام على يدى سيد الخلق محمد رسول الله صـــلى الله عليه وسلم ، فما لقىَ من اليهود و الكفار إلا العنت والصد كما سنرى فى الفصل الثالث إن شاء الله .

كـــتب الله سبحانه وتعالى على بنى إسرائيل أن يضلّوا فى الصحراء أربعين سنة نتيجة كفرهم بـــالله . كانت أرض سيناء هى أرض المتاهة أو أرض العقوبة أو أرض الإفناء لليهود . يستطيع الله عـــزّ وجلّ حينما أخرج المؤمنين من مصر أن ينقلهم إلى حيث يريد بعزته فى أيام قليلة عن طريق مباشر ، لكن الله ، أتاههم فى هذا القفر أربعين سنة من الزمان بقصد إفناء تلك المجموعة المستمرّدة الـــتى تذمرت على الخالق والتى آذت موسى عليه السلام . لقد مات فى سيناء كل الذيـــن جاءوا من أرض مصر ولم يدخلِ أرض البدو المذكورة فى قصة "سنوحى" الفرعونية ، المســـماة حاليـــا فلســـطين سوى يوشع بن نون عليه السلام(٦) – فتى موسى عليه السلام – وكالب بن يفنا – زوج أخت موسى عليه السلام(٧) .

وكتب الله على اليهود أن يضلوا فى الحياة الدنيا ، وزيّن فى قلوبهم الخوف ، بأسهم بين بعضـــهم الـــبعض شـــديد وقلوبهم مشتته إلى يوم الدين . عاشوا أجيالا وراء أجيال يحملون خطاياهم فوق رؤسهم يتنقلون بها من مكان إلى آخر . فلقد شُرد بنو إسرائيل من الأرض التى

دخــلوها بعــد التيه ، ونزح البعض منهم إلى الجزيرة العربية ، الامتداد الصحرواى الطبيعى لأراضى التيه وأرض البدو .

لابــد أن نشير هنا إلى تفرقة هامه جاءت فى القرآن الكريم بين بنى إسرائيل ، واليهود . فــلفظ بنى إسرائيل هو أقرب إلى التشريف والتكريم منها إلى الذم حيث إنها وردت فى القرآن الكــريم فى معرض ذكرنعم الله وأفضاله على نسل نبّى الله القانت يعقوب عليه السلام . ولقد ذكرت الآيات عند ذكر بنى إسرائيل إيمانهم ومعاصيهم الكثيرة دلالة على وجود الخير فى بعض تصرفاتهم ، ووجود الفساد والانحراف فى طبائعهم أحيانا أخرى . أما لفظ اليهود ، فما وردت فى كــتاب الله عــزّ وجلّ إلا فى مجال التقريع والذم واللوم على كفرهم و عصيانهم ونقضهم لــلعهود والمواثيق مع الله ورسوله صلى الله عليه و سلم . لقد اثنى الله على بنى إسرائيل عدا أولئك الذين كفروا منهم ، بينما لم يثن الله على اليهود أبدا بل لعنهم وغضب عليهم .

ومن هذا التفريق بين اللفظين ، فإن بنى إسرائيل كان المقصود بهم أولئك الذين آمنوا بالله وبدعــوة موسى عليه السلام ، بينما اليهود هم من اتخذوا دين موسى شريعة لهم وساروا على درب الأحبار فنسوا ما عاهدوا الله عليه من الإيمان .

★ ★ ★

العــودة إلى التاريخ معلم الشعوب يدفعنا إلى القول بأن الرعاة القادمين من آسيا وغزوا مصر ، والذين أطلق عليهم المصريون اسم الهكسوس ، استمروا فى حكم مصر أكثر من مائتى عام ، وانتهى حكمهم لمصر عام ١٥٧٠ قبل الميلاد[٨] ونجد فى القرآن الكريم ، أن الله سبحانه وتعــالى ذكر حاكم مصر بالملك ولم يذكره بالفرعون خلال الفترة السابقة و المعاصره لوجود يوسف عليه السلام فى أرض مصر ، مما يدل على أن وجود يوسف عليه السلام فى مصر كان فى فــترة الــتواجد الهكسوســي و احــتلال أرض مصر . كان من المعروف أن حاكم مصر من المصريين يسمى بالفرعون .

يصــف المؤرخــون الهكســوس بأنهم شعوب مختلفة نزحوا فى قبائل معظمها من أرض مــا بــين النهرين – آشور – ، وسوريا وما جاورها ، و أنهم جميعا من الاسيويين غلبت على أسمــائهم ، الأسمــاء الســامية ، وبعض تلك القبائل نزحت من أواسط آسيا التى يطلق عليها الهندوأوربية[٩] .

ويذكـر لـنا الـتاريخ المصرى القديم أنه عند طرد الهكسوس من مصر على يد الملك سقننرع ثم ابنيه كامس و أحمس الذى استطاع أن يقضى تماما على وجود الهكسوس فى مصر ثم مطاردهم حتى ما بعد حدودها فى فلسطين ، حاول البعض من سلالة الهكسوس الذين بقوا فى مصر ، انتهاز فرصة قيام الملك أحمس بحملته على الجنوب وقاموا بثورة ضده ، فعاد الملك أحمس وقضى على ثورتهم(١٠) .

السـبب الذى يحدونا إلى العودة لتلك الفترة من التاريخ ، هو الربط بين وجود يوسف عـليه السلام فى أرض مصر ، ووجود الهكسوس بها فى نفس الفترة ، وهو الذى يعرف لغاتهم فيمكنهم التفهّم لدعوة إبراهيم عليه السلام التى أفشاها يوسف عليه السلام بالتوحيد ، بهدف إدخـالهم إلى حظـيرة الإيمان وتوحيد الله ونبذ عبادة الأصنام . فاستكمل ما بدأه جده الأكبر من العودة إلى التوحيد ، فآمن بدعوته عدد أكبر من أولئك الهكسوس .

ويدعونـا هـذا التسلسـل المنطقى إلى القول بأنه بعد تحرير مصر من قبائل الهكسوس الغازية ، بقت فى مصر فئة ، تؤمن برسالة التوحيد . ومن هنا يمكن استنتاج أن فرعون المصرى - كيفمـا كان اسمه - وكذلك شعبه ، كانوا يُكنون الكراهية لتلك الفئة ، فانتقموا منهم ، يذيقوهـم من نفس الكأس التى شرب منها المصريون على مدى مائتى وثمانية أعوام ، هى فترة احتلال الهكسوس لمصر، وقد يفسّر هذا التحليل ما غمض عنا من أسباب تعذيب فرعون لتلك الفـئة التى اسماها الله عزّوجلّ ببنى إسرائيل كناية عن المؤمنين . أتصور - والله وحده أعلم - أن ذلك كان هو الدافع الحقيقى الذى حدا بتلك السلالة الباقية من المؤمنين فى مصر ، والتى آمـنت بدعوة موسى عليه السلام ، إلى الخروج معه من مصر أملا فى العودة إلى الأرض التى وعدهـم بها موسى ، تشجيعا لهمْ على الخروج من مصر كأمر الله عزّ و جلّ لنبيّه موسى عليه السلام .

★ ★ ★

اختـلفت المصـادر التاريخية فى تحديد كيفية وزمن النزوح اليهودى إلى أرض الجزيرة العـربية . فيرى البعض أن البداية كانت بعد موت موسى عليه السلام ، إذ خرج من القوم كاهـنان من ولد الكوهن بن هارون عليه السلام و معهما أهلهما - قريظه والنضير - فكوّنا القبيلتين الكبيرتين فى شمال الحجاز واستوطنوها بعد حروب طويلة مع العماليق ، أولئك العرب

الذيـــن وفـــدوا من اليمن ، واستقروا فى "يثرب" والذين تجمعوا فى قبيلتين كبيرتين : الأوس والخزرج .

ويرى فريق آخر من المؤرخين ، أن بداية النزوح اليهودى إلى الجزيرة العربية جاء نتيجة لاجتياح الملك البابلى " بختنصّر" لفلسطين وتدميره لمعابد اليهود ولهيكلهم وحرق التوراة وقتل الكـــثير من اليهود وسبى النساء والأولاد[١٢] والمتصوّر، أن الهجرة اليهودية المؤثرة إلى الجزيرة العـــربية بدأت عام ٧٠ م عندما بطش القائد الرومانى " تيطس" باليهود ، ثم جاء بعده القائد "هادريان" فأحرق لليهود الحائط الذى يبكون أمامه وأحرق معابدهم وهدم العديد من مبانيهم، فهرب الكثير من اليهود إلى أرض الحجاز حيث أرست القبائل اليهودية الأولى دعائم الوجود اليهودى وما حولها .

وهناك هجرة يهودية كبيرة داخل أرض الجزيرة العربية نفسها ، تمت عام ٥٢٥م عندما حفـــر يهود اليمن خندقا كبيرا وحرقوا فيه المسيحيين فاستنجد ملك الروم المسيحى بالأحباش فأرســـلوا جيشا برئاسة أبرهة الأشرم فهزم اليهود وهم تحت إمرة ملكهم "ذى نواس" ، ففر كثير من يهود اليمن إلى يثرب ليكونوا مع اليهود هناك وقبيلتى الأوس والخزرج [١٣].

استقرّ اليهود فى "يثرب" و"خيبر" و"تيماء" بشمال الجزيرة العربية وعاشوا وراء حصون وقـــلاع تحميهـــم من غزو العرب . حذقوا التجارة والصناعة فكونوا ثروات هائلة ، وأرسوا صـــناعة قوية للسلاح وكل ما يستخدم فيه المعدن ، من الأوانى والقدور والدروع وغيرها . يبيعونها للعرب باستعمال أسلوب الربا فى الإقراض ، والذى أدّى فى النهاية – مع عجز العرب عـــن الســـداد – إلى أخـــذ اليهود لأراضى العرب . احتكروا تجارة الخمر والتمر والشعير والأغـــنام ، وأصبح لليهود فى "يثرب" الكلمة العليا فى كل ما يتعلق باقتصاديات تلك المنطقة من الجزيرة العربية .

ومـــع مـــرور الســـنين ، أصبح اليهود فى الجزيرة العربية ، يماثلون العرب فى ملبسهم وعـــاداهم ولغتهم وحذق البعض منهم فى قرض الشعر ، كأحسن الشعراء فصاحة ، فاصبح لـــليهود شـــأن كبير فى الحوادث السياسية التى سبقت ظهور الإسلام . صارت أسماء قبائلهم عـــربية ، وتســـمّى اليهـــود بأسماء العرب ، وقامت بينهم و بين العرب بعض علاقات زواج ومصاهرة، إلا أنهم تحفظوا بعصبيتهم الجنسية ولم يندمجوا فى العرب قطّ ، بل حرصوا دواما على

الـــتفاخر بيهوديـــتهم ، واحتقار العرب فأسموهم "أمّيين" بمعنى الوحوش والأراذل المتأخرين ، يرون أن أموال العرب مباحة لهم يستولون عليها كيف شاءوا[١٤] .

لم يـــتحمس اليهـــود فى نشر دينهم ، إنما كان أمر الدنيا هو همهم الأكبر فتخصصوا فى الفـــأل والســـحر والنفث ، بذلك كانوا يرون فى أنفسهم أنهم أصحاب علم وفضل وقيادة روحانية [١٥] .

★ ★ ★

عـــاش اليهود فى يثرب ، يُلقون بالعداوة والبغضاء بين القبائل العربية المجاورة ، يُغرون بعضـــها على . بعض بالدسائس والوقعية ،فتظل فى حروب دائمة دامية . كلما احتاج الرجال إلى المـــال ، ســـارع اليهـــــود بإقراضهم ، لإبقاء نار الحـــرب متّقـــدة ، يشاهدون مذبح الرجال امامهم ، فيحفظون كيانهم فى المنطقة ، ويجنون أرباحا ربوية تحقق لهـــم ثروات وأملاك هائلة[١٦] .

كـــان يهود الجزيرة العربية الفارين من الاضطهاد المسيحى فى فلسطين ينشدون الأمان والحرية فى مجتمعهم الجديد . وتحوّل الدين الموسوى إلى تسلط الأحبار على مقدّرات أتباعهم ، يطـــبقون شريعة التوراة بالشكل الذى يرونه والذى يحقق لهم السيطرة على اليهود ، فأصبح للأحبارالكلمة العليا بينهم فزاد الفجور و البغى مع اختفاء الشرائع السماوية

حـــرّم أحبار اليهود على بنى دينهم الأقتراب من الكعبة الشريفة فى مكة، فهم يعرفون أن إبراهـــيم الخليل عليه السلام هو الذى رفع قواعدها ومعه ابنه إسماعيل عليه السلام. كانوا يعـــرفون أن الهلاك يصيب كل من يريد الكعبه بسوء . يعرفون أن الكعبة هى بيت الله الذى أمـــر إبراهيم ببنائه، لكنهم لم يقربوا البيت العتيق لعلمهم أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام الـــذى اشترك مع الخليل فى البناء ، وليس إسحاق عليه السلام . كان ذلك هو السبب الذى أبعدهـــم عن بيت الله . تركوا الشرك يرتع حوله يتصوّرون أن حرمة البيت ستظل بعيدة عن التقديس ، فيسودون وحدهم بدينهم ، لايدركون أن الله عزّ وجلّ قد قدّر الأمر من قبل وأنه ظاهر دينه ولو كره الكافرون[١٧] .

★ ★ ★

دخـــل محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فوجد بها ثلاث فئات . أولاها كانت المسلمين بالمدينة ، الذين تمسكوا بعصبيتهم القبلية ، من قبيلتى الأوس و الخزرج ، وكان بيـــنهما فى الجاهلية حروب ضروس آخرها حرب "بُعاث" . استطاع رسول الله صلى الله عليه وســـلم أن يؤاخـــى بينهما وأن يزيل كل الفروق بين المسلمين الذين تجمعوا حوله فى المدينة . صهر الإسلام كل المسلمين فى بوتقة واحدة من المودة و الأخوّة الحقّة .

كانت الفئة الثانية ، هى المنافقين وعلى رأسهم عبد الله بن أبى سلول ، واستطاع الرسول صـــلى الله عليه وسلم ، أن يحيدّهم بطريقة أو بأخرى حتى انضووا جميعا تحت عباءة الإسلام ، والله يعلم ما فى قلوبهم .

أما الفئة الثالثة، فكانوا اليهود الذين يحيطون بالمدينة ، والذين ضمّتهم ثلاث قبائل كبيرة:

- بنو قينقاع : وعاشوا داخل المدينة فى حىّ وسوق خاص بهم .
- بنو النضير : وكانت ديارهم بضواحى المدينة .
- بنو قريظة : وكانت ديارهم فى مواجهة بنى النضير بضواحى المدينة .

كـــتم اليهـــود عداوتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند وصوله إلى المدينة ، فعقد معهـــم الـــنبىّ معـــاهدة ، ترك لهم فيها مطلق الحرية فى الدين والمال والعهد على عدم الخيانة والتعاون عسكريا فى صد أى هجوم يقع على أى طرف منهما .

كانت أول صدمة ليهود المدينة ، إسلام الحصين بن سّلام ، كبير أحبار يهود بنى قينقاع ، فأسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم "عبد الله بن سلام" . كان إسلام الحصين أول تجربة يمر بها الرسول عليه الصلاة والسلام فى يومه الأول من دخوله المدينة ، أسعدت النبىّ واستبشر بها خيرا ، لكنه عرف أيضا ما تكنه صدور اليهود من حقد علىالإسلام وعلى كل من أسلم ، فقد ســـبوا الحصـــين وحقروا من شأنه وعلمه ، وهو عالمهم وكبير أحبارهم ، عندما أعلن إسلامه أمامهم وفى حضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

★ ★ ★

كــان يهود المدينة ، هم أكثر الناس علما بأن محمدا صلى الله عليه وسلم هو نبيّ مرسل من عند الله لكنهم كفروا ببعثته ، ولعلهم كانوا ينتظرون أن يكون النبيّ المبعوث من اليهود ، رغم علمهم بانقطاع النبوة فيهم بعد يحيى عليه السلام ، بعد أن قتلوه وقطعوا رأسه بغدرهم .

وقد درج اليهود فى الجزيرة العربية على تسمية أولادهم الذكور بأسماء عربية ، وكان من أشهرها بينهم اسم "محمود"[١٨] . لعل ذلك يؤكد ما كانوا يؤمنون به من بعث نبيّ فى الجزيرة تكون "يثرب" هى مكان إقامته[١٩] .

عندما دخل اليهود حربا فى الجاهلية ضد العرب من الأوس والخزرج ، فهزمهم العرب قال اليهود :

- إن نبيّا سيبعث الآن نتبعه ، قد أطل زمانه ونقتلكم معه قتل عاد وإرم .

فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ، قال أهل يثرب من الكفار يخاطبون اليهود :

- كنتم تستفتحون علينا بالنبيّ قبل مبعثه ، وتخبروننا بأنه مبعوث وتصفونه بصفته ، فلما بعثه الله من العرب كفرتم به و جحدتم ما كنتم تقولون فيه .

قال كبير اليهود سلام بن مشكم :

- ما جاءنا بشىء نعرفه ، وما هو بالذى كنا نذكر لكم[٢٠] .

داب أحــبار اليهود فى المدينة على سؤال النبى عليه الصلاة والسلام فى أشياء لاتدخل فــى علم الناس ، يعرفونها هم من التوراة والتى حجبت عن عامة اليهود ، فكان رسول الله صــلى الله عليه وسلم يجيبهم عليها بوحى من الله عزّوجلّ . على الرغم من هذا فما آمنوا ، بــل ازدادوا حــنقا وحقدا على المسلمين وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، وهم يرون الإســلام وقــد أرســى قواعده فى المدينة على أسس الدين القيّم الذى نظّم حياة أهل المدينة من المسلمين ، فدخل الناس فى الإسلام أفواجا .

جــاءت غزوة بدر ، وتوقع اليهود أن يقضى كفّار قريش على المسلمين ، لكن الله نصر المســلمين بعــزّته ، فازداد اليهود حقدا وحسدا على محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى أتباعه من المسلمين .

★ ★ ★

كان انتصار المسلمين فى غزوة بدر ، نقطة تحول رئيسية فى العلاقة بين اليهود والمسلمين بالمدينة . عندما رأى كعب بن الأشرف كبير قبيلة قينقاع عودة رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا إلى المدينة، امتلأ قلبه بالحقد على رسول الله ، فسافر إلى مكة ،يلقى بالأشعار استنفارا للمشركين ضد عدوهم ، نبيّ المسلمين . وبلغ فى أشعاره نقطة اللاعودة ، فتعرض بالشعر لنساء المسلمين ولزوجة العباس عم الرسول – رضى الله عنه – فقتل المسلمون كعبا انتقاما لشرفهم . لم يتحرك اليهود بعد علمهم بمقتل طاغيتهم ، بل التزموا الهدوء و استكانوا فى قلاعهم ، وكانوا قبل مقتل كعب قد تهكموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووصفوا انتصار المسلمين فى بدر بأنه انتصار زائف لأن المسلمين لم يواجهوا مقاتلين رجالا أشدّاء مثل بنى قينقاع . أدرك النبيّ عليه السلام ، أن اليهود أهل بغى وأنه لن يستقرّ الحال فى المدينة طالما بقى بها اليهود .

دخلت امرأة مسلمة سوق بنى قينقاع لشراء حُلية من صائغ يهودى فامسك بها عدد من فتية اليهود وكشفوا عورتها فصرخت المرأة وأجارها رجل مسلم فقتله اليهود . غضب رسول الله مع المسلمين لما حدث ، فخرج جيش المسلمين وحاصروا قلاع بنى قينقاع خمس عشرة ليلة متواصلة، تبادل فيها الجيشان الرمى بالنبال حتى طلب اليهود التسليم والنزول على حكم النبى صلى الله عليه وسلم فى رقابهم وأموالهم ونسائهم وذرّيتهم ، كما قضت بذلك الأعراف التى عاشوا فيها . لكن النبيّ عليه الصلاة والسلام عفا عنهم تحت إلحاح المنافق عبد الله بن أبى بن سلول ، الذى ربطته بهم عهود سابقة

تفرقت قبيلة بنى قينقاع وغادرت حصونها وبيوتها تاركة ما فيها من متاع وطعام وأموال غنمها المسلمون دون حرب . رحل الكثير من اليهود إلى "خيبر" ، معقل اليهود القوى فى الحجاز ، ونزح البعض إلى حصون "بنى النضير" وحصون "بنى قريظة" ، فرارا بأرواحهم ، وقلوبهم مليئة بالحقد و الكراهية لهذا النبيّ المرسل الذى هزمهم[٢١] . وخرج الكثيرون من أرض الحجاز كلها إلى أرض العراق ليكونوا فى حمى الدولة الفارسية الوثنية ، وتوجه القليل منهم إلى أرض الشام فى حماية الدولة البيزنطية . وكان من الطبيعى أيضا أن يتوجه البعض منهم إلى أرض الوثنيين فيما وراء جبال القوقاز .

★ ★ ★

كانت عادة العرب أن تشترك القبائل فى ديّة أى قتيل وذهب رسول الله صلى الله عليه وسـلم ومعـه نفر من أصحابه – رضى الله عنهم – يوما إلى بنى النضير لطلب اسهام القبيلة اليهودية فى ديّة قتيلين من بنى عامر ، فتآمر اليهود على النبىّ لقتله، وكلفوا اليهودى "عمرو بن جحاش " بإلقاء حجر ضخم على رسول الله للخلاص منه ومن دعوته ، فأعلمه الله بنيّة اليهود فقـام الرسـول عليه الصلاة والسلام عائدا إلى المدينة . ولما سمع المسلمون بما حدث ، سار جيشـهم إلى حصـون بـنى النضير فحاصروة لمدة ست ليال متواصلة . عندما أحس اليهود بالـرعب ، طلـبوا التسـليم لرسول الله دون حرب والرحيل عن حصوهم، يأخذون معهم ما حملت الإبل من ممتلكاهم فقط ما عدا السلاح .

قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الأمر ، فهو يعلم أن قريشا تعد العدّة للانتقام مـن المسلمين وأن الله أرسل للمسلمين سلاحا ومالا وطعاما بلا مشقّة . سار يهود بنى النضير فى قافلة كبيرة يضربون الدفوف والمزامير متوجهين إلى خيبر ، واستكمل البعض منهم مسيرهم إلى بلاد الشام وبلاد الفرس وماوراء جبال القوقاز ، وهم يرون أن أرض الحجاز لم تعد مكانا آمنا لهم مع انتشار الإسلام ودين محمد ، وقلوبهم تدمى حزنا على ما فقدوه من أموال جمعوها من العرب بالربا و الاغتصاب[٢٢] .

لم يسـتطع حيّـى بن أخطب ، كبير قبيلة بنى نضير الذى هرب ومعه كنزه ، أن ينسى ما حدث لقومه ، فسافر إلى مكة ومعه رؤساء اليهود ، يدعون المشركين بها لقتال المسلمين ، ثم سافر اليهود إلى قبائل غطفان فى نجد وحرضوهم على قتال المسلمين . هكذا تجمع الأحزاب ضـد المسـلمين : المشركون من مكه ، والمشركون من نجد ، واليهود حول المدينة فى محاولة للقضـاء على الإسلام . ظل حيىّ بن أخطب يلحّ على كعب بن أسد ، كبير قبيلة بنى قريظة اليهودية ليشترك معهم فى قتال المسلمين ، وكان بنو قريظة قد أبرموا عهدا مع رسول الله صلى الله عـليه وسـلم ، فأنكروا العهد ووافقوا على الأنضمام إلى الأحزاب فى قتالهم للمسلمين فى غـزوة الخـندق . بعـث الله بالريح – أحد جنود الله – على الأحزاب فطارت خيامهم وانطفأت نيرانهم وفرت أنعامهم فوجد المشركون أن الزمن قد طال على انتظار الحرب وأنهم أصبحوا فى موقف صعب ، فرحلت قريش إلى ديارهم ، وعادت قبائل غطفان وأحابيشها إلى نجد ، وتفرّق اليهود سريعا ، فكبرّ المسلمون وعادوا إلى المدينة .

أوحى الله إلى رسوله ، بأن الحرب لم تنته ، وعليه أن يقضى على بنى قريظة الذين خانوا العهـد . قام جيش المسلمين بحصار حصون اليهود وتبادلوا الرمى بالنبال حتى أيقن اليهود أن الهـزيمة أمام المسلمين لابد واقعة ، فقبلوا النزول على حكم رسول الله فيهم . طلب الرسول الكريم من سعد بن معاذ ، كبير قبيلة الأوس أن يحكم فى يهود بنى قريظة . كانت قبيلة الأوس فى الجاهلية على عهد مع يهود بنىَ قريظة ، فحكم سعد بقتل الرجال وسبى النساء و الأطفال .

قال حيىّ بن أخطب وهو يواجه الإعدام ، مخاطبا رسول الله صلى الله عليه وسلم :

- أما والله ما لمت نفسى فى عدواتك ، ولكنه من يخذل الله يُخذل .

ذلـك القول الذى يدل على أن كبير يهود بنى النضير ، كان يدرك أن محمدا صلى الله عـليه وسـلم هو رسول الله الذى يعرفه اليهود ، لكنه أبى بالحقد الذى ملأ صدره ضد النبىّ وضد الإسلام الذى جاء به ، أن يعترف بالرسالة المحمدية . خذل اليهود دعوة الله لهم بالإيمان، فخذلهم الله[٢٣] .

★ ★ ★

وقّع المسلمون صلح الحديبية مع كفار قريش ، أقوى أجنحة الأحزاب الثلاثة التى تآمرت على المسلمين : قريش ، وقبائل نجد ، واليهود . فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قد آن الأوان لكـى يحاسب الجناحين الباقيين على عداوتهم للمسلمين حتى يسود الأمن والسلام والهـدوء فى الجزيـرة العربية وينتهى المسلمون من الصراع الدامى الذى يثيره اليهود ، حتى يـتفرغ المسلمون لتبليغ رسالة الله والدعوة إليه على يد النبىّ صلى الله عليه وسلم و أصحابه رضى الله عنهم .

سـار جيش المسلمين إلى خيبر ، أقوى المعاقل اليهودية فى أرض الجزيرة العربية ، ذات المـناعة ، بحصـونها العاليـة القوية ، فحاصروها وتقاتل المسلمون واليهود ، ففتح المسلمون الحصون واحدا تلوالآخر حتى حصن " القموص" أكبر حصون اليهود فحاصره المسلمون حتى طـلب اليهـود مـن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يوقف القتال على أن يترك اليهود أراضـيهم وأموالهم ويخرجون بأولادهم . وافق الرسول على ذلك ، ثم عرض على اليهود أن يظلّوا فى الأرض يزرعونها كما كانوا يفعلون من قبل على أن يتقاضوا نصف ما تنتجه الأرض من محصول نظير عملهم .

دعا رسول الله اليهود الباقين فى الجزيرة العربية فى"فدك" وفى "وادى القرى" وفى "تيماء" إلى الإســـلام أو دفع الجزية أو الحرب ، فقبل يهود تلك القبائل التصالح مع المسلمين والنزول لهم عن نصف ممتلكاتهم(٢٤) .

★ ★ ★

هكـــذا عـــاش اليهـــود فى أرض الحجاز قبل البعثه المحمدية . وهكذا كانوا أثناء ظهور الإســـلام الحـــنيف . قاوموا الدين الجديد بكل أنواع الدسائس والفتن والرفض ومحاولة قتل رســـول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم حاربوه كلاما وقتالا وتحزيبا للوثنيين والمشركين ضده . اســـتطاع الإســـلام تحت قيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بقوة إيمان المسلمين – على فقـــرهم وعوزهم أمام عدو غنى يمتلك السلاح والمال – أن يهزمهم مّرة وراء أخرى ، وأن يقلّص نفوذهم الذى استشرى فى الأرض المقدسة التى اختارها المولى بعزّته ليقام بها بيته الكريم، الذى رفع قواعده إبراهيم الخليل عليه السلام ، رسول الله وأبو الأنبياء ، الذى بعثه الله رسولا يهدى إلى الإسلام وإلى الحق .

قال الله عزّوجلّ(٢٥) :

﴿ يَـــأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتْ التَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيلُ إِلاَّ مِنْ بَعْدِهِ أَفَلاَ تَعْقِـــلُونَ (٦٥) هَاأَنتُمْ هَؤُلاَءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ (٦٦) مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ ﴾ « صدق الله العظيم » .

★ ★ ★

هوامش الفصل الأول

(١) انظر كتاب (المبعوثون إلى الأرض – قصص الأنبياء عليهم السلام) للمؤلف ص١٠٥/ ١٠٩ والظر أيضا (قصص الأنبياء)لابن كثير ص١٣٠/١٩١

(٢) انظـــر كـــتاب (التاريخ اليهودى العام) د . صابر طعيمه ج١ ص٣٨٨ وجاء فيه (لقد أوضح القديس بولـــص رأس الكنيســـة المفكر أنه مع احترام الكتب المقدسة فإنه لايؤمن بإسرائيل واقعا جغرافيا عنصريا سياسيا بل يرى فى بنى إسرائيل أنهم جماعة المؤمنين بالله)

(٣) موسى عليه السلام هو الحفيد الرابع من سبط لاوى بن يعقوب عليه السلام – وقد أفاد البحث العلمى أن عدد الخارجين من مصر لم يتجاوز الخمسين ألفا فقط ، وأن التقدير الذى يردده اليهود يضم عدد الأبل والأنعام التى أخذها الخارجون معهم .

(٤) انظر (المسيحية وإسرائيل) للبابا شنودة الثالث – محاضرة فى نقابة الصحفيين – ص١ الى ١٥

(٥) انظر (مختصر دراسة التاريخ) أرنولد توينبى ترجمة فؤاد محمد شبل ج١ ص٥٩

(٦) انظر (المسيحية وإسرائيل) للبابا شنودة الثالث – ص١٤ /١٥

(٧) انظر كتاب (المبعوثون إلى الأرض) للمؤلف ص٢٢١ والظر كتاب (قصص الأنبياء)لابن كثير ص٣٦٦

(٨) انظر كتاب (مصر الفرعونية) للدكتور أحمد فخرى ص٢٤١/٢٥٩

ومن الجدير بالذكر فى هذا المجال أن الآية ١٥ من سورة القصص قد أوضحت ما نرمى إليه . يقول الله عـــزوجل : (ودخل المدينةعلى حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عـــدوه ، فاســـتغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه ، قال هذا من عمل الشيطان ، إنه عدو مضل مبين) . ولقد وصف الله سبحانه وتعالى الرجل المصرى بالعدو . لم تكن الرسالة السماوية قد أنزلت على موسى عليه السلام ، ولم يكن وقتها قد بعث نبيا بعد . وهذا يوضح مدى العداء بـــين المصريين والفئة المؤمنة الذين عاشوا فى مصر فناصبهم المصريون العداء . والمقصود بالشيعة ، المبدأ الـــذى يؤمن به موسى عليه السلام ، وهو أحد حفدة يعقوب عليه السلام ، كمؤمن بدين الإسلام الذى جاء به إبراهيم أبو الأنبياء عليه السلام ، فآمن به بعض المصريين .

(٩) المصدر السابق ص٢٥١ . ومن المفيد للقارىء الرجوع إلى كتاب (وصف مصر) تأليف علماء الحملة الفرنســـية وترجمة زهير الشايب ج٢ – الدراسة التاسعة من ص٣١١ إلى ص٣٦٨ من تأليف دى بوا – إيميـــه والـــتى كتـــبها عام ١٨١٣ عن كيفية دخول وخروج البدو الرحّل من مصر . وقد تضمنت تلك الدراســـة شرحا وافيا يتفق فى الكثير من جوانبه مع التسلسل التاريخى للأحداث وإن كانت الأسماء التى أوردهـــا الكـــاتب حول فراعنة مصر اجتهادية من جانبة يستند فيها إلى آراء المؤرخين خاصة فيما يتعلق

بفــرعون موســي عليه السلام وقت مولدة ووقت خروجه من مصر . كما أن الكاتب تعرض إلى بعض ما يجهله عن الإسلام . وقام المترجم بتفنيد تلك الآراء فى هوامش الصفحات بما يلزم التصحيح .

(١٠) المصدر السابق ص٢٦١

(١١) انظر (التاريخ اليهودى العام) د . صابر طعيمه ج٢ ص٩إلى ٤٤

(١٢) انظر الكتاب (الرحيق المختوم) للمبار كفورى ص٤٥

(١٣) انظر كتاب (الفيل والبيت العتيق) للمؤلف - ص٧٧ /٨٠

(١٤) انظر كتاب(اليهود أعداء محمد صلى الله عليه وسلم) للمؤلف ص١٢/١٣

(١٥) انظر كتاب (الرحيق المختوم) للمبار كفورى ص٢١١

(١٦) انظر كتاب (السيرة النبوية)لابن هشام ح١ ص٢١١/٢١٢

(١٧) انظر كتاب (اليهود أعداء محمد صلى الله عليه وسلم) ص١٥/١٦

(١٨) كانت أسماء اليهود فى الحجاز إلى جانب اسم محمود هى : على ، عمرو ، رافع ، سلام ، حُيىّ ، حصين، بسستانه ، ياسر ، ثعلبه ، الزبير ، إساف ، مرحب ، عبدالله ، كعب وغيرها من نفس الأسماء العربية التى تسمى بها أهل المنطقة .

(١٩) انظــر كتاب (محمد فى التوراة و الإنجيل) إبراهيم خليل أحمد ص٤٨/٥٧ . يذكر الكاتب الذى أسلم وكان قسًا أن السيد المسيح عليه السلام ذكر فى إنجيل يوحنا (١٤/١٥) :"الله يعطيكم معزّيا آخر ليمكث إلى الأبد " . كان لسان عيسى عليه السلام باللغة الأرامية وترجمت كلمة"معزيا" إلى "الممجّد" ثم نقلت إلى اليونانية "البارقليط" وهى تطابق كلمة محمود أو أحمد أو محمد ويذكر أيضا عن الكاتب جيمس هاستينجز فى قاموس الكتاب المقدس ما يلى :

" إن مايتميز به الكتاب المقدس حتى فى حالته الراهنه هو أنه يشير إلى أن التنزيل الإلهى يتوالى على من اصــطفاهم الله لحمــل رســالته من الأنبياء والمرسلين ويكمل التنزيل بالنبى الخاتم . نبىّ وحيد واحد مميز ورسالته ستكون مستوعبة ومهيمنه ونبوّته تكون عالمية حتى أنه لن يكون هناك حاجة لرسول بعده ."

(٢٠) انظر كتاب (اليهود أعداء محمد صلى الله عليه وسلم) للمؤلف ص٣٠/٣١ .

(٢١) المصدر السابق ص٤١/٥٢ .

(٢٢) المصدر السابق ص٥٣/٦٠ .

(٢٣) انظــر كتاب (السيرة النبوية) لابن هشام ج٣ ص١٦٦ وما بعدها وانظر (تفسير القرآن العظيم) لابن كثير ج١ ص٤٨٦ .

(٢٤) انظر كتاب (الرحيق المختوم) للمباركفورى ص٤٤٥/٤٤٩ .

(٢٥) سورة آل عمران ٦٥/٦٧ .

الفصل الثاني

الخروج اليهودى من الجزيرة العربية

كـــان من شروط الاتفاقية التى وقعّها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع يهود خيبر ، والتى حقن فيها النبىّ عليه الصلاة والسلام دماءهم وسمح لهم بالعمل فى الأراضى الزراعية التى كـــانوا يملكونها فى أرض الحجاز نظير نصف محصولها ، أن يُخرج المسلمون اليهود من البلاد وقتما شاءوا . صعدت روح رسول الله صلىالله عليه وسلم إلى بارئها الكريم ، وتولىّ أبو بكر الصديق رضى الله عنه الخلافة ، فاقرّ ما سار عليه النبىّ عليه الصلاة والسلام من الأمر بالنسبة لـــليهود . ثم تـــولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه الخلافة وسار على نهج خليفة رسول الله ، إلى اليوم الذى بلغه فيه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته :

– " لايجتمعنّ بجزيرة العرب دينان "

ظـــل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، يتقصّى خبر ذلك الحديث ممن سمعه حـــتى تثبت من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان يهود خيبر أثناء حياة النبى ، قد قتلوا أحد الأنصار عندما ذهب إلى أرضه بخيبر ، لكن اليهود أنكروا للنبىّ أنهم قتلوا الأنصارى فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بإعطاء ديّة القتيل من ماله الخاص . ثم اعتدى اليهود فى خيبر على عبدالله بن عمر ففدعوا[1] ذراعه وهو نائم .فلما علم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالأمر ، وكان قدتحقق من قول النبى عليه الصلاة والسلام ، قرر إجلاء اليهود من الجزيرة العربية[2] .

وقف عمر بن الخطاب رضى الله عنه فخطب الناس يقول :

أيها الناس . إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عامل يهود خيبر على أنا نخرجهم إذا شـــئنا . وقـــد اعتدوا على عبد الله بن عمر ففدعوا يديه كما بلغكم ، مع عدوانهم على الأنصـــارى قـــبله ، لا نشكّ أنهم أصحابه . ليس هناك عدو غيرهم ، فمن كان له مال بخيبر فليلحق به ، فإنى مُخرج يهود[3] .

كتب الخليفة رضى الله عنه إلى اليهود فقال : إن الله عزّوجلّ قد أذن فى جلائكم ، وقد بـــلغنى إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :"لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان " . فمن كان عنده عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود فليأتِ به أنفذه له ومن لم يكن عنده عهد من اليهود فليتجهّز للجلاء .

امتدت خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه لمدة عشر سنوات من ٦٣٤ إلى ٦٤٤ م ، وكـــان قراره بإخراج اليهود من أرض الجزيرة العربية فى السنة العشرين من الهجرة ، المعادلة لعـــام ٦٤٠ م[٤] . مـــات عمر بن الخطاب رضى الله عنه مقتولا بخنجر مسموم بيد المجوسى أبو لؤلؤة عبد المغيرة من الكوفة[٥] .

★ ★ ★

عندما شعر اليهود بان وجودهم فى أرض الحجاز أصبح غير آمن ، بعد ما جرى لهم على يد أتباع محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم نتيجة غدرهم بالمسلمين ، خرج البعض منـــهم مـــن بنى قينقاع وبنى النضير ورحلوا إلى الشام فى حمى الدولة البيزنطية فاقاموا فى دمشق ، وتقوقعوا كعادهم فى حارة لهم ، وبنوا إلى جوارها معبدهم . وعندما فتح المسلمون دمشق عام ١٣هجرية (٦٣٣م) تركوا لليهود بدمشق ذلك المعبد وأعطوهم الأمان .

وخـــرج الأخـــرون إلى العراق على حدود الدولة الإسلامية وأقاموا فيها ، وعندما فتح المسلمون أرض العراق، أعطى اليهود الموجودون بها العهود والمواثيق بعدم التعرض للمسلمين، لكنهم نقضوها كعادهم ، وآذوا المسلمين الذين أقاموا فى العراق بعد أن خرج خالد بن الوليد من العراق بجيشه لفتح بلاد الشام . أخرج اليهود كل المسلمين الذين كانوا يعملون عندهم ، بعد تواتر الأنباء بأن الفرس يستعدون لحرب المسلمين واستعادة سيطرهم على العراق .

أمـــر الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه كل المسلمين بالعراق بالخروج إلى أطراف الـــبلاد وقرر تسيير جيش إسلامى لفتح بلاد فارس. كان أمير المؤمنين قد عزم على أن يقود الجيـــش بنفســـه ، لكن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه ، نصحه بأن يبقى فى المدينة لأنه لـــو الهزم المسلمون تحت قيادة خليفتهم لاهتزّت الأمة الإسلامية كلها . ولّى عمر بن الخطاب رضـــى الله عنه سعد بن مالك الزهرى على الجيش الإسلامى الذى بدأ فتح فارس لإنهاء دولة المجوس عام ١٤ هجرية (٦٣٤م)[٦] .

★ ★ ★

لم يستطع أحد الكتاب ، أو علماء التاريخ تحديد المكان الذى استقر فيه اليهود بعد خروجهم من الجزيرة العربية ، وإنما اتفقوا تقريبا على أن المكان الذى حط معظم اليهود الخارجين أرجلهم فيه كان هو الإمبراطورية البيزنطية التى كانت تشمل فى ذلك الوقت الشام ومصر و الأناضول و الأراضى الأوروبية الغربية .

خرج اليهود من الجزيرة فى مجموعتين : الأولى وكانت القافلة العظيمة العدد فاتجهت من خيبر إلى وادى القرى وتيماء ، حيث انضم إليها يهود المنطقتين ، وساروا فى طريق القوافل المعروف حتى حدود الإمبراطورية البيزنطية من ناحية الشام . وسارت القافلة اليهودية الثانية من "فدك" ومعهم يهود نجران – الذين سافر بعضهم بحرا إلى سواحل الحبشة وأقاموا فيها – حتى بلغوا الكوفة بالعراق(٧) .

هذان الطريقان كانا أهم الدروب لعبور صحراء الجزيرة العربية إلى البلاد الأخرى ، وكانت الكوفة فى ذلك الوقت هى الحدود مع الدولة الفارسية المعادية للإسلام . تفرق اليهود فى المنطقة فمنهم من استأنف المسير شرقا فى بلاد فارس ، ومنهم من اتجه شمالا فى اتجاه أذربيجان ، ومنهم من استقر فى البلاد القريبة من الكوفة فى حماية الفرس ، فهى أرض إبراهيم عليه السلام الذى يحاول اليهود الالتصاق بدعوته وتهويدها .

كانت الكوفة و الأراضى الواقعة فى تخومها ، أراضى صالحة للزراعة وافرة المياه والخصب ، يقطنها عدد قليل من الترك و الأرمن والفرس والعرب(٨) . كانت المنطقة مجالا حيويا لليهود الذين تركوا زراعتهم فى الجزيرة العربية ، فاتخذوا – على أغلب الظن – من تلك المنطقة ، نقطة الانطلاق إلى بلاد فارس والبلاد التى تسيطر عليها قبائل الترك ومنها قبائل الخزر ، وهما المنطقتان اللتان كان المجوس و الوثنيون يعيشون فيهما ، تلك الأرض الخصبة والمجال الحيوى الذى لايخشى اليهود بعقيدتهم السماوية أى بأس من أولئك الوثنيين ، وإن باتوا محاصرين من المسلمين جنوبا ومن المسيحيين غربا .

اتخذ اليهود من الأرض حول الكوفة وحتى البصرة ، موئلا لشتاتهم فأقاموا فيها يمارسون الزراعة والتجارة ، وسمح لهم العرب والمجوس بإنشاء معابدهم الخاصة بهم . وقد كان بتلك المنطقة – كما سبق القول – جالية يهودية غنية مهاجرة من أرض العرب قبل طردهم عام ٦٤٠م من الجزيرة العربية . ولم يكن اليهود المهاجرون إلى أرض العراق وفارس بالذين يخشون المسلمين صراحة ، فهم يشبهونهم سحنة وملبسا وعادات ولغة . عاشوا بين المسلمين يأمنون

على أنفسهم ، فهم أهل الكتاب ، يحترم المسلمون دينهم ، وكان إخراجهم من الجزيرة العربية على يدى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، هو تنفيذ ما ارتآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل صعود روحه إلى بارئها الكريم ، كما سبق وبيّنا . كان إخراجهم منصبّا على أرض الجزيرة العربية وحسب ، فاستقرّ اليهود الذين خرجوا من اليمن وفدك وبعض من خرجوا من وادى القرى وخيبر ، فى أرض العراق شمال الكوفة وشرقها . لم يتعرض المسلمون لهم فى تلك الأراضى ، بل عاش اليهود بين العرب هناك فى أمن الإسلام واحترامه للعقائد السماوية الأخرى لكن صدورهم - ويعلم الخالق عزّ وجلّ ما تشتمل عليها من الحقد والغل للمسلمين - جعلتهم يتحيّنون الفرص للنيل من ذلك الدين الإسلامى الذى أطاح بهم إلى الأراضى الجديدة .

استطاع يهود الجزيرة العربية الذين أقاموا فى الكوفة وما وراءها بأرض فارس ، تكوين مستعمرات يهودية منتشرة فى كل مكان . يرون بأعينهم الغزو الإسلامى للمجوس وانتشار الدين الحنيف فى تلك الأراضى المجوسية ، فأكلت نار الإيمان بالدين الإسلامى حطب الشرك بالله ، ودخل الناس أفواجا فى الإسلام ، فازداد حقد اليهود وغلّهم من ذلك الدين الذى أخرجهم من الأرض الإسلامية العربية .

★ ★ ★

لعل اليهود الذين أقاموا فى الأراضى الفارسية بعد خروجهم من أرض الجزيرة العربية ، لم يطمئنوا على حالهم ، وهم يرون راية الإسلام ترتفع كل يوم فوق أرض وثنية من أراضى فارس فهاجروا شرقا وشمالا ليعيشوا بين الأقوام التى تحارب الإسلام والمسلمين وتقاوم الغزو الإسلامى الكاسح فى بلاد الشرك .

نزح الكثير من اليهود إلى شرق وشمال فارس حيث القبائل التركية الوثنية وأقاموا فيها . كان التواجد اليهودى غير ظاهر لكنه مؤثر فى تلك المجتمعات . كان هناك من يدعى "الحارث بن شريح " الذى عمل كمستشار حربى لخاقان الترك الأعظم . وكان ذلك " الحارث " من الخا رجين من الجزيرة ، مهمته فى الحرب هى إفهام الترك وسائل حرب العرب وكيفية مقاومتها . كانت تلك الحرب التى قاد فيها " أسد بن عبدالله القسرى " المسلمين ضد الترك ، من أشد الحروب ضراوة فى شرق بلاد فارس و استشهد فيها الكثير من المسلمين حتى كتب الله النصر للمسلمين عام ٧٣٦ م وقتل فيها الخاقان الأعظم التركى[٩] .

ويبدو أيضا أن اليهود الفارين من الجزيرة العربية ، والفارين أمام الغزو الإسلامى لبلاد فـارس ومـا فى شـرقها فى أفغانستان وبلاد السند ، قد هاجر بعضهم إلى الهند وأقاموا بها مستعمرة يهودية بالقرب من بومباى .

والخلاصة التى توصلنا إليها ، أن اليهود الخارجين من أرض الجزيرة العربية ، هاجروا إلى المناطق التى يقطنها الوثنيون فى المقام الأول ، ففيها يستطيعون أن يعيشوا فى أمان مع عقيدتهم ويشتركون مع المشركين فى كراهية الإسلام والمسلمين .

★ ★ ★

كـان شعب الخزر الوثنى ، هو الموئل الأمثل لليهود الخارجين من الجزيرة العربية لعدة أسباب : أولها البعد عن المسلمين فى الجزيرة ، والمسيحيين فى الدولة الرومانية الشرقية ، فهما العدوان القويان . وثانى الأسباب أن الأرض الخزرية هى المجال الذى يتيح لليهود النازحين أن يفرضوا سيطرتهم بما يحملونه من عقيدة ومعرفة ، يجهل الشعب الخزرى الوثنى كل تفاصيلها .

كـان مـن أهـل خيبر الخارجين ، الأحبار الذين يجيدون فن السحر والتنجيم والذين يستطيعون بسهولة التأثير فى الشعب الخزرى وخاقانه الوثنى الجاهل . استطاع اليهود أن يقنعوا الخاقـان الخـزرى بفائدة اعتناق اليهودية ، فهو دين يحارب المسلمين والمسيحيين – أعـداء الخزر – وأن اليهود لهم ثقافة متميزة وأنهم أول حضارة دينية ، وهم شعب الله المختار .

يـبدو أن خاقان الخزر قد افتتن بسحرالأحبار اليهود ومنطقهم الذى ساقوه إليه إذا ما اكتسب هو وشعبه ميزة التهوّد أمام دينين آخرين يسعيان لغزو مملكته . والحجج التى يمكن أن يسـوقها اليهـود إلى الخاقان تبدو للجاهل الوثنى مقنعة وذات فائدة لتكوين إمبراطورية قوية بمساعدة أولئك القوم ذوى العلم والمعرفة ، وبما أظهروه من حنكه ومهارة فى شئون الاقتصاد وتنظيم التجارة وجمع المال خلال فترة وجيزة اقاموا فيها بأرض قبائل الخزر الوثنية .

تعلم الخاقان على أيدى الحاخامات من يكون موسى عليه السلام والدين الذى نزل عليه وكيـف كلّمه الله عزّ وجلّ ، وتعلم الأساطير التلمودية التى شنّف بها اليهود آذان الخاقان ، والـتى كانت كافية لكى يدخل الوثنى فى الدين اليهودى ، يشعر بالتميز بين أبناء جنسه من قـبائل الـترك الغـزّيّة الوثـنية فى تلك المناطق الشاسعة من العالم ، ويستطيع أن يقف أمام الإمبراطورية الإسلامية والإمبراطورية المسيحية ، بعقيدة إيمانية مماثلة لمعتقداتهم .

وعـــلى الجـــانب اليهـــودى ، فإلهم وهم الذين لم ينعموا بأرض يقيمون فيها آمنين بعد إخـــراجهم وتشتيتهم من فلسطين على أيدى المسيحيين ، وكذلك طردهم من أرض الجزيرة العربية على أيدى المسلمين ، كان حرص اليهود شديدا على أن تكون أرض الخزر هى الموطن الآمـــن والدائـــم لهـــم . لقد حرصوا على تغيير سياستهم بالتقوقع كالأجسام الغريبة داخل المجـــتمعات ، فقـــاموا بالتبشير بين شعب الخزر بدءا بملكهم "بولان" أو "بولخان" وحاشيته ، ثم امـــتد الأمـــر إلى أن يصبح الناس على دين ملوكهم ، فتهودت قبائل الخزر . شعر اليهود وقـــتها بـــأهم وســـط مجتمع يدين بدينهم ، وهم ـــ أى اليهود العرب ـــ قد أصبحوا النخبة العارفين ذوى الخبرة بين أمة كبيرة تسمع لهم وتطيع لهم ما يأمر به أحبارهم وما يخططون له .

★ ★ ★

عـــندما دخـــلت القـــبائل اليهوديـــة القادمة من خيبر ووادى القرى وتيماء ، حدود الإمبراطورية البيزنطية ، تفرّق اليهود فى أنحائها . كانت تلك الإمبراطورية ذات حدود متسعة وشاســـعة ، تســـيطر عـــلى الأناضـــول وشـــبة جزيرة القرم وأجزاء من إيطاليا والسواحل الأســـبانية الملاصـــقة للساحل الأفريقى المغربى ، والشام كلها ومصر كلها حتى النوبة جنوبا وبرقة غربا ، ومن طرابلس الغرب حتى سواحل المغرب على البحر المتوسط الذى كان يعرف ببحر الروم (١٠) .

لم يهـــدأ الاستعمار اليهـــودى عند دخـــوله نطـــاق الإمبراطورية الرومانية الشـــرقية – البيزنطية – فهم يعرفون تماما ، ما يكنه المسيحيون تجاههم من بغض وتجنب . ضرب اليهود مـــتفرقين فى أنحـــاء الإمبراطورية البيزنطية ، فسار جزء كبير منهم إلى مصر وبرقة ، ثم تونس فالجزائر فالمغرب وعبر منهم من عبر شواطىء أسبانيا التى كانت تعرف بدولة القوط الغربيين . كان القوط فى نظر الكنيسة الكاثوليكية هراطقة أو كفارا خارجين عن الدين المسيحى ، حتى استطاع الكاثوليك تحويلهم إلى ملتهم .

عندما تم فتح مصر فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه عام ٦٤١م ، كتب عمرو بن العـــاص إلى الخليفة يقول إن فى الإسكندرية أربعين ألفا من اليهود(١١) . لعل ذلك هوالسبب الذى أخر من فتح الاسكندرية على يد عمرو بن العاص حتى استطاع هزيمة الجيش الرومانى بها وفتحها المسلمون .

لم تكـــن تلك الأعداد اليهودية فى الإسكندرية مجرد أرقام أو تخيّلات ، بل حقائق . فإذا عدنا إلى التاريخ لعرفنا أن اليهود فقدوا استقلالهم مرة ثانية ، وهى المعروفة بفترة "المعبد الثانى" أثـــناء حرب الإسكندر الأكبر فى الشرق عام ٢٣٢ قبل الميلاد . أنهى الإسكندر حرية اليهود السياسية فقط وترك لهم الحرية الدينية ، لكن اليهود رفعوا راية العصيان أثناء حكم "بطليموس ســـوتر" الذى تولى حكم المنطقة بعد موت الإسكندر المفاجىء . استطاع بطليموس أن ينهى عصـــيان اليهـــود وأسر مجموعة كبيرة منهم أرسلهم إلى مصر وأسكنهم فى مدينة الإسكندرية ومنحهم الحرية فى شئون دينهم(١٢) .

ومن الواضح أن اليهود تسللوا من الإسكندرية ، إلى ليبيا ومنها إلى كل سواحل البلاد حـــتى مضـــيق جبل طارق ، ثم عبر بعضهم إلى أسبانيا ، كما نزحوا أيضا إلى القاهرة التى بدأ تأسيســـها على يد عمرو بن العاص باسم الفسطاط ، والتى تحولت فيما بعد إلى القاهرة إبّان العصر الفاطمى .ومع ازدياد العمران واتساع عاصمة مصر فى الفسطاط ، التى بدأت فى اتخاذ شـــكل حضارى بسرعة فائقة مع اتساع أرجائها وبناء العديد من أحيائها الجديدة(١٣) ، شجع ذلك العمران ، الكثير من اليهود على الرحيل إلى العاصمة المصرية القاهرة والإقامة فيها .

على الناحية الأخرى لما سافر إليها بعض اليهود الخارجين من الجزيرة العربية مطرودين ، نزح البعض غربا فى نطاق الإمبراطورية البيزنطية ، وإلى القارة الأوروبية عبرها . استقر البعض فى الأناضـــول والبعض فى شبة جزيرة القرم ، وتفرعوا منها شمالا وغربا فى هدوء واستكانه . كـــانوا يدركـــون مـــا أوقعـــه بهم المسيحيون من تنكيل وتقتيل على مدى الدهر منذ إعلان "دقلديانوس" عام ٢٨٤ م .المسيحية دينا رسميا ، وأصبحت القدس عاصمة مسيحية رومانية .

حاول اليهود الابتعاد قدر الإمكان عن المد الإسلامى الذى اجتاح العالم فى ذلك الوقت بهزيمة الفرس ، والالتفات الإسلامى نحو الإمبراطورية الرومانية الشرقية الذى بدأ بفتح الشام ثم مصـــر . توغـــل اليهـــود فى أوروبا مبتعدين قدر الإمكان عن النفوذ الإسلامى من جهة ، ومتجنّبين بكل الأشكال المباشرة وغير المباشرة الاحتكاك بالمسيحيين على الأرض الأوروبية ، فقد كانت النظرة المسيحية هى احتقار اليهودى أينما وجد ، بل إن الدول المسيحية أصدرت القوانـــين الـــتى تحـــد من نشاط اليهود وتحرّم عليهم الكثير من الحقوق الإنسانية ، والحكم بإعدامهم إذا ما ارتكبوا أى جرم عادى(١٤) .

كان خروج اليهود من الجزيرة العربية، خنجرا لايزال أثره فى صدرهم حتى اليوم يدمى ، لايستطيعون أن ينسوه . لقد فضحهم الإسلام بما جاء فى القرآن الكريم عنهم من حقائق يعرفونها وجرائم ارتكبوها منذ بعث موسى عليه السلام . ملأ الحقد قلوبهم تجاه كل مسلم ، خاصة بعد انتشار الإسلام فى أرجاء العالم بسرعة جارفة، يزيح أمامه رموز الشرك بالله ويدعو إلى التوحيد . كان الغلّ والحقد ضد المسيحيين أتباع عيسى عليه السلام ، قد ملأ قلوبهم من قبل ، لكن الحقد على المسلمين بات أشدّ وأعتى فى قلوبهم . كان أمام شيطانهم طريق واحد ، هو ضرب الإسلام بالمسيحية ، فيتفرق الجمع عنهم ، تاركين لهم الحبل على الغارب لنفث سمومهم بين البشر بهدف إفناء كل من هو غير يهودى ، فهم الذين يروّجون للسذّج من البشر بأنهم شعب الله المختار ، أوصدت أبواب الجنّة أمام كل البشرالآخرين بعد دخولهم هم ، وكأنهم يعرفون الغيب مسبقا ، ويتحكمون فى أقدار مخلوقات الله .

كان اليهود بحقدهم وغلّهم على المسيحيين والمسلمين ، كالشقيقين المقامرين اللذين امسك كل منهما بديك رماه فى حلبة ليتصارعا . يجمعان نقود المراهنات ويظل الديكان يتصارعان إلى أن يسقط أحدهما صريعا ، فيؤخذ الثانى وهو يصارع سكرات الموت ليذبح بالطريقة الشرعية ، ويقدم طبقا شهيا لعشاء السبت لأهل البيت من اليهود . ذلك هو التصور لما يحاول اليهود أن يفعلوه بنا نحن المسلمين والمسيحيين .

★ ★ ★

يمكن لنا بلورة النتائج التى ترتبت على خروج اليهود من الجزيرة العربية ، ودخول الحقد الدفين فى قلوبهم على الإسلام والمسلمين فى عدة أسباب لعل أهمها :

* كراهية محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذى ظهر من العرب فى الجزيرة ، ومن نسل إسماعيل عليه السلام ، وليس من اليهود المقيمين فى الجزيرة الذين كانوا ينتظرون ظهوره منذ قرون اعتقادا منهم أنه سوف يكون من نسل إسحاق عليه السلام(١٥) .

* كراهية دين الإسلام وأتباعه المؤمنين بالله وحده ، الذين يقودهم إيمانهم بالدين الجديد إلى منافسة اليهود فى الفوز بنعم الله ، التى يقصرونها على ديانتهم وحدها .

* كراهية عمر بن الخطاب ، خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم – رضى الله عنه – ، الذى طرد اليهود من الجزيرة العربية وحرمهم من أحلامهم فى استعادة مالهم ونفوذهم الضائع فى أرض العرب .

* الحقد على الخلفاء الراشدين ، رضى الله عنهم ، الذين قادوا المسلمين بعد وفاة النبىّ عـليه الصـلاة والسـلام ، فنشروا الدين الجديد فى زمن قياسى ، فتساقطت معاقل الشرك والوثـنية فى الأراضى المحيطة بالجزيرة العربية ، والاتجاه إلى نشر الدعوة فى كل أنحاء الأرض . سلك اليهود كل السبل للطعن فى رموز الخلافة الإسلامية واغتيالهم .

ولقـد بيّت اليهود النيّة على الانتقام من المسلمين ، مستغلين عدّة عوامل ساعدت على تنفيذ ما انطوت عليه سرائرهم ، ومن اهمها :

* سماحـة الإسـلام كدين يحقن دم ومال وعرض كل من أعلن إسلامه . استغل اليهود ذلك المبدأ فى دسّ المتظاهرين بالإسلام لتخريب الدين وتفريق صفوفه .

* اتساع رقعة الأرض المسلمة واختلاف القوميات التى جمعها الإسلام فى بوتقة واحدة ، مما سهّل على اليهود المنتشرين فىتلك القوميات ، الطعن فى الدين وفى رموزه .

*معـرفة اليهود العرب بلغة الضاد وأسرارها ، وسبر أغوار المعانى القرآنية التى تلاعبوا ببعضها – كما سبق وحرّفوا فى التوراة – بهدف خدمة يهوديتهم ، لكن الله بعزّته حفظ لكتابه العزيز أصوله المنزّلة التى لن تتبدل حتى يوم الدين .

* دس أحـاديث نسبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لخلق نوع من البلبلة بين المسلمين لزعزعة الإيمان ، وهى التى تعرف بالإسرائيليات . وقد تصدى السابقون من العلماء – رضى الله عنهم – لتلك الأحاديث وتفنيدها .

* سماحة الإسلام فى احترام الديانة اليهودية – كأهل كتاب – ، الذى مكن اليهود من العيـش وسـط المسـلمين والوصول إلى تولّى المناصب الاستشارية المؤثرة فى أروقة الحكم الإسلامى واستغلالها فى تغيير مسار الحكام من التمسك بنعمة تطبيق الخلق الإسلامى ، وتحويلها إلى شـعاب التعـلق بملذات الحياة الدنيا ، فأتاح لهم تفتيت الوحدة الإسلامية التى جمعت أمّة واحدة على شعار واحد : لاإله إلا الله . محمد رسول الله .

كـــان عـــلى أحبار اليهود العرب ، بعد طردهم من الجزيرة العربية ، البحث عن كيفية اســـتغلال كـــل العوامل الممكنة التى تساعدهم على الانتقام من الإسلام . كان عليهم أولا ، أن يبحثوا عن مكان آمن يضمهم – إلى حين – للتفرغ والبحث عن تلك الوسائل .

★ ★ ★

جاء خروج اليهود من الجزيرة العربية فى قوافل عدة ، خروجا آمنا ، مثل خروجهم من مصـــر . تولى الله عزّ وجلّ بنى اسرائيل المؤمنين من مصر ، رعايتهم إكراما لنبيهّم موسى عليه الســـلام ، وكان خروجهم الآمن الثانى من الجزيرة العربية فى ظل رحمة الإسلام الحنيف بأهل الذمة .ويقودنا هذا الأمر إلى التعرض إلى الخروج الأول للمؤمنين من مصر والمقارنة بينهما من ناحية التطابق السلوكى اليهودى .

عـــندما خرج المؤمنون من مصر هربا من الفرعون ، غلبت عليهم صفات عدة ، أشار القرآن الكريم إليها فى بعض الآيات إجمالا وفى البعض تفصيلا . ومن تلك الصفات ، بل أبرزها ما يلى :

أولاً : أنهـــم سرقوا مجوهرات المصريين غير الخارجين والباقين فى مصر . وكانت نتيجة ذلك ، عودة الخارجين إلى الكفر بالله وبتوحيده ، وصناعة العجل من الذهب المسروق وعبادة الكثير منهم له .

ثانيًـــا : أن الكثير من الخارجين ، كانوا من المتشككين فى دعوة رسول الله موسى عليه الســـلام بالتوحيد ، ورغم ذلك فقد خرجوا معه . هذا دليل على أن الخارجين من تلك الفئة كـــان خـــروجهم هربا من ظلم الفرعون فى المقام الأول ، وأملا فى حياة أسعد يحلمون بها فى الأرض التى وعدهم بها الله على لسان موسى عليه السلام ، تفيض لبنا وعسلا .

ثالثًا : أنهـــم كانوا من العصاة ، فقد رفضوا اللبن والعسل الذى بعث به الله لهم وطلبوا طعـــامهم العادى الذى اعتادوه فى مصر وهو أدنى من الذى رزقهم به الله . ورفض رؤساؤهم قـــبول التوراة إلا بعد أن رفع الله الجبل فوقهم ، فرضخوا جسدا وأبوا روحا وقلبا . وهو ما تمخض عنه تحريف التوراة التى انزلت على نبّى الله موسى عليه السلام فيما بعد ، واستبدلت بتعالـــيم ســـلالة تلك الفئة العاصية من رؤساء اليهود ، بالتلمود والبروتوكلات وغيرها من التعاليم التى لاتقيم وزنا للقيم التى جاء بها موسى عليه الصلاة والسلام .

رابعًا : أنهم كانوا فرقا وشيعا مختلفين ، ميالون إلى العنف والاقتتال . كان ذلك سببا فى أن يهبهم الله اثنتا عشرة عينا من الماء ليشربوا منها فلا يتنازعوا ، وجعل لكل عين منها مشرفا من آل يعقوب عليه السلام ، الأسباط الذين من المفروض أن يكونوا من المؤمنين بدعوة آبائهم إبراهـيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب عليهم السلام ، حتى يستطيعوا أن يوجهوهم إلى الإيمان والتعاون والعمل بما جاء فى الدين من قيم . الله أعلم بهم . فالله سبحانه وتعالى له العلم وحده .

خامسًا : أنهم كانوا يميلون إلى سفك الدماء فقد قتلوا بعضهم البعض ، إذ قام كل من لم يعـبد العجـل بقتل عدد ممن عبدوه ، يردون ذلك إلى محاولة إرضاء الله شكلا ، أما ما فى قلوبهم فلا يعلمه إلا خالقهم عز وجل . وقتل ابن الأخ عمّه ليرثه ، ومحاولة إلصاق تهمة القتل بآخرين من ملته، مثل آخر ، ففضحه الله فى قصة البقرة عندما أحيا المقتول ليشير إلى القاتل .

سادسًا : أنهم جبلوا على الاعتقاد والتأكيد بأنهم شعب الله المختار ، وأن الله الذى فلق لهم البحر بعزته ، وبعث لهم بالأكل والشرب فى صحراء قاحلة ، عليه ـــ سبحانه وتعالى ـــ أن يـؤدى لهم كل شىء . رفضوا القتال كما أمرهم نبيهم عليه السلام ، طالبين منه ومن الله عزّ وجلّ أن يقاتلا لهم ، فشتّتهم ربهم أربعين سنة فى الصحراء ومات كل من عصى ، سوى اثنين من المؤمنين أعوان رسول الله موسى عليه السلام . ورغم ذلك ، فإن سلالة من بقى من أولئك الخـارجين من مصر ، عصوا نبيهم يوشع بن نون عليه السلام عندما أمرهم بالسجود لله بعد انتصارهم ، فبدّلوا كلام الله وأوامره استهزاء وعصيانا ، فأرسل الله عليهم الرجز عقابا لهم . أى أن العصيان يجرى فى دماء تلك الفئة وسلالاتها على مّر الأيام .

لا يتسـع المجـال هنا لذكر تفاصيل عصيان اليهود على مدى الدهر ، فلقد ضرب لنا القـرآن الكـريم تفاصيل ذلك العصيان ، وإنما خلاصة ما سبق ذكره تدل على أن الفئة التى وصـفت عند خروجها من مصر بأنهم بنو إسرائيل ، هم فى الواقع أولئك الذين خرجوا تلبية لدعـوة موسى ، الحفيد الخامس ليعقوب المسمى بإسرائيل ، عليهما السلام ، وهى كناية عن أولـئك الذين آمنوا بالتوحيد الذى جاء به إبراهيم ثم يوسف عليهما السلام إلى أرض مصر وانتهت برسالة موسى عليه السلام إلى تلك الفئة المؤمنة فخرجوا معه وبغض النظر هل كانوا كـلهم مـن سلالة يعقوب أو كان أغلبهم من أولئك المؤمنين الهاربين من جبروت الفرعون ، والمـرغمين عـلى عبادته هو بما يتعارض مع عقيدتهم بالتوحيد . وخير دليل على غدر رؤوس الأسباط ما ذكره القرآن تفصيلا فى قصة يوسف عليه السلام وكيف تآمر إخوته – الأسباط –

عـــلى قـــتله ، والكذب على أبيهم ، وحقدهم على يوسف وما إلى ذلك من تبيان أخلاقهم الـــبعيدة كل البعد عن مسلك أبيهم يعقوب عليه السلام . وتحكى التوراة – وهى لاتُكذب ولاتصـــدق – أن أولاد يعقوب عندما كانوا فى طريق عودهم إلى جدهم إسحاق عليه السلام نزلوا فى ضيافة إعرابي أراد الزواج من أختهم ، فطلبوا منه أن يختتن هو ورجال قبيلته كعرفهم، حتى يمكنهم تزويجه أختهم والتهز الأسباط فرصة توجّع الأعراب فقتلوهم ونهبوا أموالهم [١٦] . تـــلك هـــى الأخـــلاق العامة التى سار عليها اليهود منذ القدم وبالطبع ، فقد سرت فى دماء سلالتهم على مدى الأجيال التى عاشوها جذور الغدر والكذب .

المـــراد مما سبق ، هو تبيان خصائص الخارجين مع رسول الله موسى عليه السلام . فقد انحصـــرت صـــفاهم العامة فى أن أغلبيتهم كانوا من السارقين والقتلة والعصاة ومدبرّى الفتن وادعاء الإيمان ، وتغليف تلك الصفات ، التى تضادت تماما وما أنزله الله عزّ وجلّ على موسى عليه السلام فى التوراة ، بأهم شعب الله المختار. لهم وحدهم الجنة ونعيمها جزاء إيمانهم ، وأن سواهم ، هم الكفرة الذين لايستحقون الحياة .

وعـــندما نراجع تاريخ اليهود مراجعة واعية ، نجد أن تلك الصفات التصقت بسلوكهم على مدى السنوات منذ الرسالة الموسوية وحتى يومنا هذا ، وإلى يوم الدين إن شاء الله ، والله وحده أعلم . كان ذلك السلوك هو الدافع إلى تخريب الدين المسيحى الذى جاء به رسول الله عيســـى ابن مريم عليه السلام ، ثم المحاولة مع الدين الإسلامى الذى جاء به خاتم الأنبياء محمد صـــلى الله عليه وسلم . كان الباعث على السلوك اليهودى إلى تخريب الدينين ، هو الانتشار السريع للدينين السماويين بين البشر ، كُلّ وقت نزوله إلى الأرض . كان الحقد على المسيحية شـــديدا مع حملات الانتقام من اليهود بعد محاولات تخريبهم لدين السيد المسيح وشق صفوف المؤمـــنين منهم . ثم جاء انتقام اليهود من المسلمين ، الذى جاء دينهم شاملا جامعا ، ينتشر فى الجزيـــرة العربية بين العرب الذين أطلق عليهم يهود يثرب اسم الأمّيين . دين أشمل وأعم عما أنـــزل عـــلى موسى عليه السلام ، بكتاب لن يستطيع البشر أن يحرّفوا فيه ، فقد حفظه الله ولا تبديل لكلماته .

إن الحصار اليهودى للمسيحيين والمسلمين ينبعث من عقيدهم الراسخة فى أذهاهم بأهم شعب الله المختار ، وأن الله سوف يغفر لهم كل ما يرتكبوه من أعمال . كفروا من قبل فعفا الله عنهم ، وعصوا الله ورسوله موسى فعفا الله عنهم ، وقتلوا النفس البشرية دون رحمة أو ذنب

فعفا الله عنهم ، فلماذا لايعفو عنهم خالق السموات و الأرض كلما ارتكبوا ما يرتكبون ؟ إنهم على اعتقاد راسخ فى أذهانهم بأن الله سبحانه وتعالى يقبل منهم كل ما يقترفوه ويعفو عنهم ويدخلهم جنته . هكذا أفهمهم أحبارهم فآمنوا بما قيل لهم ، ونسوا ما أمرهم به الله عزّ وجلّ .

★ ★ ★

عـــندما خـــرج اليهـــود مـــن الجزيرة العربية وأحسوا بضعفهم أمام الدينين الإسلامى والمسيحى ، اتجهوا إلى الوثنيين من قبائل الخزر فهّودوهم ، وهى حركة التهويد الأولى والأخيرة فى الـــتاريخ اليهـــودى ، بهـــدف واحـــد لا شيء سواه ، وهو البحث عن حليف قوى يحقق أغراضـــهم وأطماعهم فى الانتقام من المسلمين و المسيحيين على حد سواء . وجدوا فى قبائل الخزر التركية صفات تشابه صفاتهم : السرقة والنهب والقتل والكفر والعصيان والدسيسة .

لم يختـــر اليهود الجدد من الخزر والشرذمة المطرودة من الجزيرة العربية الحرب مع أتباع الدينين الآخرين ، فلقد جرّبوها مرارا بلا فائدة . اتجهوا إلى ناحيتين مختلفتين :

الأولى : التخريب الداخلى للدين بهزّ العقيدة ، بهدف واحد يدور فى رؤسهم انطلاقا من نظـــرية شـــعب الله المخـــتار المنادية بأنهم الوحيدون الداخلون إلى الجنة . هدفهم زرع الكفر والإشراك بالله بين أصحاب الدينين الأخرين لحرمانهم من دخول الجنة .

الـــثانية : الإيقاع بين أصحاب الدينين الآخرين وإيجاد العداء المستمر والمستعر بينهما ، تصورا من اليهود أنه حل مناسب للخلاص منهما .

استطاع اليهود بتخطيطهم المتميز فى الشر ، الاعتماد على عدة عوامل أهمها :

* التســـلل إلىالدينين بالاعتناق الظاهرى لهما ، وبث النظريات المختلفة التى تؤدى إلى انشقاق صف أبناء الدين الواحد كخطوة أولى ، ثم العمل على زرع آراء ونظريات فى الدينين تؤدى فى النهاية إلى التفرقة والاختلاف والشقاق والحرب .

* التســـلل إلى اتـــباع الدينين ، بزرع المبادىء والأفكار الهدّامة الداعية إلى الابتعاد عن الديـــن ، سواء سياسية أو فكرية أو ثقافية ، تؤدى فى النهاية إلى السلوك الاجتماعى اللا دينى بـــين أبناء الدينين . كان ذلك مؤخرا عن طريق المبادىء الشيوعية ونشر الإباحية وتحقير القيم أو التشدد فى تطبيق تعاليم معينة ، وهى طرق تؤدى كلها إلى ابتعاد البشر عن تطبيق مبادىء

لأديـــان السمحة على سلوكهم الإنسانى اليومى . وهو ما يتجه إليه البشر مؤخرا مع شديد الأسف بلا إدراك أو وعى لما يخططه اليهود .

* دفـــع البشر إلى التهافت على الناحية المادية فى حياقم وسلوكهم ، وهى التى تنعكس بالتبعية على الاهتمام بحياقم الدنيوية وحسب ، دون العمل على الالتزام بالنواهى والمحرمات ، وهو ما يلمسه الإنسان فى الحياة اليومية الحالية مع شديد الأسف مرة ثانية .

* دفع بعض أتباع الدينين إلى تمجيد اليهودية كدين وحيد يدخل أصحابه الجنة وحدهم ويعملون لحساب اليهود عن إيمان باطل ، إما عن جهالة ، وإما عن اقتناع . مثلهم فى المسيحية شـــهود يهـــوا ومؤخرا المسيحيون اليهود وغيرهم ، ومثلهم فى الإسلام كالإسماعيلية والبهائية والقاديالية وغيرها من الفرق الباطنية .

★ ★ ★

هناك فرض علمى يقول إن جماعة دينية تعيش بين جماعة اجتماعية أكبر تعتنق دينا آخر ، لايمكن أن تكون جيبا اجتماعيا على الرغم من دينها المخالف ، أى أن اختلاف الدين بين أبناء المجـــتمع الواحد ليس مبررا لادعاء الاستقلال الحضارى والتمايز الاجتماعى والثقافى ، إذ إن الثقافة الفرعية للأقليات الدينية تصبّ عادة فى المجرى العام لثقافة المجتمع ككل(١٧) .

نجد فى المجتمع اليهودى ، أن لهم جميعا صفات مشتركة واحدة ، سواء كانوا من سلالات الخـــارجين من مصر او من سلالات النازحين من الخزر . لم تجمعهم صفات عرقية أو جنسية أو ثقافيـــة واحـــدة ، وإنما جمعتهم صفات مكتسبة و موروثة هى استغلال أموال الغير ، قتل الـــنفس بغير حق ، الاستهزاء بكل القيم ، واعتبار غيرهم من الكفار . فهم شعب الله المختار على اعتقادهم ، وهى صفات كفيلة بتكوين مجتمع مستقل وغير متفاعل مع الباقين من البشر. ولعل أبلغ دليل على ذلك هو عيد (صوماريا) أو (الكيبور) الذين يزعمون فيه أن الله تعالى يغفـــر لهـــم فى هـــذا اليوم جميع ذنوبهم . فى هذا اليوم ينقض اليهود عهودهم ومواثيقهم التى قطعوها لغير اليهود وأكل الديون التى عليهم لغير اليهود(١٨) .

يقول عالم النفس الشهير سيجموند فرويد فى رسالة له بتاريخ ٦ مايو ١٩٢٦ :

" لابـــد لى أن أعـــترف أن ما يربطنى باليهودية ليس الدين اليهودى ولا حتى الكبرياء الوطـــنية ، فقد ظللت دائما غير مؤمن وشببت دائما بدون دين ، ومع ذلك بقى عندى دائما

مـــا يكفـــى لأن أعجـــز عن مقاومة جاذبية اليهودية واليهود ، والآن تظل كثيرا من القوى العاطفية المظلمة تزداد قوة

بازديـــاد عجزى عن التعبير عنها بالكلمات ، فضلا عن الوعى الواضح بالهوية الداخلية والإدراك بتشابه التركيب النفسى" .

ويعـــبر أيضـــا عن ذلك ، القس ليفى بارسونز – اليهودى المتنصر – عشية رحيلة إلى الأرض الموعودة بقوله (فى صدر كل يهودى تعتمل رغبة لا سبيل إلى التغلب عليها للعودة إلى الأرض التى أعطاها الربّ لآباء اليهود والإقـــــامة فيها ، وهى رغبة لن يمحوها حتى التحول إلى المسيحية)[١٩] .

ويقـــول أرنولد توينبى فى كتاب (مختصر دراسة للتاريخ)[٢٠] فى هذا الأمر ، أن اليهود انقسموا إلى مجموعتين . الأولى ترى حتمية اندماجهم فى المجتمعات التى يعيشون فيها والاحتفاظ بديانـــتهم اليهوديـــة ، بيـــنما تغـــلب رأى المجموعة الثانية – الصهيونية – المنادى بأن فكر الاندماجيين – الفئة الأولى – يُشوّه شخصية اليهودى دون أن تكون لدية أى نية فى اكتساب شخصـــية الدولـــة التى يعيش فيها . وإذا أراد اليهود أن يصبحوا مثل بقية الأمم الأخرى . فأحرى أن تنفذ عملية الاندماج على أساس قومى لا فردى .

إن تشابه التركيب النفسى الذى عبّر عنه أشهر علماء النفس فى العالم بين اليهود ، هو ما حاولت أن أرسمه لهم من الصفات المشتركة الواحدة التى سرت فى دمائهم .

فالسلوك اليهودى ذو طابع خاص يحتم عليهم تكوين مجتمع متميز غير متفاعل مع الغير . قـــلاع وحصـــون ، يتصورون استحالة اختراقها ، لكنها اخترقت على مدى التاريخ الطويل حصـــنا بعد آخر ، سواء أكانت حصون المدينة وما حولها أو قلعة الموت ، أوحصون الجيتو فى كـــل بـــلاد أوروبا . يجمعهم الله عزوجل فى حصن فلسطين المسّمى بإسرائيل . لعل الله يجعل اخـــتراقه قريبا إن شاء الله . ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴾ « صدق الله العظيم » .

★ ★ ★

هوامش الفصل الثانى

(١) الفدع : الخلع

(٢) انظر الكتاب (اليهود أعداء محمد صلى الله عليه وسلم) للمؤلف ص٩٧ / ٣٠٤

(٣) انظر (السيرة النبوية) لابن هشام ج ٣ ص ١٢٤

(٤) انظر كتاب (تاريخ الخلفاء) للإمام جلال الدين السيوطى ص١٢٤

(٥) لايستبعد أبدا أن يكون أبو لؤلؤة المجوسى الذى اغتال عمر رضى الله عنه قد تهود ، أو ماجورا من اليهود لقتل خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم انتقاما لطرد اليهود من أرض الحجاز ، وقد نشرت مجلة (الوعـــى الإسلامى) مقالا بقلم سامى الجيتاوى بعنوان (دور اليهود فى اغتيال الخليفة عمر بن الخطاب رضـــى الله عـــنه) أبرز فيه ما ذهب إليه التآمر اليهودى على قتل خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وســـلم ، مـــن معـــرفة كعب الأحبار اليهودى بمقتل عمر رضى الله عنه قبل اغتياله بثلاثة أيام على يد أبي لؤلـــؤة المجوسي .مثبتا أن الاغتيال تم بتدبير اليهود وتنفيذ المجوس اللذين حقدا على أمير المؤمنين الذى فـــتح فـــارس وطرد اليهود . ذلك الحادث الذى هزّ الأمة الإسلامية والذى تبعه اغتيال عثمان بن عفان رضى الله عنه على يد اثنين من اليهود .

انظـــر (مجلة الوعى الإسلامى) الصادره عن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت – العدد ٣٩٩ الصادر ١٩٩٩ ص٥٤/٥٧ .

(٦) انظر (البداية والنهاية) للإمام ابن كثير ج٧ ص٣٣/٣٥ .

(٧) المصدر السابق ج٧ ص٩٦ .

(٨) انظر (أطلس تاريخ الإسلام) د. حسين مؤنس ص١٢٨/١٢٩ .

(٩) انظر (البداية والنهاية)لابن كثير ج٩ص٣٢٥/٣٢٦ .

(١٠) انظر (أطلس تاريخ الإسلام) د. حسين مؤنس خريطة ٢٨ ص٤٤ .

(١١) انظـــر كـــتاب (اليهود فى مصر منذ الفتح الإسلامى حتى الغزو العثمانى) د. قاسم عبده قاسم ص٤٠ وذكـــر المؤلف أن بعض المصادر قد قدرت رقم اليهود المقيمين بالإسكندرية فى ذلك الوقت بسبعين ألف يهودى ، وهو رقم يعكس مدى التواجد المكثف لليهود على أرض مصر فى ذلك الوقت.

(١٢) انظر كتاب (الصهيونية وتركيا) د. ياشار قوطلى آى – ترجمة د. أحمد فؤاد متولى ص١٦/١٧ ويذكر المـــترجم فى تقـــديم الكتاب : الكتاب علمى محايد . يذكر المؤلف فيه الحقيقة . خاصة بعد أن ذهب إلى إســـرائيل واطلع على وثائقها ومذكرات مؤسسيها . وقد حارب اليهود هذا الكتاب بكل قوتهم فجمعوه

من المكتبات عن طريق الشراء وحرقوه ، واستطاعوا أخر الأمر أن ينالوا من مؤلفه الذى اختفى فجأه فى عيـــد الفطر ولم يعد للظهور . وقد حدث ذلك بعد أن أثار الكتاب فى تركيا حملة من الغضب والكراهية على اليهود فيها .

(١٣) انظر كتاب (مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية) محمد عبد الله عنان ص١٦/٢٠ .

(١٤) انظر كتاب (اليهود تاريخا وعقيدة) د. كامل سعفان ص٥٩/٦٩ .

(١٥) كـــل الأنـــبياء من أسباط بنى إسرائيل عليه السلام عدا عشرة : نوح وهود وصالح وشعيب وإبراهيم ولوط وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ومحمد عليهم أفضل الصلاة والسلام .

(١٦) انظـــر (تفســـير القرآن العظيم) للإمام ابن كثير رضى الله عنه ج١ص١٧٨ ويهمنا هنا إبراز أن عادة الختان التى سنّها إبراهيم عليه السلام للمسلمين لم تُفرض عليه إلا بعد عودته من مصر فاختتن ابنه إسحاق ثم حفيـــده يعقوب عليهما السلام .ثم صارت سنة يتبعها كل من آمن بدين الخليل عليه السلام . وفى هذا الأمر تدبير من الخالق عزّ وجلّ الذى قدّر من قبل أن يعقوب وبنيه سوف يعيشون بين أهل مصر مستقبلا وأنهم سوف يندمجون مع ذلك الشعب الوحيد الذى يمارس ختان الذكور فى ذلك العصر ، والله أعلم .

(١٧) انظـــر كتاب (اليهـــود فى مصر منذ الفتح الإسلامى حتى الغزو العثمانى) د. قاســـم عبـــده قاســـم ص٥٧ /٧٧

ويحاول الكاتب إثبات أن اليهود فى مصر كانوا ضمن النسيج الاجتماعى المصرى خلال تلك الفترة مع أن الكتاب احتوى فى ثناياه من الأحداث ما يثبت عكس ما حاول الكاتب إثباته . إن نزوح اليهود من مصـــر رغـــم أعدادهم الكثيرة التى ذكرها فى كتابه القيّم هو خير دليل على أنهم ليسوا أبدا من النسيج الاجتماعى المصرى .

(١٨) المصدر السابق ص٤٦/٤٧ .

(١٩) انظر كتاب (يهود اليوم هم يأجوج ومأجوج) فهد السالم ص٦٢ .

(٢٠) انظر كتاب (مختصر دراسة للتاريخ) أرنولد توينبى – ترجمة فؤاد محمد شبل ج١ ص٢٣١/٢٣٢ .

(٢١) سورة الإسراء :من الآية ٧

الفصل الثالث

خاقان الخزر اليهودى

الحديث عن إمبراطورية الخزر اليهودية التىقامت فى القوقاز ، يدعونا إلى أن نتعّرف أولا على الشكل العام للمنطقة الهامة من العالم التى جرت فيها أهم أحداث القرون الوسطى – فى بداية القرن السابع الميلادى . كان العالم فى ذلك الوقت تحت رحمة إمبراطوريتين كبيرتين : الفارسية أو الساسانية ، والرومانية الشرقية أو البيزنطية . الأولى وثنية تعبد النار ، والثانية مسيحية تعبد الله . إمبراطورية كافرة وإمبراطورية مؤمنه ، وبينهما بلاد العرب .

كانت دولة الروم البيزنطية هى شرق العالم الأوروبى الذى تكون من السكسون فى نصف الجزيرة الإنجليزية وهولندة وجزء كبير من ألمانيا الحالية ، وكان للألمان دولة صغيرة ، كذلك كان اللومبارديون فى أجزاء من إيطاليا ، ثم دولة الفرنجه فى فرنسا ، ودولة القوط الغربيين فى اسبانيا والبرتغال ، بينما عاشت فى الشمال من القارة الأوروبية دولة الصقالبة ، والآفار فى وسط القارة . شكّل شعب الكلت سكان استكلندا وإيرلندا ، بينما عاشت فى أقصى شمال القارة ، قبائل بربرية أطلق عليها اسم الفايكنج .

وكانت دولة الفرس هى الغرب من آسيا ، وشرقها دولة "هارشا" فى شبه القارة الهندية ، ثم بلاد التبت فالصين . وفى الشمال الشرقى كانت بلاد المغول وشرقها إمبراطورية الهون ، ويحدها جميعا من الشمال أجناس من الترك الشرقيين والغربيين . كان الترك الغربيون أكثر عددا وأكبر أرضا .

جاءت قبائل الخزر بين الإمبراطوريتين الفارسية والبيزنطية ، ما بين بحر قزوين – الذى كان يعرف ببحر الخزر – والبحر الأسود – الذى كان يعرف باسم بحر بنطش – وامتدت قبائل الخزر من حدود الدولتين لتنتشر فى بقية القارة الآسيوية المأهولة فى ذلك الوقت[1] .

امتدت دولة الفرس التى كانت تشمل العراق وإيران وأذربيجان وأفغانستان ، وتقف عند حدود المغول والصين ، فجاء المسلمون وفتحوا بلاد فارس فدخلت فى الإسلام وأصبحت حدود الإسلام من الشرق : الصين والهند ، ومن الشمال الشرقى : المغول ، ومن الشمال : قبائل الخزر ، ومن الغرب : الدولة البيزنطية .

فتح المسلمون جزءا من الإمبراطورية البيزنطية المتاخمة للجزيرة العربية فأسلمت الشام ومصر ، وتسلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه بيت المقدس وجعله تحت حماية المسلمين .

ومن المهم أيضا أن نتعرّف على القبائل التركية التى سيطرت على نصف ما يعرف بإيران الحالية من الشمال ، وعلى القوقاز من شمالها الغربى ، فلقد لعبت تلك القبائل بأعدادها الهائلة من البشر ، دورا هاما فى تشكيل هذا الجزء الحيوى من العالم .

تكوّن الترك من عدة أجناس ، أولها جنس "الهياطلة " وينقسم إلى قسمين : قبائل الشمال وملكهم "زونبيل" ، وقبائل الجنوب "زابليين" وكان أصل هذة الفئة من سكان وسط آسيا ، فهاجروا إلى شمال الهند ، ثم امتدوا غربا وهاجموا إيران وهزموا جيوشها وقتلوا ملكها "فيروز " فى معركة كبيرة عام ٤٨٤م . وأصبحوا سادة شرق بلاد إيران . وتعرف هذه الأصناف من الترك باسم الترك الشرقية .

أما الترك الغربيون ، فهم الذين انقسموا إلى الترك :" بختيون "، والترك "كوشان " وكانت أراضيهم فى خوارزم وداهستان شرق بحر الخزر ، ويعرفون فى تلك المناطق باسم الترك الغزّية [٢] .

كان على المسلمين عند فتح فارس أن يلتقوا بالترك الوثنيين[٣] ، فدارت على مدى سنوات خلافة الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم وخلفاء بنى أمية من بعدهم ، معارك طاحنة بين جيوش المسلمين وجنود الترك فى شرق فارس ثم مع الترك الآخرين فى بلاد شرق بحرقزوين . حروب هائلة ظلت مستمرة مع الترك إلى عام ٧٢٥م حتى تم فتح بلاد الترك جميعها ودخلت فى الإسلام . وفتح المسلمون أرمينيا عام ٦٤١م، ثم قام المسلمون بفتح أذربيجان عام ٦٤٦م . على يد الوليد بن عتبه ، فأصبح المسلمون وجها لوجه أمام الخزر الوثنية المتهودين .

لابد لنا من وقفة ضرورية لتوضيح أمر فى غاية الأهمية بالنسبة للباحث ، وهى أن المؤرخين العرب لم يسلطوا الضوء أثناء تناولهم الحروب مع الترك ، على نوع القبائل التركية ،

وإنما أطلق الاسم على كل الأجناس التركية بما فيها ، بل أولها الخزر المتهوّدين . وقد أدى ذلك – وكل المؤرخين قد نقلوا عن المؤرخين العرب – إلى عدم تبيان تفاصيل الحروب الطاحنه التى دارت مع الخزر على وجه التحديد نتيجة ذلك التداخل فى تحديد هوية الترك .



استوطنت قبائل الخزر ، وهم فرع من الترك الغزّية ، موقعا استراتيجيا رئيسيا فى المدخل الحيسوى بين البحرين الأسود وبحر قزوين ، إذ إنها أصبحت حاجزا هاما ، حمى الإمبراطورية البيزنطية من هجمات القبائل البربرية الأشداء أهل السهول الشمالية من البلغار والمجريين الهون ثم من الفايكنج والروس فيما بعد .

كـانت بلاد الخزر تقع عبر الخط الطبيعى لزحف العرب . الذين اكتسحوا أمامهم كل شىء حتى وصلوا إلى الحاجز الكبير المتمثل فى جبال القوقاز ، حيث تسكن قبائل الخزر لنحو مائـة عـام ، لم يـتعرض المؤرخون لتفاصيلها بالقدر الكافى ، إلاأنها كانت فى نظر المؤرخين والساسـة الغـربيين ذات أهمية كبرى . فهم يجمعون أنه لولا وجود شعب الخزر فى الإقليم الشـمالى مـن القوقاز ، لالتفّت الجيوش العربية حول بيزنطة ولتغيّر تاريخ العالمين المسيحى والإسلامى(٤) .

التحليل اليهودى لأهمية التواجد الخزرى فى تلك المنطقة يعود إلى أنهم لعبوا دورا هاما فى السياسة الدولية ، وحرص حكام الإمبراطورية الرومانية الشرقية على التحالف مع الخزر طيلة الفـترة الممتدة من القرن السابع إلى القرن العاشر الميلادى .كثيرا ما اشترك الخزر فى الحروب ضد أعداء الإمبراطورية البيزنطية التىتدين لهم بكثير من الفضل فى بقائها صامدة أمام الهجمات المتـتالية التى شنها عليها الفرس من جهة ، والعرب من جهة أخرى ، ووقف الخزر سدا منيعا حـال دون زحـف العرب نحو القوقاز . فلولا وجود الخزر فى الإقليم الشمالى من القوقاز ، لطوّق العرب بيزنطة(٥) .

ما يفكر فيه الغرب ، أو المفكرون اليهود ، يتعارض مع الفكر الإسلامى بالقطع . فبينما يتصور مفكروا العالم غير الإسلامى أن دولة الخزر كانت حاجزا أمام عدم تطويق الإمبراطورية الـبيزنطية ، نرى نحن أن هذا الأمر لم يكن بذى بال لدى المسلمين . فمن المعروف تاريخيا أن "الجـراح الحكمـى " دخل بجيش المسلمين أرض الخزر عام ٧٢٤م فأعطى الخزريون الجزية والخراج، كذلك قام الخليفة الأموى مروان بن محمد، المعروف تاريخيا باسم(مروان الحمار)(٦) ،

بغـــزو بـــلاد الخزر عام ٧٣٤م . عندما كان يتولى إمارة أذربيجان وأرمينيا ، فأعلن الخاقان الخـــزرى عن اعتناقه الإسلام وعاد الجيش الإسلامى إلى " أردبيل" ، وهى البلدة التى اتخذها المسلمون قاعدة لهم فى أذربيجان على حدود الخزر .

والمتتـــبع لتاريخ تلك الفترة يلاحظ اطلاق اسم "الترك" على كل القبائل التى أحاطت بالأراضـــى الفارسية فى تلك الحقبة من التاريخ ، فيصف الكتّاب قبائل الخزر أحيانا بالترك ، خاصة وأن ملوك القبائل التركية كان يطلق عليهم اسم "الخاقان" ملحوقا باسم القبيلة ، وكان مـــلك الخـــزر قـــد تسمى هو الآخر بخاقان الخزر . وعلى ذلك فإن الحروب التى دارت بين المســـلمين و"الترك" فى المنطقة شمال أذربيجان وأرمينيا هى ما يقصد بها بلاد الخزر ، التى أشار إليها المؤرخون العرب فى سرد تاريخ الحروب الإسلامية فى تلك الفترة، بأنهم قبائل من الترك .

كان المسلمون يحاربون الخزر بقصد وحيد هو الدعوة إلى الإسلام ، فيضطرون للحرب عـــندما يقـــاوم القوم دعوة الإسلام فيناجزوهم بالسلاح . كانت الدولة البيزنطية فى مواجهة المســـلمين فى ذلـــك الوقت وليسوا فى حاجة إلى تطويقها كما يدّعى مؤرخوا الغرب . يفتح المسلمون البلد ويعرضون الإسلام على أهله ثم يدعوهم وشأنهم حتى يقتنعوا بفضائل الإسلام الإنســـانية عـــلى مهل . فالإسلام دين طيار ، دين يعطى ولايأخذ ، ينتقل من مكان إلى آخر وبسرعة هائلة بفضل قوته الذاتية ودعوته السلمية بين الناس(٧) .

ويؤيـــد هـــذا الرأى ، أن المسلمين اكتفوا بإعلان الخاقان الخزرى لإسلامه ، فعادوا إلى أرضهم لإسباب سياسية داخلية بينهم . فقد شهدت تلك الفترة تكالب العباسيين على الأمويين ممـــا اضـــطر العرب إلى ترك مهمة إسلام الخزر إلى خاقانهم الذى أعلن الإسلام ظاهريا ، وهو الذى ارتد عنه بعد تولى العباسيين الخلافة ، وموت مروان الحمار ، ثم سعى خاقان الخزر إلى إقامـــة علاقات وديّة مع الخلافة الإسلامية العباسية فى أواخر القرن الثامن الميلادى وحرصوا عـــلى المحافظة عليها ، مستبدلين الحرب مع المسلمين بتقديم الهدايا ، فرضى العباسيون بذلك تجنـــبا لفـــتح جبهات جديدة على المسلمين ، وهم يتخوفون من التتار من جهة ، وينشغلون بالخلافات داخل الدولة الإسلامية المتسعة الأرجاء ، من ناحية أخرى .

★ ★ ★

تـــرجع المصادر الغربية دخول قبائل الخزر فى الديانة اليهودية إلى عام ٧٤٠ ميلادية ، ويضـــيفون لفـــظ "غالبا" أمام ذلك التاريخ . وترجع تلك المصادر أسباب اعتناق ملك الخزر

"بولان" أو "بولخان " لليهودية ، إلى أنه رأى حوله المسلمين العرب والمسيحيين البيزنطيين ، وكان فى مملكته جالية يهودية . عقد "بولان" مناظرة بين ممثلى الأديان الثلاثة فوجدها جميعا تؤمن بموسى عليه السلام وتقرّ أن التوارة هى كتاب من عند الله فاختار اليهودية كدين له .

ويرجع كتّاب اليهود فكرة تحول الخزر إلى اليهودية ، بأن اللاجئين – سواء من يهود الجزيرة العربية أو من يهود بيزنطة – كانوا ذوى نشاط تبشيرى فى أهل الخزر عن طريق حقائق لاهوتية ونبوءات عن المخلّص المنتظر مع تقييم ذكى للمزايا السياسية التى سيحصل عليها الخزر من اعتناقهم دينا محايدا يقف بين المسلمين فى الجنوب والمسيحيين فى الغرب(٨) .

يكاد المرء يجزم – والمصادر التاريخية خالية من الإشارة إلى ذلك الأمر – أن يهود الجزيرة العربية المطرودين ، دخلوا أرض الخزر الوثنية وأقاموا فيها زمنا استطاعوا خلاله أن يستولوا على فكر ملك الخزر الوثنى ، بطرقهم التى يجيدونها عن طريق التنجيم والسحر والنفث وادعاء معرفة الغيب ، وهى وسيلة فعّالة مع الوثنيين الذين يؤمنون بتلك الخزعبلات . ذلك هو على ما يبدو أنه كان السبب فى قيام ملك الخزر "بولخان " باعتناق ذلك الدين وإجبار شعبه الخزرى على اعتناقه .

ويقول الكاتب أرثر كيستلر : " وعلى الرغم من أنه لاشك فى أن ملك الخزر ومستشاريه وكبار رجال الدولة اعتنقوا اليهودية نتيجة بواعث سياسية ، فإنه أمر مناف للعقل أن نتصور أنهم اعتنقوا بين عشية وضحاها وبتهوّر ، ديانة كانت معتقداتها مجهولة لهم . وحقيقة الأمر أنهم كانوا من جهة أخرى على معرفة طيبة باليهود وشعائرهم الدينية لمدة قرن سابق على الأقل لتحولهم إلى اليهودية ، وذلك عن طريق تدفق المهاجرين اليهود الفارين من الاضطهاد الدينى فى بيزنطه وكذلك – بدرجة اقل – . أولئك الوافدين من بلاد آسيا الصغرى التى فتحها العرب "(٩) . فإذا أخذنا تاريخ دخول الخزر إلى اليهودية ، الذى يذكره اليهود بعام ٧٤٠ م ، فنجد أن معرفة الخزر بالديانة اليهودية عن طريق تدفق الأحبار إليهم قد بدأ عام ٦٤٠ م ، وهو عام طرد اليهود من الجزيرة العربية على يدى عمر بن الخطاب رضى الله عنه . وهو مايثبت ما ذهبنا إليه سابقا من أن المطرودين اليهود من جزيرة العرب قد لجأوا إلى بلاد الخزر الوثنية . ولم تكن المسيحية فى بيزنطة أو فى دول أوروبا الكاثوليكية ، قد بدأت معاداتها لهم فى ذلك الوقت على نطاق واسع .

وينسج الخيال اليهودى الواسع قصة تمرّد "بولخان" على غرار ماجاء فى سفر التكوين ، من رؤية الخاقان للملك فى الحلم يأمره ببناء معبد للرب من الذهب والفضه ، فيخرج الخاقان فى غزوة إلى بلاد أرمينيا ويحارب أبناء إسماعيل العربى - المسلمين - ويستولى على مناجم الذهب والفضة لبناء معبد للإله "يهوا" رب اليهود(١٠) .

فإذا رجعنا إلى تاريخ معركة "الباب" التى تغلب فيها ملك الخزر على المسلمين نجد أنها حدثت عام ٧٣٠م وهى المعركة التىأطلق عليها "وقعة الشعب" والتى احتل فيها الخزر "أردبيل" والتى استشهد فيها "الجراح الحكمى" وآلاف المسلمين(١١) .

وحصل خاقان الخزر على الذهب والفضة من مناجم "أردبيل" وما حولها . كانت تلك الموقعة التى تغلب فيها الخزر على المسلمين واحدة أمام عشرات الهزائم التى منوا بها على أيدى المسلمين . استطاع "مسلمة بن عبد الملك" الذى تولى إمارة أرمينيا ، أن يقود حملة ضد الخزر ، فهزمهم فى أردبيل واسترجع مدينة باب الأبواب ، ثم جاء "مروان الحمار " ، فغزا إمبرطورية الخزر وأدخل الخاقان فى الإسلام كما سبق وبينا فى غير هذا المكان .

كانت اليهودية إذن فى بلاد الخزر قبل التاريخ الذى حدده مؤرخو اليهود ، والغرب من ورائهم سندا . هذا إذا ما سلمنا بالقصة اليهودية المتوارثة فيما جاء برسالة " حسداى بن شبروط " إلى يوسف خاقان الخزر ورد الأخير عليها وما جاء فيها من الحلم بالتهود .

باستقراء الأحداث التاريخية ، فإن إعلان "بولخان " إسلامه بعد هزيمته أمام المسلمين ، يدل على تحوّله من الدين الذى كان يعتنقه وهو اليهودية ، ثم عودته إليه بعد القضاء على الدولة الأموية بعد نحو أكثر من عشر سنين . ومن المحتمل أن أحبار اليهود نصحوا "بولخان" بإظهار الإسلام ، حتى يتركه "مروان الحمار " وحال سبيله ، فهم يعرفون - وهم الذين عاشوا مع المسلمين - إن إعلان الإسلام يحقن دمه وماله وعرضه . ويمكن أن يكون هذا دليلاً آخر على مدى إطاعة الخاقان الخزرى اليهودى للأحبار ، ومدى تأثير الأحبار على مقدّرات دولة الخزر .

★ ★ ★

استغل خاقان الخزر الفترة التى أبعد فيها المسلمين عن بلاده ، بتظاهره بالإسلام ، والتى امتدت لعشر سنوات ، فى إخضاع البلغار والمجريين ، وأكملوا توسعهم الغربى فى أوكرانيا

والقـــرم . ويذكر مؤرخو اليهود ، أن غاراقم فى تلك المناطق لم تكن أحداثا عرضية أو بربرية بغـــرض جمع الغنائم والأسرى ، بل أصبحت حروب فتح ودمج لشعوب المناطق التى فتحوها وتوحيدها فى إمبراطورية قوية لها حكومة مستقرة يرأسها خاقان قوى قام بتعيين الولاة المحليين لإدارة الأقاليم الخاضعة لسلطانه وجمع الضرائب من أهلها[١٢] وبالقطع فقد كان أولئك الولاة ممن يدينون باليهودية .

التفكير التوسعى المنظم ، لايصدر عن ملك وثنى يحكم قبيلة كل همها شن الحروب على القـــبائل الأخرى والفوز بالسبايا والذهب ، بل كان تفكيرا وتنفيذا بواسطة عقول مدرّبة لها هـــدف واحد ، هو تكوين مجتمع قوى جديد يستطيع أن يقف أمام قوتين عظيمتين : الإسلام والمسيحية . وفى نفس الوقت ، يهدف إلى إنشاء مستعمرات يهودية متفرقة فى الأقاليم المفتوحة الوثنية . كانت عقيدة الاضطهاد والخوف فى كل مكان ، تسيطر على الفكر اليهودى دائما . فعـــلى الرغم من بزوغ فجر امبراطورية الخزر اليهودية القوية ، إلا أهم لم ينسوا أبدا ما جرى لهـــم - كيهود - على أيدى المسيحيين فى الإمبراطورية البيزنطية ، ابتداء من حكم جستنيان الأول (٥٢٧ ٥٦٥ ميلاديـــة) واتخـــذ شكلا أشد ضراوة ضد اليهود خلال حكم هرقل فى القـــرن الســـابع ، ثم ليو الثالث فى القرن الثامن . وتبعه بازل وليو الرابع فى القرن التاسع ثم رومـــانوس فى القرن العاشر ويذكر" المسعودى" فى كتابه(مروج الذهب ومعادن الجوهر) أن ملك الروم أجبر اليهود فى مملكته عام ٩٤٤م على اعتناق المسيحية ، ففر كثير من اليهود من بلاد الروم إلى بلاد الخزر[١٣] .

لم يـــنس اليهـــود كذلك ، كيف تم طردهم بين يوم وليلة من الجزيرة العربية ، فكانت الأرض الوثنية هى الموئل الذى سعى إليه أولئك الحاقدون على الإسلام فى المقام الأول ، فلقد سبق لأجداد اليهود منذ أزمان بعيده معرفة إمكانية العيش وسط تلك المجتمعات الوثنية كفئة متميزة قادرة على أن تقود الوثنيين بمهارة فائقة .

ويصـــور لنا الشاعر العبرى "جوداها ليفى" فى مؤلفه المشهور "الخزر " العقيدة اليهودية التى تفجرت من جديد بعد قيام إمبراطورية الخزر اليهودية فيقول : " إن الشعب اليهودى هو الوســـيط الوحيد بين الله وسائر الجنس البشرى وإن كل الشعوب الأخرى ستتحول فى نهاية الأمـــر إلى اليهوديـــة ، وإن تحول الخزر إلى هذه الديانه هو رمـــز أو علامة على هذا الحدث النهائى [١٤] .

كمــا يقرر أستاذ التاريخ الروسى فى جامعة أكسفورد ، ديمترى أوبولنكسى : " كانت الخدمــة الأساســية التى قدمها الخزر لتاريخ العالم هى نجاحهم فى الصمود والدفاع عن خط القوقاز ضد انقضاض العرب نحو الشمال(١٥) .

ويجــدر بنا فى هذا الصدد أن نذكر أن كل الكتّاب من اليهود والغربيين ، يطلقون اسم "العرب" على المسلمين ، أو على المواطنين المسلمين فى إقليم بذاته . نجد أن الحملة الفرنسية باســتعمارها لمصر ، كانت تطلق على المصريين المسلمين بها اسم "العرب" ، ونجد أن الإنجليز عــندما خاطبوا الروس قبل التوقيع على اتفاقية سايكس – بيكو السرية لتقسيم الإمبراطورية العــثمانية عام ١٩١٦ ، كانوا يطلقون اسم " العرب" على رعايا الأقاليم المزمع تقسيمها بين انجلترا وفرنسا فى المشرق والمغرب العربى .

كانت عقدة العرب المسلمين ، ولازالت هى التى تحكم الفكر اليهودى أينما حلّ . كانت إمــبراطورية الخزر اليهودية تعيش فى سلام ظاهرى مع جيرانها المسلمين خلال العهد العباسى الذى تفرّغ للصراعات القبلية فى الجزيرة وفى الولايات الإسلامية من ناحية ، ومع الإمبراطورية الــبيزنطية المسيحية فى غربها . تلك الإمبراطورية المسيحية التى كانت هى الأخرى منشغلة فى حــروب متواصلة مع المسلمين لصد غزواتهم المؤثرة من جهة ، ومواجهة الغزاة الفايكنج من الشمال من جهة أخرى . دأب اليهود الخزر ، على مد العباسيين بالهدايا والجوارى الحسان ، والعهود ذات النيات الحسنه ، ويمدون المسيحيين البيزنطيين بالجند والسلاح والاشتراك معهم فى مقاومــة زحف القبائل البربرية على أراضيهم من الشمال المعروفين بالفايكنج الشماليين ، ومن الشمال الشرقى الذين أطلق عليهم اسم الفايكنج الروس .

لم يدخــر خاقان الخزر وسعا فى إيذاء المسلمين كلما أمكن له ذلك ، فلقد استجار ملك الصقالبه – بلغار الفولجا – بالخليفة العباسى المقتدر عام ٩٢١م . وطلب منه أن يرسل له بعثة من المسلمين تفقهه فى الدين وتعرّفه شرائع الإسلام وتبنى له مسجدا وتنصب له منبرا يقيم عليه الدعــوة للخليفة ، وأن يبنى له حصنا يتحصّن فيه من ملوك الخزر اليهود الذين يعتدون على قومــه ويفرضون عليهم الضرائب . وكان ملك الخزر يتزوج غصبا من بنات ملك الصقالبة ، والخزرى يهودى وابنة الملك الصقلبى مسلمة . وأرسل الخليفة العباسى بعثة إسلامية إلى الملك الصــقلبى ، وكــان من بين أعضائها المؤرخ العربى "ابن فضلان" الذى وصف الرحلة ودوّن

ملاحظاتـــه على أهل الخزر اليهود وعاداهم . ولقد استقى معظم المؤرخين معلوماهم عن بلاد الخزر من "رسالة ابن فضلان " التى تعتبر اهم المراجع الموجودة عن يهود الخزر[١٦] .

★ ★ ★

اســتطاع خاقانات الخزر ، الحفاظ على كيان الدولة التى امتدت طولا وعرضا وفتحت الأراضــى وضمت الشعوب المجرية والسلافية والصقالبة ، واستطاعت عدة قبائل سلافية أن تــتحد تحــت قيادة أقواها – قبيلة البولان – عام ٩٦٢م ، وكونوا نواة للدولة البولندية ، واختاروا اليهودى " إبراهام بروكوفنيك " ملكا لها . تمكن يهود الخزر الذين استقروا فى بولندا وليتوانيا أن يوحدوا الإقليمين معا فى دولة قوية أغلب سكانها من اليهود الخزر .

وكـــان لـــليهود الخـــزر دورا أساسيا فى إنشاء دولة المجرذات السهول الخصبة ، حيث تركـــزوا فى أراضيها حتى الغزو التتارى للمجر عام ١٢٤١م تحت قيادة جنكيزخان ، فهاجر الخـــزر إلى البلاد السلافية – الصقلبية – التى لم تخضع للمغول ، فساعدوا بذلك على إقامة المراكز اليهودية الكبيرة فى شرق أوروبا ، وإن كانوا قد احتفظوا أيضا بالمستعمرات اليهودية فى كل ربوع المجر وسهولها .

سكن شمال أوروبا فى تلك الحقبة من التاريخ، شعب بربرى أطلق عليه اسم "الفايكنج" ، الذيـــن يقيمون فى شبة جزيرة اسكندناوا ، ويتخذون من خلجالها مخابىء لهم . يعتمدون على الغـــزو البحرى والسلب والنهب وسفك الدماء . انقسم الفايكنج إلى قسمين : واحد منهما أطـــلق عليه اسم الفايكنج الروس ، وهم الذين كانوا دائمى الإغارة على الخزر وأملاكهم فى الشرق الأوروبى وحوض نهر الفولجا .

دارت الحـــروب الدامية المتواصلة بين أولئك الروس والخزر المتحالفين مع الإمبراطورية البيزنطية ، حتى استطاع الروس هزيمة الخزر عام ٩٦٥م ، لكن الخزر ظلوا محتفظين باستقلالهم داخـــل حدود أضيق من سابقتها ، وكذلك بدينهم اليهودى ، وتحولت حياهم بعد الاستقرار والغنى ، إلى النهب والسلب والإغارة على القبائل المجاورة .

اســـتطاع أمير كييف "سفياتوسلاف" احتلال أراضى خاقان الخزر كلها ، فانتهت بذلك دولـــته اليهوديـــة ، وعـــاش اليهـــود الخزر داخل حدود الدولة الروسية الجديدة ، لكنهم اســـتطاعوا بمـــا حذقوه من مهارة فى التجارة والصناعة أن يتولوا المناصب الرفيعة فى الحكومة المسكوفية[١٧] .

★ ★ ★

تمكـــن يهـــود الخزر ، خلال ثلاثة قرون هى كل حياتهم فى تلك الإمبراطورية الخزرية ، مـــن إقامـــة مستعمرات يهودية متماسكة فى الربوع الأوروبية الشرقية ، واختلطوا بالشعوب الألمانية ، فتكونت لغة جديدة من مزيج غريب من اللغات العبرية ، وألمانية العصور الوسطى ، والسلافية ، وعناصر أخرى ، وعرفت بلغة " اليديش" فكتبوها بحروف عبرية ، وأصبحت تلك اللغة هى لغة يهود الخزر الذين أطلق عليهم اسم (اشكناز) . كان شعار يهود الخزر : اندفعوا بقوة ونشاط نحو آفاق جديدة ولتتماسكوا وليظل بعضكم مخلصا لبعض(١٨) .

انتشـــرت الثقافة العبرية فى دولة الخزر ، ووجدت فى بولندا نقود عليها كتابة عبرية ، وانتشـــرت بيـــنهم الروايات التى تنادى بقرب عودة المسيح المخلص الذى ينقذ العبرانيين ، وظهرت رواية لدزرائيلى ، بطلها يهودى يقود حروبا صليبية "دونكيشوتيه" لإعادة فتح بيت المقدس .

اجمع المؤرخون بأن اليهود الخزر ، لايمتون بصلة إلى العرق الفلسطينى اليهودى ، وبالتالى فإن المناداة بأن اليهود من أصل واحد هو كلام غير مقبول وغير منطقى . وقد وصف الكاتب اليهـــودى يافث بن على – من طائفة القرّائين فى القرن الحادى عشر – يهود الخزر الاشكناز بأنهم مثل الابن غير الشرعى الذين أصبحوا يهودا دون الانتساب إلى العرق اليهودى(١٩) .

لقـــد أصـــبحت قضية النقاء الجنسى لليهود قضية محورية ومنتشرة عند رجل الشارع الأوروبى لاعتمادهم على كتابات اليهود فى ذلك الأمر ، وهى التى تركز على البدء من فكرة قبلية مسبقة موجهة إلى أهداف بعيدة غير موضوعية . فقد روّج علماء الأجناس اليهود لفكرة أن اليهود متميزون ومختلفون فى صفاتهم الجنسية عن السكان المحيطين بهم ، وأينما كانوا ، فهم يؤلفون وحدة جنسية أو نمطا عرقيا متفرّدا وبارز الوضوح .

انبرى لمعارضة ذلك الرأى ، كثيرون يرون أن اليهود هم صورة مقرّبة للسكان المحيطين بهـــم فى كل مكان ، وانعكاسا لتركيبهم وتكوينهم الجنسى ، فهم إذن لايؤلفون سوى وحدة دينية لاجنسية ولا عرقية ولا صفات موروثة(٢٠) .

الخـــلاف فى الشكل بين أهم المجموعات اليهودية فى العالم واضحة : اليهود الاشكناز لهم شكل قوقازى مميّزمماثل للروس والبولنديين ، وهم يختلفون عن اليهود السفارديم الذين عاشوا فى أســـبانيا والمغـــرب العـــربى وخالطوا البربر والأسبان . والفئتان مختلفتان تماما عن اليهود الشـــرقيين الذين عاشوا فى العراق ومصر وإيران ، والفئات الثلاث لا تقترب شبها من يهود

أثيوبيا "الفلاشه" ، أو يهود الهند ممن يشبهون "التاميل" سود البشرة ، ولا من يهود تركستان ذوى الشعر الأشقر . تلك الاختلافات تسقط بالفعل كل دعوى تنادى بجنس يهودى واحد متميز فى صفاته .

لقد زوّد الخزر العالم بمئات الآلاف من القوقازيين المتهوّدين الذين لايعلمون شيئا عن موسى عليه السلام ولا عن الكتاب الذى أنزل عليه ، لكنهم عرفوا ما يود اليهود الذين أخرجوا من الجزيرة العربية أن يعلموه لهم : العداء للإسلام والمسيحية .

ولتبيان أثر هويد الخزر على الحركة الصهيونية العالمية ، فإنهم بعد تشتيت أمّتهم وانتشارهم فى بقاع أوروبا الشرقية ، كانت أعداد اليهود فى العالم عام ١٨٨٠ تبلغ نحو ستة ملايين ونصف مليون نسمة ، كان منهم على المحور الشرقى لأوروبا خمسة ملايين ونصف المليون يهودى - أى بنسبة ٨٥٪ من مجموع اليهود فى الدنيا . كان تركيز اليهود فى أوروبا محصورا فى روسيا - بولندا - دويلات البلطيق - المجر والنمسا وألمانيا . وعلى محور أوروبا الغربية نجد اليهود قد تركزوا فى حوض الراين وهولندا ، ثم انتقل الثقل اليهودى إلى الولايات المتحدة فى القرن العشرين فبلغت نسبة اليهود فيها ٤٥,١ ٪ من مجموع يهود العالم(٢١) .

ودليل على كيفية إسهام يهود الخزر الاشكناز فى إقامة دولة إسرائيل أن روسيا - وتشمل فى ذلك الوقت : أوكرانيا - روسيا البيضاء - بولندة - هاجر منها منذ عام ١٨٩٩ إلى عام ١٩١٤ - إلى إسرائيل ٧١,٧ ٪ من مجموع المهاجرين ، ومن المجر ١٦,٢ ٪ ومن رومانيا ٤,٢ ٪ ، أى أن ٩٢,١ ٪ من مجموع اليهود النازحين إلى إسرائيل، أرض فلسطين، كانوا من يهود الخزر الاشكناز(٢٢) .

★ ★ ★

يرى المؤرخون اليهود ، أنه على المدى الذى عاشت فيه دولة الخزر اليهودية وما خلفته من آثار فى المجتمعات الأوروبية الشرقية ، ثبت أن تلك التجربة فى فن الحكم اليهودى أثرت دون شك فى التاريخ اليهودى تأثيرا كبيرا يفوق ما يمكن أن نتصوره حتى اليوم(٢٣) .

وقد كتب الأستاذ أ . ن . بولياك أستاذ تاريخ اليهود فى العصور الوسطى بجامعة تل أبيب فى كتابه (خزاريا) والذى نشر بالعبرية عام ١٩٤٤ وطبعته الثانية عام ١٩٥١ " طريقة جديدة لتناول موضوع العلاقات بين الشعب اليهودى الخزرى والمجتمعات اليهودية الأخرى

وكذلـــك لمعالجة مسألة إلى أى حد يمكننا اعتبار هذا الشعب اليهودى الخزرى نواة لمستوطنة اليهـــود الكبرى فى شرق أوروبا . إن سلالة هذه المستوطنة – أعنى أولئك الذين بقوا حيث كانوا – وأولئك الذين هاجروا إلى الولايات المتحدة الأمريكية وإلى غيرها من البلاد ثم أولئك الذين توجهوا إلى إسرائيل ، كل هؤلاء يؤلفون فى الوقت الحاضر غالبية يهود العالم "[٢٤] .

وبـــلا شـــك ، فإننا نتفق تماما مع رأى المؤرخين اليهود فى شأن يهود الخزر وتأثيرهم فى تاريخ المنطقة ، لكن الاتفاق فى الرأى يأخذ طريقا عكسيا على طول الخط لما يدور فى أذهانهم . فـــإن هـــم رأوا أن الـــتأثير الخزرى أفاد اليهود فى مستقبلهم حتى اليوم ، فإننا نرى أن الخزر المتهوّدين كانوا هم السبب الأول فى النكبات التى أصابت العالم منذ قيام إمبراطوريتهم وحتى اليـــوم . فـــبوجود الخزر فى إمبراطورية الخزر ، ظهر جنس يهودى جديد يعرف بالاشكناز ، التصـــق بالأصـــل اليهودى الفلسطينى ، وأفرز قيادات صهيونية خزرية الأصل تمتاز بالقسوة والوحشـــية ، كإرث ممتد فى دمائهم من أجدادهم الخزر القوقاز ، وتسيطر على عقولهم تعاليم أحـــبار اليهـــود المعادية لكل مسيحى أو مسلم ، بعيدا عن الشريعة السماوية التى نزلت على موســـى عـــليه السلام ، هذه الصفات الوحشية البربرية ، ماهى إلا امتداد للجذور التى نبتوا مـــنها : يأجوج ومأجوج . فهناك حوليه جو رجية ، تردد رواية مأثورة قديمة ، تعتبر أن الخزر هم سلالة يأجوج ومأجوج، يصفونهم برجال متوحشين بشعى الوجوه آكلى الدماء . وكذلك يصفهم كاتب أرمينى بأن الخزر هم أصحاب الوجوه الوقحة العريضة الخالية من أهداب العيون ذوو الشـــعور الطويلة المتدليه كالنساء . كما يصنفهم الجغرافى العربى الإصطخرى "بأن الخزر لا يشـــبهون الأتراك . فشعورهم سوداء وهم من نوعين : (كارا خزر) ، أى الخزر السود ، و(آك خـــزر) أى الخزر البيض ، وهم أصحاب ملامح وسيمة على نحو يلفت النظر[٢٥] ويؤيد مـــا ذهـــبت إليه الحوليه التى وجدت فى جورجيا ، ما كتبه ابن فضلان فى رسالته [٢٦] من أن "الخزر وملكهم هم جميعا يهـــود ويخضع له البلغار وجميع جيرانهم ، ويبجلونه ويطيعونه طاعة عمياء . ويرى البعض أن يأجوج ومأجوج هم الخزر ".

ومـــن ناحيـــة أخـــرى فإن رد خاقان الخزر اليهودى على الوزير اليهودى حسداى بن شـــبروط قد تضمن الإشارة – إما حقيقة و إما تفاخرا – بإن شعبه هم سلالة مأجوج ، فقد ألقـــت سلسلة النسب التى ذكرها خاقانهم ضوءا جانبيا على تكرار وصف الخزر بأن جدهم الأعلى هو مأجوج[٢٧] .

ولا أحسبنى أصدق أن شعب الخزر كانوا يتفاخرون بأنهم سلالة يأجوج ومأجوج ، بل أغلب الظن أنها حقيقة . ويهمنا فى هذا المجال أيضا أن نذكر ما ذهب إليه بعض الدارسين (٢٨) من أن القبائل اليهودية العشرة التى اختفت أمام الغزو الآشورى لمملكه الشمال (إسرائيل) اليهودية ، هم الذين أماتهم الله بسبب تمردهم على بيت داود ، وهم الذين عصوا وكفروا ومنعوا الحج إلى هيكل سليمان عليه السلام ، ثم أحياهم الله جل شأنه ، على يدى النبى حزقيل عليه السلام ، فلجأوا إلى بلاد الخزر وكوّنوا إمبراطورية يهودية . ولقد استشهد الكاتب على نظريته بما ورد فى التوراة : والمبدأ الإسلامى فى البحث هو عدم التكذيب أو التصديق لما جاء فى التوراة ، استنادًا إلى مبدأين

الأول هو : الآيات القرآنية العديدة التىنزلت عن تحريف اليهود لما أنزله الله على رسوله موسى عليه السلام فى التوراة ، وتغيير أحبار اليهود لذلك الكتاب . لانكذبه إلا إذا خالف الحق ، ولانصدقه خشية أن يكون قد تغير بواسطة الأحبار . والمبدأ الثانى هو : حديث الرسول صلى الله عليه وسلم عندما جاءه عمربن الخطاب رضى الله عنه بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب ، فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : " أتشكون فيها يا ابن الخطاب ؟ والذى نفسى بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية . لا تسألوهم عن شىء فيخبروكم بحق فتكذبونه وباطل فتصدقونه . والذى نفسى بيده لو أن موسى كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعنى "(٢٩) .

إن إحياء الله عزّ وجل للقوم الذين ماتوا على يدى حزقيل عليه السلام ، وهم الذين أخبرنا الله عنهم بأنهم فروا حذر الموت ، ترجعه المصادر الإسلامية إلى إصابة قريتهم بالطاعون (٣٠) ، بينما يسند الباحث فهد السالم موتتهم إلى فرارهم من قتال الآشوريين ثم إعادة بعثهم على يد نبى حجب الله عنا اسمه فى القرآن الكريم ، بينما ذكرته التوراة على أنه حزقيال . وينتهى البحث بأن هؤلاء القوم الذين أحياهم الله ، نزحوا إلى بلاد الخزر ، وأنهم هم قبائل بنى إسرائيل العشرة الذين اختفوا من الأسباط الاثنى عشر . وهى وجهة نظر إيجابية – مع التحفظ فى التسليم بها – فكيف يبقى اليهود قرونا من الزمان فى مكان ما دون معرفتهم ؟ ويجيب الباحث عن ذلك بأنهم هم يأجوج ومأجوج المفسدون فى الأرض ، الذين طلب القوم من ذى القرنين أن يبنى بينهم سدا . فبنى ذو القرنين لهم ردما . ويفسر الباحث الفرق بين "السد" و"الردم" مرجعا "السد" إلى شىء معنوى و"الردم "إلى عمل مادى مستشهدا فى ذلك بالآيات القرآنية التى يعتد بها فى هذا الشأن(٣١) .

ويمكننا بعد الرجوع إلى تلك المصادر المختلفة ، أن نذكر أن " يأجوج ومأجوج " هم بلا شـــك أجـــداد يهود الخزر ، كيفما كان أصلهم استنادا إلى الآيات القرآنية التى تصف هذين القومين بأنهم مفسدون فى الأرض(٣٢) ، وهو نفس الوصف الذى نعت به الخالق سبحانه وتعالى اليهود فى الجزيرة العربية(٣٣) . إلى جانب ما ذكره المؤرخون اليهود – صدقا كان أو كذبا – من أنهم سلالة هذين القومين المفسدين . لكنهم فى كلتا الحالتين ، شهدوا على أنفسهم .

ويجـــرنا هـــــذا إلى ذكـــر الآيات الثانية التى وردت فى كتاب الله العزيز حول يأجوج ومـــأجوج (٣٤) ، وهـــى فتح يأجوج ومأجوج ، وهو فتح باب الشر بواسطة المفسدين الذين ضرب الله بعزته يأجوج ومأجوج بهم لنا مثلا – والله اعلم سبحانه وتعالى – إنما سياق الآيات الكـــريمات تؤدى بنا إلى هذا المعنى ، فالمخاطب هم كل بنى البشر الذين أهلكهم الله والذين ســـوف يرجعون إلى الخالق الكريم . من يعمل صالحا منهم فسيلقى خيرا ، أما من اتبع الفساد الـــذى يـــأتى بــــه المفسدون – بالكفر والعصيان – فسوف يدرك الكافرون أى ذنب عظيم ارتكـــبوه وقت الحساب . الله أعلم سبحانه وتعالى بما أنزل علينا ، فمهما اتسعت أذهاننا فلن نعلم إلا ما علمه لنا الله وحسب .

وحديـــث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يأجوج ومأجوج الثابت هو عن أم المؤمنين زينب بنت جحش رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل عليها فزعا يقول " لاإله إلا الله ويـــل للعرب من شرّ قد اقترب فُتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه " وحلق بأصبعه الإبهام والتى تليها فقالت زينب ابنة جحش : يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون قال : "نعم إذا كثر الخبث "(٣٥) .

وقد أرجع أغلب المفسرين الثقاة رضى الله عنهم ذلك الفتح الذى أشار إليه رسول الله صـــلى الله عليه وسلم إلى أنه فتح معنوى لباب الشر(٣٦) . وهو ما يتفق مع تفكيرنا وعقيدتنا ولا نستطيع أن نمضى فى التفسير لأبعد من ذلك . لأن ما مضى من الزمان غيب وما هو آت فهو غيب لايعلمه إلا الله سبحانه وتعالى ، وليس لإنسان أن يمطّ فكره ليسبر غور الذى اختص الرحمن نفسه به ، سبحانه وتعالى له العلم وحده .

واستطرادا لما ورد عن صلة يهود الخزر بيأجوج و مأجوج فإنه فى مجال بحث (رسالة ابن فضلان) حول يأجوج ومأجوج يهمنا أن نوضح أمرين :

الأول : أنـــه لم يعثر سوى على ثلاث صفحات فقط من الرسالة التى تتحدث عن زيارته لبلاد الخزر بعد أن خُرّمت باقى الصفحات عن ذلك الإقليم ووصفه ، فجاءت المعلومات عنه مبتورة تماما(٣٧) ، عكس تفاصيل رحلته إلى بلاد الترك والصقالبه والروس .

الـــثانى : أن حديـــث ابن فضلان عن يأجوج ومأجوج ورد فى الأوراق الموجودة عن وصفه لرحلـــته فى بلاد الصقالبة وتركز حديثه عنهما من واقع الأخبار والسمع فوصفهم بألهم ذوى آذان طويلة ينامون عليها ، ومرة بألهم عمالقة وذوى أنوف طولها تزيد عن الشبر ، وفى قصـــة ثالثة الهم أقزام لا يكلون ولا يملون . وقد استند معظم المؤرخين العرب إلى رسالة ابن فضلان فى وصف يأجوج ومأجوج دون ذكر اسم ابن فضلان ، بل تم النقل عـــن كـــتاب (معجم البلدان) الذى نقل عنه المؤرخون العرب وغيرهم . كما ذكرها المفســـرون للقرآن الكريم عند ورود الآيتين الكريمتين اللتين ذكرتا يأجوج و مأجوج . ونجد أن ابن كثير رضى الله عنه ، ينكر ما كتبه ابن جرير عن يأجوج ومأجوج " لما فيه من غرابه ونكارة فى أشكالهم وصفاقم وطولهم وقصرهم وآذالهم " ، وينكر أيضا ما رواه ابن أبى حاتم من احاديث ذاكرا ألها " غريبة لاتصح أسانيدها والله أعلم "(٣٨) .

ويهمنا فى معالجة الأمر الأول ، أن المؤرخين اليهود نسبوا إلى ابن فضلان ذكره أن يهود الخزر هم سلالة يأجوج ومأجوج . وهذا يعنى احتمال احتفاظهم بباقى رسالته عن الخزر ضمن تراثهم المخبأ ، وهى قرينة على أن يهود الخزر هم سلالة يأجوج ومأجوج .

أمـــا الأمـــر الثانى فإنه لايمكن بأى حال من الأحوال تصديق تلك الأساطير عن يأجوج ومـــأجوج . فهم شعبان متجاوران عاشوا بالقطع فيما وراء سلاسل جبال القوقاز ، فالقرآن لانشك فى كلماته ولو للحظه . فعندما يذكر الله عز وجل : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾(٣٩) فمعنى ذلك أنه لا وجود لمثل تلك الأمثال من البشر . لأن المسخ لا يتناسل . تلك هى حكمة الله سبحانه وتعالى

مما لاشك فيه أن ابن فضلان تأثر بالقصص القديمه السائدة فى عصره المترجمة عن الفرس ومما أدخله اليهود فى عقول الناس فى ذلك الزمان . ولأمر ما كان يدور على الألسنة فى ذلك

العصر خطر الدخول إلى تلك البلاد حتى أن ابن حوقل قال عن بلاد الروس : " فلم أسمع أحدا يذكر أنه دخلها مع الغرباء لأنهم يقتلون كل من وطىء أرضهم من الغرباء "[٤٠] .

★ ★ ★

يؤمن اليهود الإشكناز – الذين يمثلون الأغلبية المطلقة لليهود فى العالم – أن إمبراطورية الخزر المتهودة ، هى أساس قوتهم وأمجادهم التى يتفاخرون بها علنا الآن . وقد أنشأ اليهود الإشكناز فى الولايات المتحدة مركزا للمعلومات عن الخزر ، يتولى الإشراف على إصدار الدوريات والكتب العديدة عن الخزر ونشأتهم والاهتمام بماضيهم وجذورهم فى شرق أوروبا والحضارة التى أدخلوها إلى أقاليم تلك الدول والعلاقات التى ربطت بينهم وخاصة فى روسيا وما يحيط بها من دول التهمها الاتحاد السوفيتى السابق كبولندة ولتوانيا والمجر وغيرها وكان لليهود فيها شأو عظيم ، انتقل الكثير من اليهود الإشكناز من سلالة الخزر إلى فلسطين بأعداد تمثل أكبر من ٩٠٪ من المهاجرين إليها ، واستوطن الأكثر منهم الولايات المتحدة واستولوا على مقدراتها الاقتصادية والإعلامية فأحكموا قبضتهم تماما عليها ، فهى – أى الولايات المتحدة – القوة الكبرى فى عالمنا الآن ، مثلما أحكم اليهود قبضتهم من قبل على مقدرات الإمبراطورية البريطانية حينما كانت هى القوة الكبرى فى عالم القرن التاسع عشر وما قبله[٤١] .

★ ★ ★

هوامش الفصل الثالث

(١) انظـــر خـــريطة العـــالم فى عهد البعثة النبوية أوائل القرن السابع الميلادى فى (أطلس تاريخ الإسلام) د. حسين مؤنس – خريطة رقم ٥٤ ص٧٨ .

(٢) المرجع السابق ص ١٣٠ /١٣١ .

(٣) دون الإمـــام ابن كثير فى كتابه (البداية والنهاية) أجزاء ٧، ٨، ٩ تفاصيل المعارك الطاحنه بين المسلمين والترك .

(٤) انظر كتاب (القبيلة الثالثة عشرة ويهود اليوم) أرثر كيستلر ـــ ترجمة أحمد نجيب هاشم ص ٢٢/٢١ .

أرثـــر كيستلر يهودى مجرى هاجر إلى انجلترا قبل الحرب العالمية الثانية وأصبح من كتابها المشهورين وكان عضوا بارزا فى الرابطة الصهيونية للمبارزة فى فينا ومن أعوان الصهيونى الروسى جابوتنسكى . يعتبر الكتاب أحد أهم المراجع فى تاريخ اليهود الإشكناز سلالة إمبراطورية الخزر المتهودة . انتحر كيستلر عام ١٩٨٣ فى منزلـــه بلندن ، وقد استقى المؤلف اليهودى معلوماته القيمة التى ألقت الكثير من الضوء على يهـــود الخـــزر مـــن الكـــثير من المراجع العربية ، أهمها (رسالة ابن فضلان) وكذلك من ابن حوقل ، والمسعودى ، وهم العلماء العرب الذين تعرضوا للذكر إمبراطورية الخزر فى مؤلفاتهم ، من مقدمة المترجم أحمد نجيب هاشم ص٥–٧ من المرجع المشار إليه .

(٥) المرجع السابق ص٢٤/٢٥ .

(٦) المقصود بالحمار ، هوالتشبه بقوة التحمل والجلد والصبر فى الحرب .

(٧) انظر كتاب (الإسلام الفاتح) د. حسين مؤنس ص٢٣/٢٤ .

(٨) انظر (القبيلة الثالثة عشرة ويهود اليوم) أرثركيستلر ص٦١ .

(٩) المرجع السابق ص ٦٢/٦٣ .

(١٠) المـــرجع السابق ص٦٨ وما بعدها ، عن رسالة اليهودى "حسداى بن شبروط " ليوسف خاقان الخزر .

كـــان حســـداى بن شبروط مستشارا لعبد الرحمن الناصر الخليفة الأموى على الأندلس ، وكان للوزير اليهودى نفوذا قويا فى البلاط الأموى بالأندلس

(١١) انظر (البداية والنهاية) لابن كثير ج٧ ص٣٠٧ .

(١٢) انظر كتاب (القبيلة الثالثة عشرة ويهود اليوم) أرثر كيستلر ص٣٤ .

(١٣) المصدر السابق ص٦٣ .

(١٤) كـــتب الشاعر اليهودى مؤلفه "الخزر" عام ١١٤٠ ميلادية ـــ وهو من الأندلس واسمه الذى يكنى به هو أبو الحسن اللاوى ، وكتب بالعربية عدة مؤلفات منها (الحجج والدليل فى نصر الدين الذليل) .

(١٥) أرثر كيستلر (القبيلة الثالثة عشرة ويهود اليوم) ص٣٦ .

(١٦) انظر (رسالة ابن فضلان ـــ وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة) .

تحقيـــق د. سامى الدهان . قام الدكتور سامى الدهان ، عضو المجمع العلمى بدمشق ، بوضع الكتاب القيّم الذى عالج الرسالة تاريخيا وحققها وعلق عليها وقدم لها . وهو عمل يحسب له إن شاء الله فى ميزان حسناته ، فأبرز ذلك الأثر العربى الإسلامى القيّم الذى نهل منه مؤرخو أوروبا وخاصة اليهود منهم ، إلى أن تنــبّه لفائدتـــه الكاتب ، فحقق ذلك الأثر الهام فى التاريخ العربى والذى نقل عنه العديد من المؤرخين العرب . يقول المحقق إن عهد الخليفة العباسى المقتدر بالله – جعفر بن المعتضد – كان زاهرا بكل ما تعنيه الكـــلمة من معان . فمعنى طلب ملك الصقالبة من الخليفة إرسال بعثة لبناء مسجد وحصن وتثقيف أهل بـــلده فى الديـــن هو اعتراف من الأوروبيين بفضل العرب وتقدمهم . يصف الكتاب كيف أديت مراسم اســتقبال وفد ملك الصقالبة من اصطفاف للجنود وحشدهم وإظهار الأبهة والنعم فى قصر الحاكم ، وهو ما يجرى عليه العمل الآن عند استقبال زائر فى كل أنحاء العالم لإبراز قوة الدولة وغناها .

(١٧) انظر (القبيلة الثالثة عشرة ويهود اليوم) أرثر كيستلر ص ١١٣ إلى ١٣٦ .

(١٨) المصدر السابق ص١٧٠ .

(١٩) أرثر كيستلر (القبيلة الثالثة عشرة ويهود اليوم) ص٨٢ .

(٢٠) انظر كتاب (اليهود أنثروبولوجيا) د. جمال حمدان ص ١٧٤/١٥٣ .

(٢١) (اليهود أنثروبولوجيا) د. جمال حمدان ص ١٧٥/ ١٧٩ .

(٢٢) المصـــدر السابق – والإحصائيات عن الكتاب السنوى الأمريكى اليهودى الملحق بالكتاب ص ١٨٥/ ٢٤٠ .

(٢٣) انظـــر (القبيـــلة الثالثة عشرة ويهود اليوم) أرثركيستلر ص١٣٦ – نقلا عن بارون فى كتاب (تاريخ اليهود الاجتماعى والدينى) .

(٢٤) المصدر السابق ص٢٤ .

(٢٥) أرثركيستلر (القبيلة الثالثة عشرة ويهود اليوم) ص٢٧ .

(٢٦) رسالة ابن فضلان – د. محمد سامى الدهان ص٣٩ .

(٢٧) انظر كتاب (القبيلة الثالثة عشرة ويهود اليوم) أرثركيستلر ص٧٥وص١٧٩ وقد ذكر الطبرى فى كتابه (تاريخ الأمم والملوك) ج١ص١٢٧ .

"إن يــافث بــن نوح ولد له جامر وموعج وموادى ويوان وتيرش . ومن تيرش الترك والخزر ومن موعج يأجوج ومأجوج وكانوا يعيشون شرق أرض الترك والخزر " .

(٢٨) انظر كتاب (يهود اليوم هم يأجوج ومأجوج) فهد سالم ص٥٨/٤١ .

(٢٩) جامع الأحاديث للإمام السيوطي ج٢ حديث رقم (٤٦٥٢)

(٣٠) انظر كتاب (المبعوثون إلى الأرض) للمؤلف ص٢٤٢/٢٤١ وبه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم "الطــاعون رجس أرسل على طائفة من بنى إسرائيل فإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منها " .

(٣١) انظر كتاب (يهود اليوم هم يأجوج ومأجوج) فهد سالم ــ ص١٢٦/٨٩ .

(٣٢) يقول الله تعالى فى سورة الكهف ٩٥/٩٤ (قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدًا * قال ما مكّنى فيه ربى خير فأعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما) .

(٣٣) انظــر سورة المائدة ٦٤ : يقول الله عزّ وجلّ : (قالت اليهود يد الله مغلولة . غُلت أيديهم ولعنوا بما قالوه . بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء . وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا . وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة . كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله . ويسعون فى الأرض فسادا . والله لايحب المفسدين)

انظــر أيضــا سورة المائدة ٣٣/٣٢ وسورة الرعد ٢٥ وسورة البقرة ١٢ وسورة آل عمران ٦٣ وغيرها من الآيات التى يصف فيها الله سبحانه وتعالى اليهود بالفساد والمفسدين .

(٣٤) سورة الأنبياء : ٩٧/٩٢ (إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون * وتقطعوا أمرهم بينهم كل إليــنا راجعون * فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلاكفران لسعيه وإنا له كاتبون * وحرام على قرية أهلكناها أنهم لايرجعون * حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون * واقترب الوعد الحق فإذا هى شاخصة أبصار الذين كفروا ياويلنا قد كنا فى غفلة من هذا بل كنا ظالمين) .

(٣٥) انظر (صحيح البخارى) حديث رقم ١٤٠٤ .

(٣٦) انظر (تفسير القرآن العظيم) لابن كثير ج٣ ص١٩٤/١٨٩ .

(٣٧) انظر (رسالة ابن فضلان) د. سامى الدهان – مخطوطه ابن فضلان الوحيدة بمشهد وهى التى نقل منها ياقوت الحموى فى كتابه (معجم البلدان) وعنه نقل كل المؤرخين العرب والأجانب .

(٣٨) انظر(تفسيرالقرآن العظيم) لابن كثير ج٣ص١٩٥/١٩٣ .

(٣٩) سورة التين : ٤

(٤٠) انظر(رسالة ابن فضلان) مقدمة المحقق د. سامى الدهان ص٤٠ .

(٤١) الكتب التى صدرت عن إمبراطورية الخزرالمتهودة ، عديدة ومتنوعة ، ولكن من المفيد ذكر بعضها وكلها باللغة الإنجليزية ، وقد أقيم فى الولايات المتحدة الأمريكية ، مركز الخزر للمعلومات أصدر عدة نشرات حول هذا الموضوع منها :

- MEDIVAL KINGDOM OF KHAZARIA, 650-1016

- MEDIEVAL JEWISH KINGDOM OF THE KHAZARS,740-1259

وغيرها من المقالات لايتسع المقام لذكرها :

- نص رسالة حسداى بن شبروط إلى يوسف خاقان الخزر ونص رد الخاقان على حسداى . وقد جاء فى السرد المنشور بواسطة ذلك المركز الذى ذكر أن "بولان " أول ملوك أو خاقانات الخزر تولى الحكم عام ٧٤٠م . مايلى : (إن ملك البيزنطيين والعرب الذين سمعوا عنه أرسلوا مبعوثيهم وسفرائهم بهدايا عظيمة ومعها بعض الرجال الحكماء لمحاولة تغيير ديانته إلى ديانتهم)

- LINKS BETWEEN THE KHAZARS AND THE EASTERN JEWS

- كما صدر مؤخرا فى الولايات المتحدة كتاب جديد تحت عنوان :

THE JEWS OF KHAZARIA

كتبه : KEVIN ALAN BROOK

وقد تضمن الفصل الأخير من الكتاب ذكر المجتمعات فى شرق أوروبا التى ظهرت بعد سقوط الإمبراطورية الروسية السابقة ومُقرا أن اليهود من الإمبراطورية الروسية السابقة هم سلالة مختلطة من الخزراليهود والألمان اليهود واليونانيين اليهود والسلاف .

- وتبقى أهم المراجع عن الخزر وهى :

THE HISTORY OF THE JEWISH KHAZARS DOUGLAS M. DUNLOP
KHAZAR STUDIES : AN HISTORICAL PHILOLOGICAL INQUIRY INTO THE ORIGINS OF THE KHAZARS PETER B. GOLDEN

- ويبقى أهم مرجع نشر بموضوعية حول الخزر وهو :

THE THIRTEENTH TRIBE : THE KHAZAR EMPIRE AND ITS HERITAGE - ARTHUR KOESTLER

الذى نشر عام ١٩٧٦ - والذى ترجمه أحمد نجيب هاشم تحت عنوان (القبيلةالثالثة عشرة ويهود اليوم) والذى اعتمدنا عليه كمصدر أساسى للخزر وتهودهم .

- ومن الجدير بالذكر ، أن كل تلك المصادر اليهودية ، تذكر حول الخزر ما درج عليه المؤرخون المسلمون من الخلط بين الترك والخزر ، فتارة يذكرون الخزر بالترك وأخرى بالترك الخزريين .

الفصل الرابع

التسلل اليهودى إلى المسيحية

ذاق اليهود العذاب بأيدى المسيحيين على مدى العصور . قال كاتب يهودى يصف الطريقة التى لجأ إليها الإمبراطور الرومانى "بازل" ، لإجبار الطائفة اليهودية فى جنوب إيطاليا على اعتناق المسيحية : " كيف أجبروهم ؟ إن أى شخص يرفض اعتناق عقيدقم الخاطئة – المسيحية – كان يوضع فى معصرة الزيتون تحت مكبس خشبى ثم يعصرونه بنفس الطريقة التى يعصر بها الزيتون فى المعصرة "(١) .

لم يكن كلام الكاتب اليهودى عن تخلص المسيحية من بنى دينه إنشاء أو وصفا دراميا ، بل حقيقة . فقصة اليهود فى كل بلدان أوروبا المسيحية تبدو "وكأنها شهر عسل ثم تنتهى بالطلاق وسفك الدماء . يلقون الترحيب و التأييد والتدليل ، فتصدر لهم مراسم خاصة وتغدق عليهم الامتيازات لأنهم وحدهم يملكون السّر فى المحافظة على حسن إدارة اقتصاد البلد الذى يحلون فيه"(٢) . ويستطرد نفس الكاتب قائلا إنه فى العصور المظلمة كانت تجارة أوروبا الغربية فى أيدى اليهود على نطاق واسع ودون استثناء تجارة الرقيق التى جنوا منها أرباحا هائلة(٣) . وكانت السجلات تستخدم لفظ اليهودى ولفظ التاجر باعتبارهما اصطلاحين مترادفين تقريبا . ومع نمو الطبقة التجارية المحلية ، أصبح اليهود شيئا فشيئا مبعدين ، لاعن المهن المنتجة فقط ، بل أيضا عن أشكال التجارة التقليدية ، ولم يبق لهم فعلا سوى عملية إقراض المال مقابل ربح فاحش امتص اليهود مال البلاد ، لكنهم أجبروا بين الحين والآخر على ردّه لخزانة الدولة .

طردت انجلترا اليهود الذين عاشوا فيها عام ١٢٩٠م ، ورغم أن عددهم لم يتجاوز الألفين وخمسمائة يهودى ، إلا أنهم سيطروا على بلاد الإنجليز تماما ، مما يثبت أن شخصية " شايلوك" المرابى اليهودى كانت موجودة فى انجلترا قبل عصر شكسبير بوقت طويل .

وطرد الملك الفرنسى "فيليب لوبل" اليهود من مملكته عام ١٣٠٦م ، لكن اليهود عادوا فى القـرنين السادس عشر والسابع عشر إلى الجلترا وفرنسا بكثافة ، فرارا من محاكم التفتيش الأسبانية ، ولم يخرجوا من هذين البلدين بعد ذلك ، بل تمكنوا منهما تماما .

وفى ألمانيا ، غضبت الجماهير على اليهود عام ١٠٩٦م ، فخيروهم فى بلدة "مايتر " بين الـتحول إلى المسيحية ، أو الموت على أيدى الجماهير ، فانتحر اليهود جماعيا . ذبحوا نساءهم وأولادهم ثم قتلوا بعضهم البعض ، مفضلين الموت على التحول إلى المسيحية (٤) .

تـلك أمثـلة قليلة ، أو قل إنها عينة من العداء المستعر بين المسيحية واليهودية منذ بدء العصـور المظلمة فى أوروبا .كان على اليهود أن يتحركوا للانتقام من المسيحية بكل الطرق والوسائل . كانت إمبراطورية الخزر المتهودة ، هى الوحيدة القادرة على الانتقام من المسيحيين المجاورين لهم فى الإمبراطورية المسيحية الشرقية .

★ ★ ★

اسـتطاع خاقـان الخزر اليهودى ، أن يزرع اليهود فى الإمبراطورية المسيحية الرومانية الشرقية ، وفى أعلى المناصب التى يمكنها بحكم مواقعها ، إن تتخذ القرارات المصيرية التى تخدم اليهود فى نهاية الأمر ، كهدف أساسى ، وتخريب الدين المسيحى كهدف أسمى .

كانت الإمبراطورية الرومانية الشرقية – البيزنطية – تدرك أن الحروب مع المسلمين سـوف تستمر إلى أن يكتب النصر لإحدى الفئتين ، وأدركت أيضا بعد وقت قصير ، مدى القـوة الـتى وهـبها الله لأبـناء ذلك الدين الإسلامى ، الذين قضوا على الفرس – عدو الإمـبراطورية الـرومية القـديم – فى زمن يسير ، فحوّلوا المجوس إلى مسلمين . دفع خوف الإمـبراطورية الـبيزنطية من الزحف الإسلامى ، الذى بدأ فى تقطيع أوصالها ، بدءا بالشام ثم مصـر ، مـن أن يتمكن المسلمون من فتح القسطنطينية عاصمة إمبراطوريتهم البيزنطية . فبحثت عن حليف قوى يساندها فى مقاومة الزحف الإسلامى . كان الخزر اليهود هم الحليف الـذى أمـدّ بيـزنطة بالرجال والسلاح لمحاربة المسلمين ، فتمكن يهود الخزر من المسيحيين البيزنطيين .

ســواء أكــان ذلك التحليل هو الفكر البيزنطى ، أو أنه تخطيط خزرى مسبق سيق إلى المسيحيين لتخويفهم ودفعهم إلى التعاون مع الخزر ضد المسلمين ، فإن النهاية والنتيجة ، كانت تحالفا بين الخزر اليهود ، والرومانيين الشرقيين المسيحيين . كان الهدف الظاهرى للتحالف هو :

- مقاومة الإسلام الزاحف تجاه عاصمة بيزنطة .

- صد غارات الروس الرامين إلى احتلال الأراضى الواقعة حول نهر الفولجا حتى مصبه فى بحر قزوين .

أمــا الهــدف الحقيقــى لذلك التحالف ، فهورغبة يهود الخزر فى السيطرة على دولة المســيحيين ، والانــتقام مــنهم بشتى الوسائل ، من تخريب للدين وإذكاء لنار الخلاف بينهم عقائديــا ، وذلــك بدفعهم إلى الاقتتال والحرب مع أعدائهم للخلاص من نسبة كبيرة منهم فى أتــون الحــروب المســتمرة ، وكذلك التفريق بين المسيحيين فى دينهم بإذكاء نار الخلاف بين الأرثوذكس والكاثوليك .

كانت المصاهرة بين الملوك هى وسيلة التحالف الأولى ، فتزوج إمبراطور بيزنطة ، من ابنة خاقان الخزر اليهودية "زهرة " ، وأنجبت له طفلا ، صــار فيما بعد إمبراطورا لبيزنطة ، يعرف تاريخيا باسم "ليوالخزرى " . استمر حكم ليو الخزرى للإمبراطورية الرومانية الشرقية لمدة خمس سنوات ، من عام ٧٧٥م إلى عام ٧٨٠ميلادية .

وتزوج الإمبراطور المسيحى ، الذى عرفته بيزنطة باسم " جستنيان الإرهابى" من شقيقه خاقــان الخزر اليهودية ، التى غيرت اسمها وتسمت باسم "تيودورا " ، وكانت ذات سلطان هــائل ونفوذ كبير فى الإمبراطورية البيزنطية . كان زوجها سفاكا للدماء جبارا فى الأرض . ويــبدو أن خاقــان الخــزر كانت له رؤية مخالفة فى أمر زوج شقيقته ، فقتله وعين بدلا عنه "بــارداليس فيليــبكس " كإمبراطور لبيزنطة . يقول أستاذ التاريخ للشرق الأوسط فى جامعة كولومبيا ، دوجلاس دانلوب .

كــان لــلخزر نفــوذا على امتداد الإمبراطورية الرومانية الشرقية علاوة على دورهم بصــفتهم حماة خط دفاع القوقاز المنيع ضد الإسلام . ولايبدو أن هناك مبالغة فى القول أنه فى تــلك المرحــلة ، كان الخاقان الخزرى قادرا بالفعل على أن يقدّم حاكما جديدا للإمبراطورية الرومانية وقتما يشاء(٥) . واستطاع الخزر بقوتهم العسكرية أن ينفذوا إلى الإمبراطور البيزنطى

قســطنطين بورفيروجينيــتوس ، الــذى كون منهم (فرقة النخبة) من الحرس الخزرى لحراسة بوابات قصره نظير أجور باهظة(٦) .

★ ★ ★

لم يقف أمر النفوذ الخزرى اليهودى عند حد السيطرة على حكام الإمبراطورية الرومانية الشرقية فحسب . بل تعداه إلى السيطرة الروحية عليها ، والمتمثلة فى رموزها الدينية . استطاع البطريريك " فوتياس " الذى عرف باسم صاحب الوجه الخزرى ، أن يصل إلى المراكز الرئاسية فى الســلك الكنسى البيزنطى بالقسطنطينية عام ٨٦٠ ميلادية ، وقام بشحذ همة البيزنطيين لقــتال الروس المغيرين على أراضيهم ، أثناء غياب الجيش المسيحى الذى ذهب للحرب ضد المســلمين فعـــاد الجيش البيزنطى إلى القسطنطينية وحارب الروس الغــزاة ، فتوطــدت أرجل " صاحب الوجه الخزرى " فى الكنيسة الرومانية الشرقية .

ولم ينته أمر التغلغل اليهودى داخل السلك الكنسى عند ذلك الحد ، بل امتد إلى تعميق الفجــوة بين المسيحيين ، وخلق المذاهب المختلفة بينهم ، وتعدى الأمر ذلك إلى زرع اليهود المتنصّــرين فى الكنائس المختلفة ، بهدف الوصول إلى أعلى المناصب الكنيسية ، واستمر ذلك التغلغل حتى أيامنا هذه .

ســعت اليهودية الحديثة لغزو الفاتيكان ، حامية المسيحية الكاثوليكية ، فقابل "تيودور هيرتزل" الأب الروحى للصهيونية الحديثة فى شهر نوفمبر عام ١٩٠٤ ، البابا بيوس العاشر ، ودخل معه فى مناقشات مطولة حول علاقة الكنيسة بالشعب اليهودى ، وموقف الفاتيكان من اليهــود عــبر التاريخ ، يريد الربط بين بعض نصوص التوراة فى الماضى والمستقبل عن وحدة الوجــود اليهــودى المســيحى(٧) . كان هدف هيرتزل من ذلك الحوار ، هو بذل الفاتيكان جهودها للتعاطف مع اليهود حول الأراضى المقدسة فى فلسطين ، وأن يكون لهم وضع خاص يمكن الجماعات اليهودية من تحقيق أهدافها .

★ ★ ★

حــاول اليهــود عــلى مرّ الأزمان ، الإبقاء على سرّية مخططاتهم التى تعكس ميراثهم الأخلاقى والدينى والسياسى ، وعكست مجموعة بروتوكولات حكماء صهيون ذلك الميراث . كــان تخــريب المسيحية هدفا قائما بذاته . فكان من بين فقرات البروتوكول السابع عشر ما

نصه : " إن حرّية العقيدة الدينية معترف بها اليوم فى كل مكان ولايفصلنا عن الهيار المسيحية إلا بضع خطوات ، وسيكون القضاء على الأديان الأخرى أيسر من ذلك . عندما يحين الوقت المناسب لهدم القصر البابوى ، ستمتد يد مجهولة إلى الفاتيكان وتعطى إشارة الهجوم[٨] .

هــدم الفاتيكــان فى التصــور اليهودى ، مقصود به الهدم المعنوى فى الأساس الأول ، بالتسلل إلى معقل الكاثوليكية وتوجيهها إلى خدمة الأغراض اليهودية الصهيونية .

وقــد تم الكشــف عن بروتوكولات حكماء صهيون عام ١٩٠٥ فى روسيا ، عندما عادت سيدة روسية كانت تقيم فى باريس تدعى " جوليدا ديمتر ملينا " إلى روسيا ، وكان معها البروتوكولات، بصفتها عضو فى المراتب العليا لجمعيات " الماسون " ، والتى تم تطوير عملها عام ١٨٦٩ فى مدينة براغ فى اجتماع سرى عقد حول قبر رجل يهودى يدعى (سيمون بن يهــودا) ، واتفــق فيــه على اتخاذ خطوات جديدة للعمل السرى اليهودى لتطوير الحركة والتعالــيم الماســونية التى تقررت عام ١٧٠٧ م فى فرنسا ، لتتلاءم مع الجو المسيحى الجديد الذى ظهر فى بريطانيا والولايات المتحدة وانتشار المذهب البروتستانتى فيهما .

ولــد الاجتماع الذى تم حول قبر سيمون بن يهودا ، تنظيما يهوديا عالميا يضم ثلاثمائة رجل يعرفون بعضهم البعض حركيا وتنظيميا . يتحركون بمكونات عالية تؤهلهم للعمل فى هذه الحكومات السرّية . عندما يموت أحدهم يتم تعيين غيره على الفور من الصف الثانى . لديهم التحّمس والارتباط بالنصوص المعتقدة من التلمود . ومن بين تلك المعتقدات التى توجه الحركة السياســية للمســتقبل اليهــودى وأطماعــه مــا تقول : " لقد وكل أباؤنا من قادة يهوذا أمر الاجتماع مرة على الأقل فى كل قرن ، حول أستاذنا الأعظم الربّانى المقدّس " سيمون بن يهــودا " الذى تعطى تعاليمه للصفوة الممتازة من كل جيل ، سيطرة على جميع العالم وسلطته عــلى شعب يهوذا " . وتقول تلك المتعقدات أيضا : " قد مضى ثمانية عشر قرنا على حرب يهوذا من أجل السيطرة على العالم التى وعد بها إبراهيم والتى اغتصبها الصليب غصبا ، ورغم أن شــعب يهــوذا قد ديس بالأقدام وأهين من قبل أعدائه وكان على الدوام متهددا بالموت والاضــطهاد والاغتصاب وجميع أنواع الشدائد فإنه لم يستسلم . إذا كنا قد انتشرنا فى جميع أنحاء العالم فذلك لأن العالم كله ملك لنا "[٩] .

★ ★ ★

انتشرت بعض الخيالات الدينية بين الأنجلوا ساكسون فترة من الزمن وتكونت لها عصبة عـــرفت باســـم (الأنجلوإسرائيلية) وروّج لذلك الفكر ، ضابط فى البحرية الإنجليزية يدعى "ريتشارد دبروترز " فى كتاب أصدره عام ١٧٩٤ بعنوان (المعرفة المنزلة للنبوءات والأزمنة) وقـــد تنبأ بنجاح الثورة الفرنسية واعتبرها كارثة من الكوارث التى تكهن بها الكتاب المقدس واعتبرها مقدمة للعصر الألفى الجديد وعودة المسيح مرة ثانية إلى العالم .

ويعـــتقد ذلـــك اليهـــودى الإنجليزى أنه قد اقترب عصر الإرجاع والاسترجاع الذى سيشـــمل كلامن العبرانيين المتطورين وغير المتطورين وفسر المقصود بالعبرانيين غير المتطورين بـــأنهم السكســـون الذيـــن احتلوا بريطانيا مُرجعا أصلهم إلى اليهودية على أساس انحدارهم من سلالة الأسباط العشرةالتى فقدت بعد اجتياح الآشوريين لمملكة إسرائيل عام ٧١٢ ق.م . وهـــى الأســـباط التى يعلقـــون زمن الخلاص النهائى على عودتها وجمع شمل بيت إســـرائيل بأكمله[١٠] .

وإذا ما رجعنا إلى تاريخ دخول الماسونية إلى أوروبا ، لوجدناه متوافقا مع الفترة الزمنية الـــتى سمح فيها لليهود بالعودة إلى البلاد الأوروبية بعد طردهم منها . ويعتبر عام ١٧١٧ هو العـــام الـــذى بدأت فيه الماسونية بالانتشار فى بريطانيا ثم انتقلت إلى معظم البلاد الأوروبية . وقـــد تم انـــتخاب الدوق مونتا جو عام ١٧٢١ أستاذا أعظم للماسونية ، كما انتخب الملك جورج الرابع عام ١٧٩٥ أستاذا أعظم للمحافل الماسونية . وعمل ملك الإنجليز على توحيد المحافل الماسونية البريطانية تحت رئاسة محفل واحد أطلق عليه اسم (محفل إنجلترا الأكبر المتحد). وانـــتخب إدوارد السابع عام ١٨٧٤ أستاذا أعظم حتى عام ١٩٠٠ ثم حل محله دوق كنت لأن إدوارد السابع ارتقى عرش بريطانيا .

ويـــرجع بعض كتاب التاريخ تفجير الثورة الفرنسية عام ١٧٩٨ بأنها ثورة يهودية من ألفها إلى يائها ، انتقاما من عهد لويس الخامس عشر الذى كافح الماسونية بكل ما يملك من قوة فأصـــدر منشـــورا عـــام ١٧٣٧م منع فيه حاشيته الماسونيين من حضور مجلسه وأيده البابا الكيمـــندس الثانى عشر فى مكافحة الماسونية فأصدر منشورا عام ١٧٣٨ ، يهدد فيه الكهنة وغيرهم بالحرمان إذا ما انضموا إلى تلك الجمعية المجرمة أوأخذوا يناصرونها[١١] .

★ ★ ★

وقد بدأت الدعوة الماسونية فى انجلترا كوسيلة لنشر المعتقدات التى يريد اليهود بثها بين الأفــراد بهــدف خدمــة الدعوة الصهيونية ، فأطلقوا شعارات زائفة رنانة من أهمها : الحرية والإخــاء والمساواة .كانت أهداف الماسونية باختصار شديد ، المحافظه على استمرارية حركة اليهــود العالمية ، وهى محاربة الأديان جميعها والكاثوليكية بصورة خاصة ، والعمل المنظم لبث روح الإلحاد فى العالم .

عقــد أول محفــل ماسونى فى باريس عام ١٧٣٢ لبدء العمل المنظم لانتشارها العالمى ، وتــبعه محفــل آخر فى بوسطن عام ١٧٣٣ ، وانتشرت المحافل الماسونية بعد ذلك عن طريق بــريطانيا فى مســتعمراتها ومــن بيــنها مصر ، التى جرمتها عام ١٩٦٤ بقانون يمنع قيامها أو نشاطها فى البلاد[١٢] .

وتنقسم عضوية المحفل الماسونى إلى ثلاث مراحل :

الأولى هى الابتدائية، وتكون العضوية فيها واجهة من بريق الدعاية بالشعارات الفارغة . أما المرحلة الثانية ، فهى مرحلة السلوكية ، وهى التى يصبح فيها العضو من الصلاحية لممارسة تــلقى المعــلومات عن حياة مملكة الماسون التىتشمل العالم كله . والمرحلة الثالثة وهى مرحلة الكونية التى تضم النخبة المختارين للعمل الماسونى لقيادة المحافل . ولكل مرحلة درجات يظل العضو يرتقيها كالسلم حتى يصل إلى أعلاها ، فينتقل إلى المرحلة الأعلى[١٣] .

يرّدد عضو المحفل الماسونى عند التحاقه به قسما نصّه : " أقسم بمهندس الكون الأعظم أن لا أخون عهد الجمعية وأسرارها لا بإشارة ولا بالكلام ولا بالحركات وأن لاأكتب شيئا عنها ولا أنشر بالطبع أو الحفر أو التصوير . وأرضى – إن حنثت بقسمى – أن تحرق شفتاى بحديد محمى وأن تقطع يداى ويحز عنقى وتعلق جثتى فى محفل ماسونى ليرانى كل طالب آخر ، فيتعظ بها ثم تحرق جثتى ويُذر رمادها فى الهواء لئلا يبقى أثر من جنايتى " .

أمــا القسم المطلق للفئة الثالثة فينص على : " أن أعظم واجب للماسونى الأوروبى هو تمجيد الجنس اليهودى وعبادته لأنه حافظ على المستوى الكهنوتى للحكمة "[١٤] .

تفرعت عن الماسونية ، تنظيمات يهودية عالمية الاتجاه تحت شعارات رنانة تحض كلها على السلام و الإخاء بأهداف محددة ، لهزّ العقيدة الدينية لدى المؤمنين المسيحيين[١٥] ، كانت أهم تــلك الجمعيــات قاطــبة وعلى الإطلاق ، جماعة " شهود يهوا " ، التى تسعى بين المسيحيين

فى شــتى أنحاء العالم مع التركيز على مسيحيى أوروبا وأمريكا بصفة خاصة ، بهدف الربط بين الأصــل التوراتى ، وبين تمجيد اليهود وعقيدتهم ، ونسخ ما جاء بعد ذلك من دين مسيحى ، بطرق ملتوية مليئة بالخرافات التى تدفع الكثير من المؤمنين منهم إلى الإلحاد والكفر بكل القيم الموجودة فى المجتمعات التى يعشيون بها[١٦] .

كان انتقام إمبراطورية الخزر اليهودية من جارتها المسيحية – الدولة البيزنطية – ذا شكل فريد ، لم يستطع المؤرخون سبر أغواره حتى الآن تفصيلا ، أو الربط بين أحداث ذلك الزمان كوحــدة واحــدة ، بل عولج الأمر منفردا ، كُل يراه من زاوية خاصة . إما عن تعمد لعدم الخــوض فى تفاصيل الدور اليهودى ، وإما لتشعّب الأمر وتشابك الأحداث واختلاط الأسماء والأصول العرقية لما يسمون بقبائل الترك .

مــن المعروف تاريخيا أن بداية النهاية للإمبراطورية البيزنطية ، كانت على يد السلاجقة الذيــن هــزموا بيزنطة فى موقعة " ملاذكرد " عام ١٠٧١م ، وأنشأ السلاجقة دولتهم التى عرفت بإسم دولة (سلاجقة الروم) ، وكان أول سلاطينها يدعى "سليمان بن قتلميش " عام ١٠٧٧م . اتخــذ السلاجقة مدينة قونية فى الأناضول عاصمة لهم[١٧] . ولقد أطلق المؤرخون جميعا على السلاجقة صفة الإسلام .

★ ★ ★

وبــالعــودة إلى أحــداث المــنطقة بالترتيب التاريخى الموثق ، نجد أن جماعة من الترك الديلــم [١٨]، وقد بدأت الحروب والإغارات الروسية على الخزر ، استطاعت السيطرة على اقلــيم الــرىّ الإيرانى برئاسة ملك جبار يدعى " مرداويج " عام ٩٣٨م ، وكان يجلس على سرير من ذهب ، ويقول إنه سليمان بن داود . والتشبه بملك اليهود سليمان عليه السلام دليل واضــح عــلى يهوديته الخزرية . استولى مردويج على الولايات الإسلامية حول بحر قزوين وأصفهان . كان جبارا ، عاث هو وجنوده فى الأرض الإسلامية فسادا كيف شاءوا[١٩] .

وقام الترك من شعب الديلم بقيادة "كورتكين" بالهجوم عام ٩٥٢م على المسلمين حتى احتل بغــداد ، فحاربه المسلمون بقيادة "ابن رائق" ، فهــزموا الترك الذين عادوا من حيث أتــو [٢٠] . والملاحــظ أن عــام ٩٥٢م هــو نفــس العام الذى غزا فيه الروس المسيحيون الإمــبراطورية الخزرية اليهودية وشتتوها ، فعاد الخزر إلى طبيعتهم البربرية بالإغارة والسلب والــنهب . وهــو ســبب وجيه فى نظرنا للاعتقاد بأن عودة قبائل الخزر اليهودية لطبيعتهم

العدوانيـــة بعد التشتت ، قادهم إلى ترسيخ الحقد الدفين فى صدورهم ضد المسيحيين الروس الذين أنهوا رسميا ، الدولة اليهودية الخزرية القوية وضمها إلى روسيا[٢١] .

كانت الخلافة العباسية فى ذلك الوقت، فى أسوأ أحوالها ، وتقطعت فيها الأمة الإسلامية. كان اليهود الخزر ، هم أكثر الناس طمعا فيها ، كما كان المسيحيون ينتهزون ضعف أى إقليم إســـلامى فى الشـــام ، للإغارة عليه . كان "الدمستق " قائد الأرمن ، هو أشدّهم قسوة على المســلمين وأكــثرهم ذبحــا لهم كان عند دخوله البلدة المسلمة ، يهدم المساجد ويحولها إلى اصطبلات لخيل جنوده ، إلى أن هزمه جيش المسلمين عام ٩٦٦م .

ومـــن نسل "كورتكين " خرج السلاجقة . والاسم مشتق من زعيمهم سلجوق ، الذى امتـــلك حفيده "طغرل بك " الجناح الشرقى فى كل بلاد إيران ، واضطر الخليفة العباسى أن يعهـــد إليـــه بالحكم باسمه ، وحماية الدولة العباسية . أما الفرع الثانى من نسل سلجوق ، فقد قـــادهم جفرى بن داود بن ميكائيل بن سلجوق ، من أذربيجان ، واتّجه إلى الدولة المسيحية الشرقية ، غازيا للاستيلاء عليها ، فخاض موقعة ملاذكرد ، وهزم القوات المسيحية . استقرت القبائل السلجوقية فى آسيا الصغرى وأنشأوا دولة سلاجقة الروم[٢٢] .

ويعتـــبر الكـــثير مـــن المؤرخين ، أن غزو السلاجقة لآسيا الصغرى هو البداية الحقيقية للحروب الصليبية التى شنها المسيحيون على المسلمين . فلقد ذاع أن السلاجقة من المسلمين . فهل كان التخطيط اليهودى الخزرى يهدف إلى أن يهبّ المسيحيون من كل البلاد فيسارعون إلى نجـــدة إخوانهم فى بيزنطة ضد المسلمين فيقتتل الجانبان فى حرب ضروس تفنى الفئتين ويخلو المجال لليهود ؟

يذكـــر أرثر كيستلر ، المؤرخ اليهودى : " شعب السلاجقة المؤسسين الحقيقيين لتركيا الإســـلامية هـــم فرع من الغزّ ارتحلوا إلى جوار مدينة بخارى وانطلقوا منها فيما بعد إلى آسيا الصـــغرى الـــبيزنطية واستعمروها . يروى أحد الأساقفة السيريانيين – بارهبراءوس – عام ١٢٨٦م ، وهـــو يهودى تحوّل إلى المسيحية ورسم أسقفا ، أن توكاك أبو سلجوق كان قائدا لجيش خاقان الخزر . وبعد موته ، نشأ ابنه سلجوق فى البلاط ورحل عن البلاد لسوء سلوكه ، فذهب إلى بلاد الترك[٢٣] .

ويقـــول كيستلر : " وهكذا يبدو أنه كان هناك علاقة حميمة بين الخزر ومؤسس الأسرة السلجوقية تلتها قطيعة يحتمل أنها بسبب تحول السلاجقة إلى الدين الإسلامى . بينما ظلت باقى

قبائل الغز وثنية مثل الكومان ، ومع ذلك فقد انتشر التأثير اليهودى الخزرى فترة ما حتى بعد القطيعة . فمن بين أبناء سلجوق الأربعة واحد سمي إسرائيل وهو اسم ينفرد به اليهود كما سمّي واحد من أحفاده داود " .

كان انتقام اليهود الخزر من المسيحيين والمسلمين فى تلك الحقبة من الزمن عظيما ، قتل فيها من أبناء الطائفتين مئات الألوف ، وانتهى الأمر بالدولة البيزنطية إلى اقتطاع الخزر اليهود نصف تلك الإمبراطورية تقريبا ، وألصق الأمر بالمسلمين "السلاجقة " .

إذا مـا أخذنا فى اعتبارنا كلام مؤرخ يهودى محقق مثل كيستلر ، وما نقله عن يهودى تنصّـر لـلولوج إلى السـلك الكنسـى المسيحى حول نشأة سلجوق فى بلاط خاقان الخزر اليهـودى ، حيـث كان ابنا لقائد الجيش الخزرى اليهودى ، فكيف نعتبر سلجوقًا مسلما ؟ وكيـف نتفق مع القائلين بأن جيشه كان من المسلمين ؟ إن نظرة واحدة إلى أسماء حكام دولة السلاجقة الروم ، منذ قيامها حتى قضى المغول عليها عام ١٣٠٠ ميلادية ، نجدها أسماء لا تمت للإسـلام بصلة . كان حكامها على التوالى هم : قتلميش – سليمان ابن قتلميش – قلمج – ملكشاه – مسعود – كيخسرو – سليمان – كيكاوس – كيقباذ[٢٤] .

كـان السـلاجقة الذين غزوا آسيا الصغرى ، تحت قيادة هى بلاشك من الخزر اليهود الذين فرّوا بعد هزيمتهم على يد الأمير الروسى المسيحى من أرضهم ، وأرادوا ضرب المسيحية كهدف أساسى ، بالاستيلاء على الجزء الآسيوى منها . كان جيش سلاجقة الروم يتكون من : السلاجقة الذين أطلق عليهم اسم المسلمين ، الذين عاشوا فى الأرض المسلمة ، وقسم كبير من قبائل الترك الخزرية اليهودية ، وجيش من الترك الغزّية المرتزقة ، يعلم الله وحده سريرتهم .

ومـن الجديـر بالذكر فى هذا المجال ، أن إمبراطورية الخزر اليهودية كانت تضم أقلية مسـلمة تعرف بإسم " اللارسيّة " ، وهم قبيلة من الترك ، أشدّاء فى الحرب ، يحكمهم نظام صـارم سـاروا عليه منذ أن استقروا فى أرض الخزر . وكانت شروطهم مع الخاقان اليهودى تنحصر فى أمور ثلاثة :

(١) إظهار دينهم الإسلامى وإنشاء المساجد وإقامة الأذان .

(٢) استقلالهم الدينى وسريان أحكامهم الإسلامية وحدها عليهم ولهم حاكم خاص بهم .

(٣) مـتى كـان لملك الخزر حرب مع المسلمين لايحاربون أهل ملتهم ويحاربون سائر الناس غيرهم[٢٥] .

والمسلمون "اللارشية " هم فرع من إحدى قبائل بلدة "لارى " جنوب إيران ، هاجروا إلى أرض الخـــزر فأقاموا بها . وكانت هناك جماعة مسلمة أخرى ، الغالب أنها إحدى الفرقتين اللتين افترقتا بعد هزيمة المسلمين عام ٦٥٢م . أمام الخزر فى أذربيجان ، وكان جيش المسلمين تحت قيادة عبد الرحمن بن ربيعة ، أحد سادات المسلمين وشجعانهم الذى قتل فى تلك المعركة ، وتذكر المصادر العربية أن إحدى الفرقتين المنهزمتين ، توغلت فى أراضى الخزر ولم يعرف عنها شيء بعد ذلك[٢٦] .

إن المســـلم لايستطيع أن يعترض على إسلام شخص آخر إذا ما قال إنه مسلم ، لكن ما فى القلوب لا يدركه إلا من خلقه سبحانه وتعالى ، فله الحكم وله الأمر وهو الأعلم .

هكذا تمكّن اليهود عن طريق السلاجقة ، من وضع بذرة الخلاف العقائدى بين المسيحيين والمسلمين لقرون طويلة ، استمرت على مدى عمر السلاجقة ثم العثمانيين وإلى ما بعد ذلك .

★ ★ ★

فكرة الحروب الصليبية ، فكرة يهودية خزرية ، نشأت ثم انتهت دراميا ، لكنها خلفت قـــدرا من الأسطورية لاتزال تعيش بينهم حتى يومنا هذا ، صوّرها بنيامين دزرائيلى – رئيس وزراء انجلترا – فى رواية رومانسية تاريخية بعنوان "حكاية ال روى الرائعة " ، تعكس عقيدته اليهودية المتعصبة واقتناع رجال السياسة اليهود فى العالم بتلك الأمنية ، البعيدة عن الإيمان بالله عزّ وجلّ وما حجبه عنا من الغيب .

وتحكى تلك الرواية ، قصة واقعية حدثت ، عندما قام يهودى خزرى يدعى "سليمان بن روحـــى "، يساعده ابنه "مناحم" ، بتوجيه نداء إلى كل اليهود فى البلاد حولهم ، يقولون فيه إن الوقت قد حان ليجمع الله شعبه من بنى إسرائيل من كل البلاد فى مدينة القدس المقدّسة ، وأن سليمان بن روحى هو "إليا" وابنه مناحم هو " المسيح المخلص " .غيّر مناحم اسمه إلى داود الروى ، ولقب نفسه بالمسيح المخلص وسار فى جيش من يهود الخزر حتى شمال شرق الموصل فى العراق واستعد يهود العراق لمساندته ، لكن حاخاماتهم فى بغداد خافوا من انتقام المسلمين مـــنهم ، فأوعـــزوا إلى صهر مناحم فقتله ، وانتهت الحركة التى رفع فيها مناحم ، درع داود المسدس الشكل رمزا لمسيرته ، والتى أصبحت فيما بعد شعارا لكل يهود الدنيا[٢٧] .

وفكـــرة المســـيح المخلص ، تسرّبت إلى العقيدة اليهودية من العقائد البابلية التى كانت تعتقد بعودة "مردخ" إله بابل حينا وبعد حين ، لنشر الخير وتطهير الأرض من الفساد . ولقد تصوّر اليهود أن ذلك المنقذ أو المخلص ، ملك ذو جاه من نسل داود ، يُمسح بالزيت المقدس – طـــبقا للشعائر اليهودية – ليعيد مجد إسرائيل ويقيم مملكة داود ، وسمّى بالمسيّح ، نسبة إلى ذلـــك المسح بالزيت المقدس . وينتظر اليهود ذلك المخلص مرّة كل ألف عام من بدء التقويم العـــبرى ، وهـــم لا يؤمنون برسالة السيد المسيح ابن مريم عليه السلام ، ومازالوا فى انتظار المسيّح المخلص[٢٨] .

هـــذه الفكـــرة الرومانسية ، هى التى حكمت سياسة أبناء العقيدة اليهودية على مدى العصـــور ، وحـــتى وقتنا الحالى وطوّرها الحركة الصهيونية سياسيا واجتماعيا لتحقيق أهدافها وأطماعها . وقد نشأ عن تلك المعتقدات طائفة يهودية تعرف بالقبّاله ، وهى فرقة نشأت على أساس أفكار التلمود ، وبتأثير فكر الزراد شتية الفارسية التى تعتمد على التأويلات وتفسيرات التـــلمود على الطريقة الباطنية . وأصل "قبّالة " الأرامى بمعنى" القبول " . ويرجع إنشاء تلك الفـــرقة إلى الحاخـــام سمعـــان بـــن يوشـــاى فى القرن الثانى الميلادى ، الذى أقام فى كهوف فلســـطين ثلاثـــة عشر عاما وادّعى الكشف أو الإلهام أو الإشراقة واكتشاف أسرار السماء والأرض ، ولعبت آراء ذلك الحاخام دورا أساسيا فى بناء فكرة ظهور المسيّح المخلص للشعب المختار [٢٩] .

★ ★ ★

ذكر المؤرخ اليهودى أرثر كيستلر أن تاريخ الحملة البدائية اليهودية التى شبّهها بالصليبية لفـــتح بيت المقدس قد وقعت أحداثها فى القرن الثانى عشر الميلادى . فإذا كان ذلك التاريخ صحيحا، فمعنى ذلك أنها تحركت فى حماية السلاجقة ، وأن التجمع اليهودى تحت شعار نجمة داود تم بمـــباركة السلاجقةأيضـــا . فـــإذا كان ذلك الفرض صحيحا ، فيبدو أن السلاجقة لم يشاءوا أن تستمر الحركة اليهودية الصليبية لغزو القدس فى ذلك الوقت واستمرار تقدمها ، نظرا لاعتبارات ثلاث :

الأول : ســـيطرة الدولة الفاطمية فى مصر على مدينة بيت المقدس التى كانت تتبع مصر إبان الحكم الفاطمى[٣٠] .

الثانى : وجود قوات الإمبراطورية البيزنطية على سواحل الشام من أنطاكية وحتى حيفا .

الثالث : الخشية من إثارة العالم المسيحى ضد النشاط اليهودى .

أما إذا ما كان تاريخ تلك الحملة اليهودية قبل ذلك التاريخ ، أى فى القرن الحادى عشر الميلادي ، فإنه من المحتمل ، أن بقاء تلك الحملة اليهودية الخزرية فى بغداد وما حولها ، قد أفرز الوجود السلجوقى إلى هذه الدنيا ، خاصة إذا ما استعدنا الذاكرة بأن النشأة الأولى للسلاجقة بدأت بالاستيلاء على شمال العراق على يدى سلجوق ، ثم ابنه ميكائيل ، ثم ابنه داود ، ثم انتقل الملك إلى طغرل بك بن داود، الذى حارب المسلمين عام ١٠٤٠ م فى موقعة دنداقان، وانتصر عليهم فاستولى السلاجقة على كل بلاد إيران ووقفوا بحدود دولتهم عند حدود الدولة الفاطمية فى بلاد الشام(٣١) .

والجدير بالذكر هنا ، أن نظام الحكم فى دولة الخزر اليهودية ، كان حكما ثنائيا : خاقان الخزر ، وهو الحاكم ذو السلطة الروحية والدينية ، ومعه "بك" ، وهو صاحب السلطة الدنيوية وقائد الجيوش فى الدولة(٣٢) . ولقد كان طغرل الفاتح السلجوقى الذى حارب المسلمين وهزمهم يحمل لقب "بك" .



جاء السبب الفعلى للحروب الصليبية ، نتيجة للغزو السلجوقى لآسيا الصغرى . فقد هال حكّام بيزنطة زحف السلاجقة فى قلب آسيا الصغرى واستيطانهم بها ، فأرسلوا يستنجدون بأوروبا من أجل دفع ذلك الخطر الداهم . طلب الإمبراطور البيزنطى " الكسيس كومنين " الأول من أمير هولندا عام ١٠٨٨م مساعدته فى حربه ضد السلاجقة . ووجد البابا " أوربان الثانى " بابا الفاتيكان الكاثوليكى ، أن الفرصة قد سنحت للكاثوليك لتوحيد الكنائس المسيحية ، فدعا إلى نجدة المسيحيين فى الدولة الرومانية الشرقية .

كان الخلاف بين الكنيستين، الكاثوليكية فى غرب أوروبا، والرومانية الشرقية فى بيزنطة، قد استعرت ناره فى تلك الفترة ونتج عن ذلك ما يعرف بالانشقاق الدينى الكبير عام ١٠٥٤م الذى حدث بين الكنيستين . كانت دعوة بابا الفاتيكان الكاثوليكى لمناصرة المسيحيين فى بيزنطة ، بهدف توحيد المسيحيين وإنشاء مملكة واحدة يسيطر عليها بابا الفاتيكان .

دعا البابا فى خطاب له إلى الحروب الصليبية ، التى أطلق عليها الاسم نسبة إلى صليب صغير أحمر مصنوع من القماش ، يلصق على كتف كل فارس مسيحى يزمع السفر إلى بلاد الإسلام للحرب . وصف البابا فى خطابه السلاجقة بأنهم : " شعب لعين وأبعد ما يكون عن الله تعالى . يخلط الحقائق مع الخيال " . ثم يذكّر البابا الفرنجة بماضيهم ويطالبهم بالانتقام

مـــن ذلك الجنس الملعون وإنقاذ قبر السيد المسيح ووراثة خيرات بلاد الشام التى تفيض لبنا وعسلا (٣٣) .

هكــــذا تجمع الصليبيون وساروا لرد السلاجقة عن أراضى الإمبراطورية البيزنطية اسما ، ثم اســـتمروا فى غـــزوهم وقـــتال المسلمين فى الشام ومصر وتونس على مدى الفترة من عام ١٠٩٦ إلى ١٢٩١ ميلادية ، إلى أن انتهوا بالعودة إلى أراضيهم دون تحقيق نتائج إيجابية دائمة فى تلك الفترة من التاريخ ، سوى دماء المسيحيين والمسلمين التى أهريقت على أرض الشرق .

شـــرح المـــؤرخ أرنولد توينبى ، أسباب الكراهية اليهودية للمسيحيين شرحا مستفيضا فى كـــتابه (مختصر دراسة للتاريخ) وهو يصف العلاقة بين طرفين ضاربا مثلا باليهود المشتتين فى شــــبه جزيـــرة أيبريا حينما التأمت الهوة بين طائفتى الرومان والقوط الغربيين بفضل تحول القوط عام ٥٨٧ ميلادية من المسيحية الآرية إلى المسيحية الكاثوليكية ، فبدأ التوتر بين الجماعة المســـيحية الموحـــدة والطائفـــة اليهوديـــة التى ازاداد شعورها بذاتيتها بعد صدور سلسلة من التشريعات المناهضة لليهود والتى تدل على نفوذ الكنيسة الكاثوليكية على الدولة .

ويستطرد المؤرخ توينبى : إن نهاية الأمر ، كان تآمر يهود شبة جزيرة أيبريا مع إخوانهم فى الديـــن فى شمال أفريقيا ، ليحصلوا على تدخل العرب المسلمين لصالحهم . ويقرر المؤرخ : "ولعل العرب كانوا يعتزمون بلا شك القدوم بصرف النظر عن إغراء اليهود لهم . وعلى أى حال وفد العرب ، وتلا هذا قيام نظام إسلامى فى شبة جزيرة أيبيريا لبث خمسمائة عام ٧١١ - ١٢١٢م وفى الحكـــم الإســـلامى لم تعد الطائفة اليهودية قوما لهم طابع خاص " . ويقول المـــؤرخ : " إن برابـــرة القرون الوسطى من المسيحيين الكاثوليك الذين غزوا أملاك الخلافة الأموية الأندلسية ، نذروا أنفسهم لتحقيق المثل الأعلى للجماعة المسيحية المتجانسة فكان أن اضطر اليهود فى الفترة الواقعة بين عامى ١٣٩١ و١٤٩٧م إلى الخروج إلى النفى أو الاعتراف باعتناق المسيحية "(٣٤) .

وقـــد تمـــتع اليهود خلال الوجود الإسلامى فى شبة الجزيرة الأيبيرية بالمزايا و الانتشار والاستقرار والتسلل إلى بلاط الخلفاء ، واستغلال نفوذهم فيه بما يخدم أغراضهم ، ولعل رسالة حســـداى بـــن شبروط إلى ملك الخزر التى تحدثنا عنهافى الفصل السابق ، تبرز مدى النفوذ اليهودى داخل بلاط الخليفة المسلم فى الأندلس .

★ ★ ★

ومـــن المفيد للقارىء ، أن نختتم هذا الفصل من الكتاب ، بالإشارة إلى الكاتب الإيطالى "جيوفـــانى بابينى " الذى نشر منذ ثلاث سنوات كتابا بعنوان "جوك" ضمّنه فصلا لحديثه مع فيلســـوف يهودى يصف فيه جبن وذكاء اليهود ، رادا ذلك إلى أن اليهود منذ تشتتهم وهم يعيشون من غير دولة ولاحكومة ولاجيش . بل تراهم مبعثرين هنا وهناك فوق الكرة الأرضية بين أناس يكرهونهم . وليحافظ اليهود على نسلهم من الانقراض اضطروا إلى أن يخلقوا وسائل لـــلدفاع عـــن كيانهم فاستنبطوا وسيلتين خطيرتين هما المال والذكاء ، فقرر اليهود تدمير كل ما هو قائم من مبادىء وعلوم ومثل عليا تقوم عليها النصرانية .

عمل الذكاء اليهودى بجد ونشاط على تدمير أعز ما عند النصارى من معتقدات وهدم الأعمـــدة التىشـــيدوا عليها بناءهم الفكرى . ويضرب الكاتب الأمثال التالية : خلق الألمان الخيال السامى (الرومانسية) فجاء اليهودى "هايتى" وسخر من شعراء الرومانسية وضحك من الكاثوليكية . واعتقد الناس زمنا طويلا أن السياسة والأخلاق والدين والفن هى ظواهر سامية لـــلفكر ولاعلاقة لها قط بالبورصة وشئون البطن ، فجاء اليهودى "ماركس " وأثبت أن هذه الأشياء الخيالية إنما تعيش فوق أقذار علم اقتصاد حقير . وكانت أوروبا تفخر فى أواخر القرن التاســـع عشـــر بأنها بلغت شأنا عظيما فى الرقىّ الإنسانى بكتابات تولستوى ونيتشه وإبسن ، فجـــاء اليهودى "ماكس نوردو " فأثبت أن شعراء أوروبا قوم معتوهون بلهاء وأن حضارتهم قائمة على الكذب والرياء . وكان النصارى يعتقدون أن الإنسان سالم من كل فساد وشذوذ ، فجـــاء اليهودى "فرويد" باكتشافه الشهير فى شئون الجنس وقال : بأن أكثرنا فضيلة وتقوى يخفـــى فى أعماق كيانه رجلا فاسقا شاذا مجرما . وكان الناس يعتقدون أن الديانات هى نتيجة تعاون جميل منسجم بين الله وأسمى قوى الإنسان ، فجاء اليهودى "سلامون ريناخ " واستطاع بدهائه وذكائه ان يبرهن أن الديانات هى خلاصة خرافات ومحرمات وحشية .

ويســـتطرد الفيلسوف اليهودى حديثه إلى الكاتب الإيطالى قائلا : إن أوروبا هى اليوم تحت سيطرة هؤلاء النوابغ من اليهود ، وهم على الرغم من اختلاف جنسياتهم وتباعد أوطانهم إنما يسعون وراء غاية واحدة مشتركة هى أن ينقضوا الحقائق القائمة ويهدموا كل ماهو ثابت ويحـــتقروا كـــل مـــا هو محترم ويفسدوا كل ما هو طاهر . تلك هى طلائع الانتقام اليهودى الأعظم من اليونان واللاتين والنصارى . فقد سخر اليونان من اليهود وشتتهم الرومان وعذبهم النصارىونهبوهم . لم يستطيع اليهود الانتقام بالقوة ، فسيّروا اليوم هجوما عنيفا على أركان المدنيّة التى خلقتها أثينا أفلاطون وروما الأباطرة والباباوات . إن انتقام اليهود على وشك أن

يتحقق فهم أسياد الأسواق المالية والفكرية فى العالم يديرون حركتها كيفما يشتهون ويريدون ، فاليهودى يجمع فى شخصه نقيضين : المستبد فى ميدان الماديات ، والفوضوى فى حقل الفكر ، فالنصـــارى عبيد اليهود الآن فى ميادين الاقتصاد وضحاياهم فى ساحات الفكر . إن الشعب اليهودى الذى اتهم بأنه قدم الإله قربانا ، يريد اليوم أن يقضى على إلهين : الذكاء والعاطفة ، ويجعل النصارى يسجدون وجباههم معفرة بالتراب أمام الإله الجبار : المال(٣٥) .

إن مايذكـــره الكاتب الإيطالى حول الفيلسوف اليهودى فى نهاية القرن العشرين،يكاد يتطابق تماما مع ما أعطاه أمير يهود القسطنطنية عام ١٤٨٩ م من تعليمات صريحة لليهود فى فرنســا ، عندما شكوا إليه اعتداءات الفرنسيين عليهم ، طالبين مشورته . قال لهم : "إليكم رأى الحاخامـــات بمقتضى قولكم إن ملك فرنسا يجبركم أن تعتنقوا الدين المسيحي . اعتنقوه لأنـــه لايســـعكم أن تقاوموا غير انه يجب عليكم أن تبقوا شريعة موسى راسخة فى قلوبكم . وقولكـــم إنهم يأمرونكم بالتجرد من أملاككم فاجعلوا أولادكم تجارا ليتمكنوا رويدا رويدا مـــن تجـــريد الميسحيين من أملاكهم . وقولكم إنهم يعتدون على حياتكم ، فاجعلوا أولادكم أطـــباء وصيادله ليعدموا المسيحيين حياتهم . وقولكم إنهم يهدمون معابدكم فاجعلوا أولادكم كهنة وإكليريين ليهدموا كنائسهم" .

ويســـتطرد أمير يهود القسطنطينية فى تعليماته إلى يهود فرنسا بقوله : " إنهم يسومونكم تعديات أخرى كثيرة فاجعلوا أولادكم وكلاء دعاوى وكتبة عدل وليتداخلوا دائما فى مسائل الحكومة ، ليخضعوا المسيحيين لنيركم فتستولوا على زمام السلطة العالمية . وبذلك يتسنى لكم الانـــتقام . ســـيروا بأمرنا هذا فتتعلموا بالاختبار أنكم بهذا الذل وهذه الضعة التى أنتم فيها ستصلون إلى ذروة القوة والسلطة الحقيقية " . تلك هى الأسس اليهودية فى التعامل مع البشر من غير دينهم(٣٦) .

★ ★ ★

لايمكـــن لنا ونحن نعالج التغلغل اليهودى فى صفوف المسيحية ، إغفال الحروب الصليبية الـــتى طحـــنت المسلمين والمسيحيين معا والتى بدات عام ١٠٩٥م . وأربط هنا بين ما ذكره مصـــدران تاريخيـــان ثقة حول ذلك الربط . فقد ذكر (أطلس التاريخ الإسلامى)(٣٧) ، ان بولدين صاحب بولونيا ، انفصل عن الصليبيين واجتاز سلطنة سلاجقة الروم من حدود بيزنطه حـــتى "قونيـــة "ومنها إلى "الرها " ، بينماعبر باقى الصليبيين البحر ونزلوا على الشاطىء من

أنطاكية حتى رفح ويقول المؤرخ اليهودى كيستلر[٣٨] إن الرأى التقليدى للمؤرخين اليهود ، " أن الحـــرب الصليبية الأولىعام ١٠٩٦م ، جرفت أمامها كالمكنسة اليهود الألمان فى هجرة جماعيـــة إلى بولندة " وينقل عن (سيمون دوبنوف) أن الزحف تجاه الشرق دفع اليهود إلى شـــرق أوروبا . وهنا تثور عدة أسئلة عن ذلك النزوح اليهودى إلى بولندة ، التى استقر فيها يهـــود الخزر وشكلوا أغلبية سكانها ، وربط ذلك النزوح الجماعى بالحملة الصليبية التى قادها ملك بولندة عبر سلطنة سلاجقة الروم ووصوله سالما إلى " الرها " حيث أسس محميّة "صليبية " مستقلة .

بعد أن استطاع السلطان السلجوقى ألب أرسلان ، هزيمة الإمبراطور البيزنطى رومانس الـــرابع عـــام ١٠٧١ فى موقعـــه ملاذكرد فى أقصى شمال أذربيجان وفتح الطريق أمام قبائل الأتـــراك لـــتدخل آسيا الصغرى التى كانت تعتبر من أراضى الدولة البيزنطية ، تدفقت تلك القـــبائل الـــتركية – ولايعـــلم إلا الله سريرهم وعقيدهم – باسم سلاجقة الروم ، كان أول سلاطينها هو قلج أرسلان وتوسع أولئك السلاجقة الروم فى الأناضول حتى مدينة قونية ، التى اتخذوها عاصمة لهم .

واستغاث بابا بيزنطة الكسيوس كومنين ، بالكنيسة الكاثوليكية لإنقاذه من السلاجقة – المنعوتين بالإسلام – الذين توغلوا فى الأرض المسيحية . وكانت فرصة لتوحيد المسيحية تحت زعامـــة البابا الكاثوليكى فى الفاتيكان – كما سبق أن ذكرنا فى غير هذا المكان – لكن ذلك لم يتحقق فورا لوفاة البابا عام ١٠٨٥م ، واتجاه المسيحية لمساعدة الأسبان فى حرب الاسترداد بالأندلس عقب سقوط الخلافة الأموية الأندلسية سنة ١٠٣١م وانقسام الأندلس الإسلامى إلى دويلات متنازعه عرفت بإسم دول الطوائف أو ممالك الطوائف[٣٩] .

ومـــع الحميّة المسيحية لدحر المسلمين ، بعد تحقيق الانتصار الكاثوليكى فى شبة الجزيرة الأيـــبيرية ، دعا البابا أوربان الثانى لحرب مسيحية شاملة على بلاد الإسلام ، وخاصة الشام وفلســـطين لاســـتعادة المقدسات المسيحية و الأراضى التى عاش فيها السيد المسيح ابن مريم عـــليه السلام . ولقد استمرت الحروب الصليبية او الحركة الصليبية من أواخر القرن الحادى عشر (١٠٩٥م) حتى أواخر القرن الخامس عشر الميلادى ، ولم تخمد إلا بعد أن تأكد الغرب الأوروبى – تحت عباءة الصليب – من عجزه على الاستيلاء على بلاد المسلمين فى الشرق .

ولا نســـتطيع أن ننهى الكلام عن الحروب الصليبية ، والدور اليهودى الذى لعبه دون الإشـــارة إلى بعض الأحداث الهامة فى التاريخ التى مرّ عليها المؤرخون دون محاولة البحث عن

الأسباب التى دفعت إليها أو الربط بينها . فعندما حرر صلاح الدين الأيوبى بلاد المسلمين والقدس ، ثارت أوروبا ، فاجتمع ريتشارد قلب الأسد ملك الإنجليز وفردريك بربروس الألمانى ، وفيليب أوجست الفرنسى ، مع الأمراء والدوقات والكونتات والرعاع من أوروبا وساروا فى حملة برية وبحرية لقتال صلاح الدين . سار فردريك بجيشه عبر الأناضول عن طريق القسطنطينية بجيش عرمرم قاصدا بلاد المسلمين ، فيطلب صلاح الدين من الخليفة فى بغداد أن يساعده فى صد هذا الزحف الذى بلغه ، ويطلب من سلاجقة الروم وقف الزحف الصليبى عن طريق أراضيهم .

ترك سلاجقة الروم الجيش الصليبى يعبر أراضيهم لقتال المسلمين . ولم يرد الخليفة فى بغداد على صلاح الدين ، ورفض سيف الإسلام ملك اليمن مساعدة المسلمين ، فوصل الاسطول الصليبى إلى ميناء رابغ لغزو الحجاز ، فأعطى صلاح الدين أوامره إلى الملك العادل المصرى ونائب صلاح الدين فيها بتجريد حملة بحرية مصرية لتدمير الأسطول الصليبى والقضاء عليه وتم له ذلك(٤٠) .

هذا هو النفوذ اليهودى فى السلاجقة ، وتأثير يهود العراق على الخليفة ، ونفوذ يهود اليمن على ملكهم . ترك المسلمين وحدهم دون معونة ، تأجيجا للنار المستعرة بين المسلمين والمسيحيين وإذلالا للمسلمين بأمل اندحارهم أمام القوة الصليبية الغاشمة ، التى أجج نارها بلا شك اليهود المقيمون فى أوروبا .

★ ★ ★

وهناك سؤال يطرح نفسه على أى باحث : من هو المستفيد من تلك الحروب المتواصلة؟ والإجابة تنحصر فى أن اليهود كانوا هم الفئة الوحيدة التى جنت فوائد تلك الحروب التى خططوا لها تخطيطا محكما من كل جوانبه :

(١) حروب دامية بين المسيحى والمسلم تحتاج إلى أموال طائلة لشراء السلاح والطعام لكلا الطرفين ، يجنى منها اليهود أرباحا تفوق الخيال ، فهم أصحاب تلك التجارة منذ القدم .

(٢) تسلل يهودى خزرى - إشكنازى - إلى الأرض المقدسة التى يحلمون بها ، عن عقيدة مدمرة زرعها فيهم أحبار اليهود المطرودين من الجزيرة العربية ، فتلقاها قوم قامت حياتهم على الغدر والنهب والإغارة فأصبحت عقائدهم الخزرية هى منهاج اليهود الجدد على مرّ الزمان . كراهية المسيحى والمسلم على حد سواء ، لتحقيق الحلم اليهودى بالخلاص منهما معا . والمتصور أن ذلك التسلل جاء بشكل أساسى خلال الحملة الصليبية الأولى التى أسس فيها البولنديون اليهود حامية "الرها " حيث ينتشر العراقيون فيها . وقد يفسر ذلك تأخر فتح المسلمين لتلك الحامية إلى مرحلة متأخرة من الحروب الصليبية .

(٣) تحويل الأنظار المسلمة والمسيحية عن اليهود ، والالتفات إلى حربهما ضد بعضهما ، حروبًا طويلة شرسة باسم العقيدة تأكلهم معا رجالا ومالا . تستنزف طاقاتهم وتعطى لليهود المشتتين فى كل البقاع فرصة التفرغ لجمع المال وتدبير الفتن . كلما خبت النار بين الجانبين ، سارع اليهود إلى محاولة إشعالها من جديد . ولعل المثل الموّثق عن جاسوس اليهود المصريين الذين أرسلوه إلى الفرلجه لمعاودة الحرب مع صلاح الدين الأيوبى ووعدوا بمساعدته لخير دليل على ذلك . وإن كنا على ثقة تامة من أن كل جيش صليبى جاء إلى أرض الشرق ، كان بعض اليهود من المندسين فيه . وكذلك اندسّ اليهود فى صفوف المسلمين ، فهم لايحتاجون إلى توجية مسبق ، لأن كراهية المسيحى والمسلم تسرى فى دمائهم منذ أن تجرّعوها مع ألبان أمهاتهم عند مولدهم .

(٤) منح الفرصة لليهود فى الأندلس لتثبيت أقدامهم فى تلك المنطقة سواء فى المناطق التى يقطنها المسلمون ، أو تلك التى حازفيها المسيحيون انتصارا . وعندما انتهت الحروب الصليبية فى المشرق ، ألب اليهود المسيحيين على المسلمين فى شبة الجزيرة الأيبيرية مرّة أخرى فى أواخر القرن الخامس عشر .

تلك النقاط الهامة من التاريخ ، أسقطت عمدا كالعادة - وأقصد دور اليهود التفصيلى الموثق فى الحروب الصليبية - فأكبر كتاب التاريخ العالمى من الغربيين اليهود أو المسيحيين المتعاطفين أو الخائفين ، وكتاب التاريخ المسلمين ، ركزوا اهتمامهم على دور الصليب فى قتال المسلمين دون الالتفات إلى الدور اليهودى . لكن الحروب الصليبية رغم ضراوتها وخسائرها ،

أوغلت صدور اليهود بلا شك . فلقد عادت الأمة الإسلامية إلى وحدتها وقوتها مرّة أخرى ، ونكأ الجرح الذى أدمى صدور اليهود من قبل بانتشار الإسلام وصلابته أمام كل المحن . كان تفكيرهـــم بعد تلك الحروب ينحصر فى تفكير شيطانى جديد ، يقولون لأنفسهم : دعنا نفكر كيف يقتل المسلم أخاه المسلم ؟ وكيف يقتل المسيحى أخاه فى الدين ؟

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " بلغوا عنى ولو آية ، وحدّثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب علّى متعمدا فليتبوأ مقعده من النار " (٤١) صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلنحدّث عن اليهود ولا حرج .

★ ★ ★

هوامش الفصل الرابع

(١) انظر كتاب (القبيلة الثالثة عشرة ويهود اليوم) أرثر كيستلر ص٦٤ .

(٢) المصـــدر الســـابق ص ١٧٥ /١٧٦ نقلا عن سيسل روث فى كتاب (التاريخ العالمى للشعب اليهودى : العصور المظلمة) .

(٣) ويهمنا هنا إبراز هذه النقطة الهامة وسط كلام سيسل روث فى كتابه (التاريخ العالمى للشعب اليهودى : العصور المظلمة) الذى مرّ عليها سريعا دون تفصيل . فإن تجارة الرقيق التى ألصقت بالعرب والمسلمين ما هى إلا تخطيط يهودى إنجليزى مشترك . حقق اليهود منها الأموال الطائلة وحقق الإنجليز بها الاستعمار . ســـوف نعالج بإذن الله تعالى فى فصل آخر من هذا الكتاب ذلك الموضوع ، الذى نراه – من وجهة نظرنا – أنه أحد أهم الخطوط الرئيسية فى التخطيط للحصار الذى وضعه اليهود حول الإسلام .

(٤) انظـــر (القبيـــلة الثالـــثة عشرة ويهود اليوم) ص١٦١ ، وانظر أيضا كتاب (التاريخ اليهودى العام) د. صابر طعيمة ج٢ ص٥٤/٥٦ .

(٥) المرجع السابق لأرثر كيستلر ص٣١ .

(٦) انظر هامش أحمد نجيب هاشم فى ترجمة (القبيلة الثالثة عشرة ويهود اليوم) ص٥٤ .

(٧) انظر كتاب (التاريخ اليهودى العام) د. صابر طعيمة ج١ ص٣٨٩ /٣٩٨ .

(٨) المـــرجع السابق – وقد أورد نصوص بروتوكولات حكماء صهيون فى الجزء الثانى صفحات من ١١٣ إلى ١٥٤ .

(٩) المـــرجع السابق ج٢ ص١٥٣ /١٥٤ . وقد تم تلخيص تلك الحقائق عن كتاب (حكومة العالم الخفية) لـــلمؤلف شيريب سبريدوفيتش ، والذى ترجمه إلى العربية مأمون سعيد . يقول مؤلف الكتاب : إنه مقتنع تمامـــا بوجود هيئة يهودية لها صفة عالمية عدد أفرادها ثلاثمائة رجل يهودى نظامهم ديكتاتورى استبدادى ويعمــــلون وفق خطة قديمة مرسومة للسيطرة على العالم ولها من النفوذ و الإمكانات ما يجعلها قادرة على إيصال أى حقير إلى الزعامة وقمة المسئولية فى بلده ، وتحطيم أى زعيم تود التخلص منه . ويقول المؤلف ايضا إن القوة الخفية التى تتحرك خلف الماسونية العالمية هى الحكومة السرّية لليهود، لاوطن لها ولا أرض .

(١٠) انظـــر كـــتاب (يهود اليوم هم يأجوج ومأجوج) – فهد سالم ص٣٩ – نقلا عن كتاب (أزمة الفكر الصهيونى) للدكتور محمد ربيع ص٤٦ .

(١١) انظر(مجلة الوعى الإسلامى) – ص٣٦ /٣٧ – العدد ٣٨٩ مايو ١٩٩٨ .

(١٢) انظر(التاريخ اليهودى العام) د. صابر طعيمة ج٢ ص١٥٥/١٥٦ .

(١٣) انظر كتاب (الماسونية العالمية وموقفها من الإنسان والأديان) د . عابد منصور ص٥٢/٤٨ .

(١٤) انظر كتاب(اليد الخفية) د. عبد الوهاب المسيرى ص١١٥ إلى ١٣٠ – الكاتب د. المسيرى يعتبر من أكثر الكتاب المصريين تخصصا فى العلوم اليهودية ، وله عدة مؤلفات وأبحاث عن اليهود وتاريخهم ودينهم وطرائق عباداتهم ولغاتهم . عند تحدثه عن الربط بين الماسونية و اليهودية جاء الكلام تحت العنوان مخالفا لما يوحى به . فلقد ذكر أنه تم تأسيس أربعة محافل متفرقة فى انجلترا فى القرن السابع عشر جمعها محفل واحد مركزى تأسس عام ١٧١٧م مع بدايات عصر العقل وحركة الاستنارة وهو تاريخ بدء الحركة الماسونية . ويشير وسط الكلام حول الموضوع أنه سمح لليهود الالتحاق بالماسونية فى انجلترا عام ١٧٣٢م بعد انضمام فرنسا له عام ١٧٢٥ م وهو ينكر وجود صلة بين اليهودية والماسونية على أساس أن الماسونية علمانية . وهذا الكلام يخالف الواقع تماما . فالثابت أن الماسونية أسسها اليهود . وكما يذكر د. عابد منصور عابد فى كتابه (الماسونية العالمية) أن الماسونية تتدرج حتى ثلاثين درجة ثم تمنح القاب لمن يصل إلى الدرجة الحادية والثلاثين – الفارس الأعلى – والدرجة الثانية والثلاثين – رئيس أعظم شرف ، والثالثة والثلاثين ترسخ فى ذهن الماسونى المفاهيم التالية :

(١) الإيمان بالتوراة فقط .

(٢) الإيمان بأن الإنجيل والقرآن مأخوذان من التوراة .

(٣) الإيمان بهارون وموسى عليهما السلام فقط .

(٤) الإيمان بأن السيد المسيح عليه السلام وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هما العدوّان اللدودان لعقيدة الماسونية .

(٥) أن الرب هو رب إسرائيل والمؤيدين لإسرائيل . وينتهى السلم الماسونى بالعقد الملكى فى ثلاث درجات حتى درجة الملك المنتظر وهم درجة هيلاسيلاسى – ويزعمونه من ذرية رحبعام بن سليمان عليه السلام – ودرجة ملوك انجلترا وهم من يهود ألمانيا ومن سبط لاوى . تلك حقائق عن الماسونية فقد بعض الرجال حياتهم مقابل فضح تلك المخططات عن الماسونية اليهودية عندما تيقنوا منها .

(١٥) انظر كتاب (تسعة عشر ملكا) حسين ناجى محيى الدين ص٦١ – نقلاً عن كتاب (أسرار الماسونية) للجنرال جواد رفعت التركى – ترجمة نور الدين رضا الواعظ وسليمان محمد أمين ص٦ ما نصه " قيل فى أصلها نظريات مختلفة لكن الحقيقة المؤكدة هى أن اليهودية العالمية هى القوة المحركة الكامنة وراء الماسونية والأساتذة الكبار فى المحافل الماسونية هم الممثلون للجمعيات السرّية اليهودية وأن التساند الواضح الموجود بين الماسونيين فى العالم يرجعه الباحثون المطلعون إلى كثرة عدد اليهود فى الصفوف المتقدمة من الماسونية " .

(١٦) انظر (التاريخ اليهودى العام) د. صابر طعيمة ج٢ ص١٥٦/١٥٥ .

(١٧) انظر (أطلس تاريخ الإسلام) د. حسين مؤنس ص٢٢٠ خريطة رقم ١١٣ .

(١٨) الديلم : المنطقة الجبلية فى إقليم جيلان جنوبى بحر قزوين – المنجد فى اللغة والأعلام .

(١٩) انظر (البداية والنهاية) للإمام ابن كثير ـــ ج١١ (أحداث عام ٣١٥هجرية) .

(٢٠) انظر كتاب ابن كثير (البداية والنهاية) ج١١ (أحداث عام ٣٢٩هجرية) .

(٢١) انظر (القبيلة الثالثة عشرة ويهود اليوم) أرثر كيستلر – ص١١٣ /١٣٦ ، وكيف استطاع أمير كييف الروسى المسيحى "سفياتوسلاف" احتلال إمبراطورية الخزر وضمّها إلى أملاك الدولة الروسية بعد تشتيت الخزر عام ٩٥٢م

(٢٢) انظر (أطلس تاريخ الإسلام) د.حسين مؤنس ص٢٣٢ إلى ٢٣٧ .

(٢٣) انظـــر (القبيـــلة الثالثة عشرة ويهود اليوم) أرثر كيستلر ص١٣٢ – من الواضح أن المؤرخ اليهودى خفّـــف مـــن ألفاظ الأصل الخزرى للسلاجقة وجعلها : " علاقة حميمة " ، وهى فى نظرنا أكثر من ذلك بالقطع .

(٢٤) انظر (المنجد فى اللغة و الأعلام) ج٣ ص٣٠٤ .

(٢٥) انظر تقديم المترجم د. أحمد نجيب هاشم لكتاب (القبيلة الثالثة عشرة ويهود اليوم) ص٧ .

(٢٦) انظر (البداية والنهاية) للإمام ابن كثير ج٧ ص١٥١ ـــ وانظر أيضا (تاريخ الأمم والملوك) للطبرى ج٢ ص٦٢٧ الذى حدّد فيه البلدة التى دفن فيها عبد الرحمن وهى بلدة (سفط) .

(٢٧) انظر (القبيلة الثالثة عشرة ويهود اليوم) أرثر كيستلر ص١٣٤ .

(٢٨) المرجع السابق . وقد أورد المترجم الأستاذ أحمد نجيب هاشم ذلك – فى الحاشية – عن كتاب د. حسين فوزى النجار (أرض الميعاد) ص١٥٩ /١٦٠ الطبعة الثانية .

(٢٩) انظر كتاب (من اليهودية إلى الصهيونية) د. أسعد السحمرانى ص٩٣ إلى ٩٩ .

(٣٠) سوف نعرض فى الفصل القادم بإذن الله للعلاقة التى ربطت بين الفاطميين واليهود .

(٣١) انظـــر (أطـــلس تاريخ الإسلام) ص٢٣٧ – وانظر خريطة دولة السلاجقة والدول المعاصرة فى القرن الحادى عشر الميلادى ص٢٢٠ من نفس المصدر .

(٣٢) انظر (القبيلة الثالثة عشرة ويهود اليوم) ص٥٦ /٦٠ .

(٣٣) انظـــر كـــتاب (الحـــروب الصليبية) محمد ماهر حمادة ص٢٦ – نقلا عن ديورانت فى كتابه (قصة الحضارة) تعريب محمد بدران ج١٥ ص١٥/١٦ .

(٣٤) انظـــر (مختصر دراسة للتاريخ) أرنولد توينبى – ترجمة فؤاد محمد شبل ج٣ ص من ١١٥ إلى ١٣٠ – باستقراء التاريخ ، معلم الشعوب – فإن التجربة اليهودية الأيبيرية فى ضرب المسيحية بالإسلام ، قد أتت ثمارها فى الفكر اليهودى على مرّ الزمان . جاء اليهود وطبقوا نفس التجربة ، لكن بمضمون العكس الذى تمخض عنه ضرب الإسلام بالمسيحية فى سلسلة من الحروب الصليبية ، كانت ذريعتها احتلال السلاجقة – المُسمين بالمسلمين – لأراضى الدولة البيزنطية المسيحية .

(٣٥) انظر مقال (العلمانية معناها وتعريفها) سامى الجيتاوى – مجلة الوعى الإسلامى الكويتية – العدد٣٨٩ مايو ١٩٩٨ ص٣٥ /٣٦ .

(٣٦) انظـــر (حكومة العالم الخفية) شيريب سبرويدوفيتش – ترجمة مأمون سعيد ص٢٦ /٢٧ – ومن الجدير بالذكـــر أن مؤلف الكتاب السلافى وجد مقتولا فى غرفته بالفندق بنيويورك عام ١٩٢٦ بعد نشره هذا الكتاب .

(٣٧) انظر (أطلس تاريخ الإسلام) – الحروب الصليبية – ص٢٦٢ إلى ٢٧٢ .

(٣٨) انظر (القبيلة الثالثة عشرة ويهود اليوم) – أرثر كيستلر ص١٦٢ .

(٣٩) انظر (أطلس تاريخ الإسلام) – الحروب الصليبية ص٢٦٢ إلى ٢٧٢ .

(٤٠) انظر كتاب (وثائق الحروب الصليبية) محمد ماهر حمادة – نقلا عن (سيرة صلاح الدين الأيوبى المسماة بالنوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية) لابن شداد – تحقيق جمال الدين الشيال .

(٤١) انظر (مختصر صحيح البخارى) حديث رقم ١٤٤٥ ص٤١١ .

الفصل الخامس

التسلل اليهودى إلى الإسلام

بدأ التسلل اليهودى إلى الإسلام ، بداية مبكرة بعد خروج اليهود من الجزيرة العربية . عاش اليهود على حدود الأرض المسلمة فى الجزيرة العربية حول الكوفة والبصرة ، وفى الشام ومصـــر وفى أثيوبيـــا وفارس . يحيطون بأرض الحجاز من كل جانب ، لهم إلى حد بعيد نفس الطبائع العربية والملبس والسحنة والتقاليد ، واختلفوا معهم فى الدين و الأخلاق .

شعر اليهود أن الإسلام الزاحف فى سرعة البرق على الشعوب والأمم غير العربية ، تيّار جـــارف لايمكـــن مقاومته إلا عن طريق شق الصف الإسلامى الواحد ، وزعزعة ذلك الإيمان الراســـخ الـــذى استطاع أن يوّحد القبائل والأجناس المحيطة بالجزيرة العربية فى كتلة واحدة متماسكة غلافها الخارجى إيمان بالله وبدعوة رسوله صلى الله عليه وسلم . لايهابون الحرب ، فمبدؤهم الشهادة إن ماتوا ولهم النصر إن عاشوا مسلمين لله .

كان اليهود ، سواء من أقاموا فى الأراضى التى فتحها الإسلام ، أو أولئك الذين عاشوا فى بـــلاد الخـــزر ، يخشـــون المســـلمين ويتجنبون مواجهتهم ، ولقد بينا فى غير هذا المكان من الكتاب ، كيف تآمر أحبار اليهود فى العراق لقتل اليهودى المدعى داود ال روى ، خوفا مـــن انتقام المسلمين . ويحكى لنا التاريخ اليهودى[1] ، كيف أن المسلمين المقيمين فى عاصمة الخزر "آتل" هدموا معبدا يهوديا أقامه اليهود وسط حيّهم المسلم ، فأمر الخاقان اليهودى بهدم مئذنة المسجد وقال : " لولا خوفى من أن كل معبد يهودى لن يترك قائما فى بلاد المسلمين بل يدمّر ، لأمرت بهدم المسجد أيضا " . كان هدم المئذنة بدعوى أنها فى نفس طول قصر الخاقان الذى لايجب أن يماثله فى الارتفاع شىء آخر .

يثبت قول الخاقان اليهودى ، أن هناك إحساسا متبادلا ، حريص على استراتيجية تحاشى الصراع وأخطار تصاعدها مع المسلمين ، وتُبرز من ناحية أخرى ، ارتباط اليهود الخزر عاطفيا بمصير اليهود فى العالم .

كـــان على اليهود أن يستخدموا سياسة مخالفة للمواجهة العلنية مع المسلمين ، فاختاروا وســـيلة ضرب الإسلام عن طريق اختلاق الفتن المذهبية بينهم ومحاولة شق الدعوة الإسلامية الواحدة .

★ ★ ★

شـــهدت تلك الحقبة من الزمان – فى عهد الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم – الزحف الإســـلامى الهادر ، إلى شعوب وأراضى دخلت فى الإسلام أفواجا . إما سلما ، إيمانا بفضائل الديـــن القويم واقتناعا بالخلق الإسلامى الذى سار عليه الفاتحون فى تلك الحقبة ، الذين كانوا المثال فى الصبر والشجاعة والتسامح والأمر بالمعروف وعدم إكراه الناس على دخول الإسلام، وإمـــا حربا ضروسا شهدت ملاحم بطولية ضد الوثنيين فى بلاد فارس ، انتهت بدخول أهل تلك النواحى فى الإسلام طواعية ، فلا إكراه فى الإسلام .

كانت وجهة النظر اليهودية ، أن بث الفرقة بين المسلمين هو الحل الأمثل لتفتيت الكتلة الإســـلامية الشديدة الصلابة . وكان عصر الخليفة عثمان بن عفان – رضى الله عنه – عصرا زاهرا فى الفتوحات الإسلامية ، فاستكمل فتح إقليم "الرى" الفارسى ، ثم قبرص فى أول حملة بحـــرية إســـلامية ، وبدأ غزو أفريقيا شمالا وجنوبا ، وفتحت بلاد الأندلس فى عهده ، ثم فتح المسلمون خراسان ونياسابور[٢] .

جعل المدّ الإسلامى الجارف فى عهد عثمان رضى الله عنه ، قلوب اليهود هواء ، يأكلهم الحقـــد عـــلى أولـــئك المسلمين الذين يفتحون بلاد الدنيا حولهم بسرعة وبسهولة ، يضمون الأراضـــى والـــثروات إلى ملكهم ، فتحرك الحقد سريعا بين اليهود واستخدموا المكر المعهود فيهـــم[٣] لمحاولـــة نزع غلاف الوحدة الإسلامية الذى يحتوى إيمان المسلمين بدينهم ، فيسهل تفـــتيت مـــا بداخلها . استخدموا نفس السياسة التىاتبعتها انجلترا فيما بعد . "فرّق تسد " ، كيف لا وقد كان رؤساء وزرائها فى أزهى عصور الإمبراطورية البريطانية من اليهود ؟ بل إن كـــثيرا من الكتاب يقرون أن الإنجليز هم سلالة اليهود من القبائل المختفية[٤] وتضع الماسونية العالمية الأسرة المالكة الإنجليزية فى طبقة العقد الملوكى لأنهم يهود ألمانيا من سبط لاوى[٥] .

خـــرج من البصرة ، يهودى من أصل يمنى يُظهر الإسلام ، يدعى عبد الله بن سبأ . بدأ يـــتحدث عن أعمال عثمان بن عفان – رضى الله عنه – وجوره على المسلمين بتعيين أقاربة كولاة للأقاليم التى يفتحها المسلمون ، فأخرجه الناس من البصرة ، فذهب إلى الكوفة ، يردد

نفـــس الإثارة ، فطرد منها ، فسافر إلى أرض مصر وأقام بها عام ٦٥٢م ، وغيّر من أسلوب إثارته ، بالدعوة إلى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أوصى إلى عليّ بن أبي طالب فمحمد خاتم الأنبياء ، وعلى خاتم الأوصياء وأن على بن أبي طالب ، أولى من عثمان بن عفان – رضى الله عنهما – وأحق منه فى الخلافة[٦] .

افـــتان بـــاليهودى ابـــن سبأ ، بشرٌ من أرض مصر ، فكتبوا إلى جماعة من أهل الكوفة والبصـــرة ، فقويـــت الدعوة ضد خلافة عثمان رضى الله عنه . خرج ابن سبأ من مصر عام ٦٥٣م مـــع ستمائة من المشايعين له فى دعوته إلى المدينة المنورة ، ومعهم اليهوديان المتظاهران بالإســـلام : سودان بن رومان المرادى ، الذى عرف فى مصر بإسم : أسود بن حمران ، ومعه حـــرقوص بن زهير ، فكان ما كان من حصار عثمان بن عفان – رضى الله عنه – فى داره ، ثم قتله اليهوديان غدرا وغيلة[٧] .

كان مقتل عثمان رضى الله عنه ، هو بداية الفتنة الإسلامية . لم يقنع اليهود بما وقع ، بل تطـــور الأمـــر ، فقـــاد اليهوديان اللذان اغتالا خليفة المسلمين جيش مكة فى موقعة الجمل ، يرفضـــون الســـلام بين القوى الإسلامية ويحضون على الحرب بين المسلمين ، إلى أن أصبح "حرقوص بن زهير " ، زعيما للخوارج ضد على بن أبي طالب رضى الله عنه[٨] .

شهدت الأمة الإسلامية خلال الخلافة الأموية ثم العباسية ، الكثير من تلك الفتن التى قام بها الخوارج فى كل أنحاء الأمة الإسلامية ، ينادون بمبادئ هدّامة فى محاولات مستمرة لزعزعة إيمـــان المسلمين بدينهم وتفريق صفوفهم ، لكن المسلمين سرعان ما يكتشفون زيف دعاواهم فيطردونهم أو يقتلونهم .

أما أشد النكبات التى جاءت من الخوارج ، فكانت على يد " أبو طاهر سليمان بن أبي ســـعيد الجـــنابى " ، زعيم القرامطة ، الذى قتل من المسلمين مئات الآلاف . كان يتربّص هو ورجاله لقوافل الحج ، فيقتل من فيها فأدخل الرعب فى قلوب الحجّاج إلى المدى الذى أدّى إلى امتناع المسلمين من اهل العراق عن أداء فريضة الحج خوفا من بطش القرامطة ، الذين دخلوا الكعبة فى يوم التروية ، فقتلوا كل من كان بها من حجيج وانتزعوا الحجر الأسود من مكانه ، وأخذوه إلى ديارهم فى البحرين حيث كانت إقامتهم . أعيد الحجر الأسود إلى مكانه بعد اثنتين وعشـــرين ســـنة مـــن تاريخ انتزاعه . أسس تلك الحركة رجل من أذربيجان يدعى "حمدان القرمطى " وكان من الطائفة الإسماعيلية[٩] .

★ ★ ★

عاش فى بلدة "سلمية" القريبة من حماة فى سوريا، صبّاغٌ يهودى يدعى "ميمون القدّاح" ، فأظهـــر إسلامه ، لكنه تحدث علنا بآراء كانت هى الأساس فى المذاهب التى عرفت بالباطنية ، فأخــــرج من بلدته وذهب إلى العراق يردد أقواله فسجن فى بغداد وادّعى فى السجن أنه محمد بن إسماعيل ابن جعفر الصادق ، فكانت الدعوة للطريقة الإسماعيلية(١٠) .

هرب "ميمون القدّاح " من سجن بغداد إلى مصر ثم ارتحل إلى المغرب ونزل وسط قبائل البربر هناك ، فادعى أنه شريف من نسل السيدة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولقـــب نفســـه بـــالمهدى . صدّقه الكثيرون من البربر وغيرهم من المغاربة ، واتخذ من مدينة "سجلماســـه" عاصمة له ، ثم بنى مدينة المهدّية ، نسبة إلى اسمه المزيّف ، مع اتساع دعوته التى أطلق عليها اسم الفاطمية .

تلك كانت هى بداية الدولة الفاطمية . ويذكر المؤرخون العرب أن ذلك المهدى ، كتب إلى أبى طاهـــر الجنابى – زعيم القرامطة – يلومه على ما فعله فى مكة وأخذ الحجر الأسود ، حيـــث ســـلط الـــناس على الكلام فيهم وانكشفت أسرارهم التى كانوا يبطنونها بما ظهر من صـــنيعهم القبيح ، وأمـــره برد ما أخذه من الكعبة ، فكتب له الجنابى زعيم القرامطة بالسمع والطاعـــة . وكان خبر مذبحة الكعبة التى قام بها القرامطة وسرقة الحجر الأسود ، قد أهاجت مشاعر المسلمين فى كل بقاع الأرض(١١) .

كان المؤرخون العرب أشد الناس حرصا على ذكر ما يصلهم من معلومات . لايدونون إلا ما يثقون فى سماعه . وكونهم لم يشيروا إلى يهودية الجنابى ، لا يمنع المتتبع للسرد من استنتاج أن ذلك الفاسق القرامطى كان يهوديا يدين بالسمع والطاعة لكبير الفاطميين ، وبينهما الآف الأميال من البعد . لايمكن لمسلم مهما بلغ به التدنى فى العقيدة أن يذبح حجيج بيت الله الحرام وهـــم يتعلقون بأستار الكعبة ، ولا أن تمتد يد إلى أحد أشرف المقدسات الإسلامية ، فتنتزع الحجر الأسود من مكانه . وقف الجنابى يصرخ فى الكعبة بأعلى صوته ويقول :

– أين الطير الأبابيل ؟ أين الحجارة من سجّيل ؟

ولايتصـــوّر المرء بتاتا أن مسلما يخاطب الله سبحانه وتعالى بهذا الأسلوب . وإنما المتصوّر أن مخـــلوقا حاقدا على الكعبة بيت الله ، وبمالها من مكانة عند المسلم ، يدفعه غله وحقده لأن يفعـــل ما فعل . والمتصور أيضًا أن زعماء عصابة الجنابى من القرامطة كانوا من شيعته ، يهودا بلا شك أو من الإسماعيليين(١٢) .

لابـــد من العودة إلى التاريخ فى هذه المرحلة ، للربط بين جماعات الباطنية الإسلامية التى خـــرجت أساسا من أذربيجان الملاصقة لبلاد الخزر اليهودية . بدأت الطائفة التى أطلقت على نفسها "الإسماعلية " ، نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق ، بالدعوة إلى أن الروح التى كانت فى عيسى ابن مريم عليه السلام ، قد انتقلت من إمام إلى آخر حتى انتهت إلى إمامهم إسماعيل ، ثم بـــدأت بعد ذلك سلسلة الأئمة السبعة الأخر ، والتى تنتهى عند المهدى – مؤسس الدولة الفاطميـــة ، والـــذى كـــان يدعى ميمون القدّاح ، اليهودى المتظاهر بالإسلام ، والذى أقام فى المغرب ، ثم استولى على مصر ، فانتشر المذهب انتشارا كبيرا وهم يجدون فى الحاكم خير سند لنشر مبدئهم [١٣] .

عـــندما تـــولى المستعلى الفاطمى حكم الدولة الفاطمية ، ثارت عليه طائفة الإسماعيلية بزعامة الحسن بن الصباح ، وبايعوا الخلافة لأخيه نزار ، لكن الخليفة الفاطمى أحمد ثورهم فى الإسكندرية ، فهرب الحسن بن الصبّاح ومن معه من مشايعين إلى إيران ، وأقام فى قلعة حصينة أسماها قلعة الموت عام ١٠٩٠م، حيث أعلن حكم "النزاريين" الذين عرفوا باسم "الحشاشين" . أما من ظل من الإسماعيليين مستمرا فى تأييد الحاكم المستعلى بمصر ، فقد أطلق عليهم اسم : طائفة البهرة . ولقد ارتكبت فئة الحشاشين الفظائع والأهوال وأعمال السلب والنهب والقتل والاغتصـــاب فى المســـلمين ، لايردعهم رادع ولاخلق ولاضمير ، وانتشروا فى إيران والهند وبعض دول الخليج العربى وسواحل دول شرق أفريقيا[١٤] .

خـــرج من طائفة الإسماعيلية أيضا ، بابك الخرمى ، فى أذربيجان الذى ثار على الخليفة المـــأمون وخـــلق فتنة عظيمة فى الأمة الإســـلامية حتى قتل ، وتفرعت عنه عدة فصائل من الباطـــنية[١٥] ثم خرج القرامطة الذين اتبعوا طائفة الإسماعيلية ، وفعلوا بالإسلام ما فعلوه حتى تم القضاء عليهم عام ١٠٢٧ ميلادية .

★ ★ ★

اســـتقرّ رأى الدولـــة الفاطمية على اتخاذ مصر مقرا لها ، فدخلت جيوش المعزّ لدين الله الفـــاطمى مصر عام ٩٦٩م بقيادة جوهر ، الكاتب الصقلى للحاكم الفاطمى ، احتل مدينة الفسطاط عاصمة مصر آنذاك وأنهوا حكم الدولة الإخشيدية . قام جوهر الصقلى خلال أيام قليلة بعد دخـــوله الفسطاط ، بوضع أســـاس القصرين الفاطميين كمقر لحكم وسكن الخليفة – وهـــى المـــنطقة الـــتى تعـــرف بمـــنطقة بين القصرين – ثم شرع بعد ذلك مباشرة فى بناء

الجامع الأزهر ، وجعل المنطقة التى اختارها شمال شرق الفسطاط ، هى العاصمة الجديدة لمصر وأطلق عليها اسم القاهرة ، عاصمة للدولة الفاطمية(١٦) . كان بناء القاهرة كعاصمة لمصر والأزهر كمركز دينى ، بهدف أساسى هو نشر الدعوة الإسماعيلية فى مصر ، استعداد لنشرها على نطاق واسع فى الأمة الإسلامية كلها(١٧) واستطاع الفاطميون فى فترة وجيزة مد نفوذهم إلى الشام وإلى سواحل البحر الأحمر فى الجزيرة العربية أيضا .

ومن استقراء التاريخ الفاطمى ، يبدو أن عددا كبيرا من اليهود المقيمين فى الجزائر وتونس – اللتان كانتا يطلق عليهما اسم أفريقية – قد نزح مع الجيش الفاطمى واستقروا فى مصر . كان "ابن سعيد التسترى " يتولى النظارة الخاصة بأم الخليفة المنتصر . كان اليهود يتولون ذلك المنصب دائما ، فمكانة أم الخليفة فى نظام الحكم الفاطمى مصونة وقادرة على اتخاذ كل القرارات . كان نظار ديوان أم الخليفة كلهم من اليهود ، وهو ما يؤكد على مكانة الأم فى الديانة اليهودية وتسلطها على الحكم .

وبلغ النفوذ اليهودى فى مصر مداه خلال الحكم الفاطمى ، إلى الحد الذى كانت الدواوين تغلق أبوابها فى أعياد اليهود الدينية ، والقيام بتوزيع الهدايا والحلوى على الناس فى الطرقات . وأصبحت الشعائر اليهودية تمارس على أوسع نطاق فى مصر إبان العصر الفاطمى .

قال فيهم الشاعر أبو الحسن بن خاقان :

يهود هذا الزمان قد بلغوا   غاية آمالهم وقد ملكوا

العزّفيهم والمال عندهم   ومنهم المستشار والملك

يا أهل مصر إنى نصحت   لكم تهوّدوا قد تهود الفلك

وقد يكون الشاعر "ابن خاقان " من اليهود أيضا ، وأن شعره ليس تهكما على اليهود بقدر ما هو دعوة للتهوّد . لقد بلغ النفوذ اليهودى فى مصر فى تلك الحقبة أوسع مدى يمكن أن يصل إليه النفوذ (١٩) .

دخل اليهود مصر مع الحكم الفاطمى دخولا مكثفا ، بل يمكن إرجاع الغزو الفاطمى لمصر إلى نشاط يهودى يدعى (يعقوب بن كلس) الذى عمل فى بلاط كافور الإخشيدى كخبير اقتصادى له ، فسيطر على أمور الدولة المالية . وعندما مات كافور ، قبض وزيره جعفر بن الفرات على اليهودى حنقا على ما بلغه من قوة فى البلاد ، واستطاع يعقوب أن يشترى

حريته بالمال والهرب إلى شمال أفريقيا حيث التحق ببلاط المعز لدين الله الفاطمى هناك ، وكان من أكبر أسباب حركة المعز وإرسال القائد جوهر إلى الديار المصرية عام ٩٦٩ميلادية [٢٠] .

لم يكـــن معـــنى ذلـــك أن مصر كانت خالية من اليهود ، لكنهم كانوا فى حالة هدوء واستكانه منشغلين بالوظائف والمهن التى تجنى الأرباح . كان أشهر اليهود فى مصر هو يعقوب بن كلس خلال الدولة الإخشيدية والذى بلغ نفوذه لدى الخليفة شأنا كبيرا .

ويكاد تاريخ اليهود فى مصر قبل دخول جوهر الصقلى عام ٣٥٨ هجرية الموافقة لعام ٩٦٩ ميلادية ، أن يكون مختفيا تحت ضباب الغموض ، حتى ظهرت وثائق الجنيزا اليهودية مع الفتح الفاطمى . تلك الوثائق التى اكتشفت فى معبد "المصاصة " فى الفسطاط ، والتى كشفت أوراقها أن غالبية اليهود الذين هاجروا إلى مصر خلال الدولة الفاطمية كانوا من يهود العراق وإيران . ويرجع تاريخ أقدم تلك الوثائق إلى عام ٧٥٠ ميلادية وتشير إلى يهود الفسطاط .

كـــان اليهود فى مصر يتبعون رئيس اليهود فى بغداد – عاصمة الخلافة العباسية – لكن الحكم الفاطمى رفض تلك التبعية وأنشأ منصب " الناجد" ، الذى يعنى رئيس اليهود فى مصر، فأصـــبحت مصر عنصر جذب للمهاجرين اليهود من جهة ، وازداد اعتماد المدارس اليهودية التلمودية فى العراق وفلسطين على الدعم المالى من يهود مصر من جهة أخرى[٢١] .

قبل الاسترسال فى تبيان التواجد اليهودى فى مصر خلال العصر الفاطمى الذى نزح إلى مصر وبنى الأزهر ليكون منارة للدعوة الإسماعيلية فى العالم الإسلامى – تحت اسم الإسلام – نذكر أن أوراق الجنيزا التى يعتزّ بها اليهود ، والتى نشرت فى لندن بعد أن سرقت ونقلت إليها سرّا أثناء الاحتلال الإنجليزى لمصر ، أوضحت بجلاء مدى التغلغل اليهودى فى الحكم الفاطمى والسيطرة على مقدرات مصر .

فقـــد شهد ذلك العصر المعتم من تاريخ مصر تولى ثلاثة يهود ، منصب الوزراء فيها : يعقوب بن كلس ، وكان يتولى كل ما يتعلق بالمال والتجارة والاقتصاد فكان يشرف على جمع الضرائب : الحسبه – السواحل – الأعشار – الجوالى (الجزية) – الأحباس (الأوقاف) وجميع ما يضاف إلى ذلك وما يطوى فى مصر وسائر الأعمال . وظل يعقوب بن كلس وزيرا للخليفة الفاطمى الثانى العزيز بالله ، وظل ساعده الأيمن حتى مات عام ٩٩١ فتولى بعده اليهودى منشا بن إبراهيم القزاز[٢٢] .

وتـــولى اليهـــودى " أبـــو منصور صدقة بن يوسف الفلاحى " الوزارة فى عهد الخليفة المستنصـــر عام ١٠٤٤ ميلادية ، وكان قبل ذلك يشغل منصب مستشار أم الخليفة التى قامت بـــتدبير أمور مصر منذ أن كان ابنها المستنصر خليفة مصر وعمره سبع سنوات حتى بلغ سن الرشـــد . كانت أم الخليفة أمة سوداء اشتراها الخليفة الظاهر من التاجر اليهودى " أبو سعد إبراهـــيم التســـترى "[٢٣]. فى تلك الفترة كان بدر الجمالى هو القائم على شئون إدارة البلاد كقائد للجيش الفاطمى .

وجـــاء (أبو نصر بن هارون سهل التسترى) اليهودى بعدهما ليتولى الوزارة فى مصر، وإلى جانب الوزراء ، فقد كان اليهودى (أبو النجا بن شعيا) كبيرا لمهندسى الفاطميين وترأس ديوان التحقيق (ابن كوجك) وهو المكلف بمراجعة كل أعمال دواوين الحكومة . وكان الطب فى مصـــر يكاد يكون محصورا فى دائرة اليهود وأشهرهم موسى بن العازار – وأبو البيان بن المـــدور – وأبو الفضائل بن الناقد – وأسعد الدين يعقوب بن إسحق – وأبو الفضل داود بن سليمان بن مبارك .

وإلى جانب هذه المهن المسيطرة ، فإن اليهود خلال الحكم الفاطمى لمصر عملوا فى كل الصـــناعات والحرف ، وتخصصوا ـــ إلى جانب الصرافه وأعمال المال ـــ فى الغزل والنسيج ، وكان معقلهم فى مدن المحلة الكبرى وقليوب وبنها وشطانوف . وأوضحت وثائق الجنيزا أيضا، أن اليهود عملوا بالتنجيم ، وكان أشهرهم قاطبة من يدعى "خلف اليهودى "[٢٤] . كل تلك الأسماء اليهودية هى عينة مما ذكرتها وثائق الجنيزا اليهودية المسروقة من مصر .

وكتب اشتور مؤلف كتاب (اليهود واقتصاد البحر المتوسط) يقول إن التجار اليهود فى الإســـكندرية كانوا بالغى الثراء يمتلكون البيوت والعبيد وينتقلون ما بين بلاد الشام والمغرب ويتاجرون فى الكتان والقطن والفلفل ، وشارك بعضهم فى التجارة مع الهند التى كانوا يبيعونها للتجار الأوربيين[٢٥] .

★ ★ ★

لم تســـتطع المصادر المختلفة ، تحديد أعداد اليهود فى مصر إبان الحكم الفاطمى ، لكن انتشارهم فى كل مدن مصر – إلى جانب العاصمة والإسكندرية – يدل على أعدادهم الكبيرة مقارنة بعدد المعابد اليهودية التى انتشرت فى مصر والتى عدّدتها وثائق الجنيزا . وقد أوضحت تلك الوثائق انقسام اليهود فى مصر إلى ثلاث طوائف :

الـــربانيون : وهـــم الذيـــن يؤمـــنون بالتوراة كلها وبالتلمود كله . ويؤمنون بالبعث وأن الصالحين من الأموات ســـوف ينشـــرون فى الأرض لكى يشتركوا فى مملكة " الماشيح " – المخلص – الذى يأتى آخر الزمان لكى ينقذ الناس ويدخلهم فى ديانة موسى عليه السلام . وكانوا الأغلبية فى مصر .

القرّاؤون : وهم لايعترفون بالتلمود – تعاليم الأحبار – وصاحب هذا المبدأ هو عنان بن داود الـــذى نـــادى بدعوتـــه لرفض تعاليم التلمود فى الفترة من ٧٩٠ –٨٠٠ ميلادية بعد اخـــتلافه مع أخيه "حنانيا " على رئاسة اليهود فى العراق . وصلت دعوته إلى مصر وانتشرت فيها وامتدت حتى وصلت إلى أسبانيا ، وهم لايعترفون إلا بالتقويم القمرى كالمسلمين .

الســـامره : ويتهمون بالخيانة والتعاون مع أعداء اليهود . لايؤمنون إلا بالأسفارالخمسة مـــن الـــتوراة وسفر القضاه وسفر يوشع ، وينكرون باقى التوراة والتلمود . ويخالفون باقى اليهود فى الشعائروأهمها أنهم يصلون وقبلتهم جبل عزون فى نابلس الذى يعتقدون أن الله كلم موسى عليه . ولهم لهجة عبرية خاصة [٢٦] .

وعلى الرغم من اختلاف المذاهب العقائدية اليهودية بين الموجودين فى مصر منهم خلال الحكم الفاطمى ، إلا أن رئيسهم موسى بن ميمون ، الذى أظهر إسلامه خلال الفترة الأخيرة من الحكم الفاطمى ، كان هو رئيس الطائفة اليهودية ، وتصفه الوثائق اليهودية "الجنيزا " بأنه (الربّى العظيم فى إسرائيل) .وقد ارتد موسى بن ميمون إلى اليهودية مرّة أخرى فى عهد صلاح الديـــن الأيـــوبى . كمـــا تكشف وثائق الجنيزا اليهودية عن حدث خطير – من وجهة نظرنا ألا وهو نص خطاب من أحد يهود الإسكندرية يطلب كاتبه ممن يراسله أن يرعى أحد اللاجئين اليهـــود سليل أسرة ثرية من صقلية ، لأن الجماعة السكندرية مشغولة تماما باليهود القادمين مـــن فرنسا[٢٧] . وكانت الإسكندرية مفتوحة لليهود القادمين من فرنسا ، التى كان حكامها ينوون غزو مصر كما أثبتت الحملة الصليبية السابعة سنة ١٢٤٩م .

★ ★ ★

كل من يطلع على تاريخ الفاطميين فى مصر ، يدرك تماما كيف استطاع اليهود السيطرة عـــلى مقـــدرات شـــعبها اقتصاديا وسياسيا ، كنتيجة حتمية لتوجّه منشىء الحركة الفاطمية اليهودى ميمون القداح . وجدير بالذكر أن الفقهاء والقضاة والأشراف فى الأمة الإسلامية ، كتـــبوا وثيقـــة عام ٤٤٤ هجرية (١٠٥٢م) بأن " الخلفاء المصريين أدعياء كذبة لانسب لهم

صحيح إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم " .وكان من نتيجة ذلك أن المعزّ الفاطمى عزم على قصـد العـراق وغزوها عام ٤٤٥هجرية[٢٨] . كما يحدثنا التاريخ أن الدولة الفاطمية وقد اسـتطاعت أن تمد نفوذها إلى حلب وبلاد الشام ثم استعانت بأرسلان التركى المعروف باسم "البساسـيرى "[٢٩] – الذى أصبح العرب والعجم يخافونه – لغزو العراق والدعاء للسلطان الفـاطمى فى مصـر وذلك عام ٤٤٧هجرية ، ثم استولى البساسيرى على الموصل عام ٤٤٨ هجرية ودعا للخليفة فى مصر وأخرج كاتبه اليهودى من السجن . وقد قام الرافضة فى العراق بمعاونة البساسيرى على دخول بغداد ، الذين قادوا جيشه من خلال " الكرخ " ، فأعيد الأذان " حى على خير العمل " فى مساجد بغداد علامة على تولى الروافض شئون عاصمة الخلافة ، وخطـب فى المساجد للخليفة الفاطمى المستنصر[٣٠] . ولاعجب أن يكون الفاطميون وفئات الرافضة – الملقبين بالإسلاميين – فى تعاون مستمر ، فالهدف واحد ، هو التسلل إلى الإسلام بكل الطرق والعمل على بث الفتنه بين صفوفه .

ويطلق بعض المؤرخين العرب على الفاطميين اسم ملوك العبيديين نسبة إلى اليهودى عبيد الله مـيمون القـداح أو عبيد الله المهدى بعد ادعائه النسب للسيدة فاطمه رضى الله عنها . يقول ابن غلبون[٣١] : فى مدحهم لعنهم الله ضيعوا أئمة السنة قتلا ونفيا وتشريدا ، وألف فيهم العـلماء . فمنهم الإمام الحافظ أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل الدمشقى وكنيته أبو شامه الـذى كتب فيهم "كشف ما كان عليه بنو عبيد من الكفر والكذب والكيد " وكتب بعض أجلة بغداد من العلماء فيهم أيام الحاكم كتابا بين أنهم "ليسوا من ولد على بن أبى طالب رضى الله عنه وإنماهم كفار فساق وملحدون وزنادقة ومبطلون وللإسلام جاحدون . عطلوا الحدود وأبـاحوا الفـروج وسـفكوا الدماء وسبّوا الأنبياء " . وقال أبو الحسن القابسى من علماء القيروان : "إن الذين قتلهم عبيد الله وبنوه من العلماء والعباد ، أربعة آلاف رجل ، ليردوهم عـن الترضى عن الصحابة فاختاروا الموت " . وقال تقى الدين بن تيمية : "بقى ولاة القاهرة نحو مائتى سنة على غير شريعة الإسلام وكانوا يظهرون أنهم رافضه ، وهم فى الباطن إسماعيلية وقرامطة وباطنية ". وكذا قال الغزالى فى كتابه فى الرد عليهم : " ظاهر مذهبهم الرفض وباطنه الكفر المحض " .

★ ★ ★

استطاع صلاح الدين الأيوبى ، بعد توليه حكم مصر والشام وهزيمة الصليبيين ، تأسيس الدولـة الأيوبيـة ، حيث أعاد إلى مصر نظامها الإسلامى القائم على كتاب الله وسنة رسوله صـلى الله عـليه وسلم ، وإنهاء الخزعبلات الدينية البعيدة عن جوهر الإسلام ، التى حاول الإسماعيـليون الفاطميون إرساء قواعدها فى مصر ، فقام بنفى أمراء الدولة الفاطمية وأتباعهم وتشتيتهم فى الصعيد ، وقام صلاح الدين بإخراج قبور الخلفاء الفاطميين من الجبّانة التى كانت تحـتل مكان (خان الخليلى) الحالى بجوار الأزهر الشريف ، وحمل عظامهم على الحمير لترمى فى المزابل[٣٢] .

لكن صلاح الدين الأيوبى ، بالروح الإسلامية التى تحلى بها والتى لاتعرف التعصب ، كان لـه طـبيب خاص هو " موسى بن ميمون " اليهودى ، الذى استطاع أن يقنع صلاح الدين بالسـماح لـليهود الذين يتعرضون للقتل والتعذيب فى البلدان الأوروبية ، بالهجرة إلى مصر والإقامة فيها فى ظل حماية الإسلام وسلطان مصر صلاح الدين . فتدفقت الهجرة اليهودية من بلدان أوروبا إلى مصر هربا من الاضطهاد المسيحى الذى تعرض له اليهود فى تلك الدول .

سبق ان أوضحنا أن " موسى بن ميمون " كان قد أظهرإسلامه خلال الحكم الفاطمى ، لكـنه ارتـد فى عهد صلاح الدين وأعلن تمسكه بيهوديته ، وهو يرى فى صلاح الدين المثال فى الخلق الإسلامى الحق ، الذى يضمن لأهل الكتاب من الذميين حقوقهم . فتولى ابن ميمون رئاسـة طوائـف اليهـود فى مصر لتوجيه مسار الحركة اليهودية بعد خوفها من تغير الحكم الفاطمى المستتر تحت عباءة الإسلام .

استطاع تأثير النفوذ اليهودى فى مصر أن يمتد خلال الدولة الأيوبية إلى نفس المدى الذى بلغه فى عهد الفاطميين ، وكان لوجود موسى بن ميمون على رأس تلك الطائفة نفوذ كبير فى مصـر إلى حد السيطرة على الوظائف الحكومية – الديوانية – بمختلف أفرعها . لكن اليهود وهم يرون صلاح الدين الأيوبى وقد رفع راية الإسلام الحنيف من جديد ، لم يستطيعوا كتمان حقدهم الدفين على ذلك الدين القيّم . فقد ألقى جنود صلاح الدين القبض على رجل يحمل فى نعليه رسالة إلى الفرنج ، يدعوهم إلى القاهرة . فإذا خرج صلاح الدين لقتالهم ، ثار الأمراء المصـريون – الفـاطميون – والجند وهم فى القاهرة واجتمعوا مع الفرنج على هزيمة صلاح الدين . وقد تبين أن كاتب هذه الرسالة هو احد الكتاب اليهود[٣٣] . وكان هذا الحادث سببا كافيا لصلاح الدين الأيوبى لكى يراجع نفسه، وبدأ فى إبعاد اليهود عن الوظائف الديوانية[٣٤].

لم يكن الحال فى الدولة الأيوبية ، بأقل شأنا بالنسبة للانتشار اليهودى فى مصر ، فقد تبع صلاح الدين فى سماحته مع اليهود ، أخوه السلطان العادل الذى سمح لثلاثمائة من أحبار اليهود الفارين من المذابح فى انجلترا وفرنسا بالإقامة فى مصر عام ١٢١١ ميلادية (٣٥) .

على مدى العصر العباسي ، كانت بغداد وما حولها من مدن العراق ، تعج بنحو ستمائة ألـف يهـودى ، أنشأوا فى بغداد مستعمرة كبيرة ظلت قائمة حتى سقطت فى أيدى المغول ، وكـان رئيس اليهود فى كل الدول الإسلامية من يهود العراق ، يدينون له بالطاعة ، إلى أن خـرج الفاطميون على ذلك النظام وعينوا يهوديا من مصر رئيسا على طائفة اليهود المصريين وهو ما عرف بإسم "الناجد".

قـامت الفتـنة بـين الأمـين والمـأمون ، وحاول اليهود ركوب ظهرها وتأجيج النار بين المسلمين ، فنالهم أذى كبير ، لكن يهود العراق ظلوا بها ، وإن فرّ بعضهم إلى مصر وأقام فيهـا . وأقـام فى بغـداد وحدهـا أربعمائة ألف يهودى يتعبدون فى ٢٨ معبدا ولهم عشرة مدارس للتعليم والدراسة ، سيطروا على صناعة السجاد الإيرانية واستخراج وتجارة اللؤلؤ فى الخليج(٣٦) .

ولايعنى ذلك أن العصر الأموى لم يحفل بوجود اليهود فى هذه الأرض ، بل كانت العراق وفارس والشام تعجّ بهم ، تجارة وجمعا للأموال وتدبيرا للفتن بين المسلمين .

كما أن ذلك لاينفى أيضا أن هناك بعض اليهود الذين أسلموا عن عقيدة واقتناع، سواء فى مصـر أو بلاد الشام والعراق ، حسن إسلامهم وخرجت من سلالاتهم أسر مسلمة ، لكن هـذه العيـنة من اليهود العرب لاتحتسب أبدا كعامل مؤثر لأنها نسبة لاتذكر إلى جانب من أظهـروا إسـلامهم على مدى العصور " لغرض فى نفس يعقوب " ، ظهرت آثاره على مدى القـرون مـنذ خروج اليهود من الجزيرة العربية على يد أتباع محمد صلى الله عليه وسلم ، ولازالت آثارها باقية حتى اليوم وإلى يوم الدين إن شاء الله .

يوضـح ماسبق ، كيف تحولت مصر فى تلك الحقبة من التاريخ إلى ملجأ آمن لليهود ، يسـتطيعون التسـلل منه إلى أى مكان ، وكيف استمر وجودهم خلال عصر المماليك الذين حكمـوا مصـر ، وكـان لكل مملوك معاونوه من اليهود الأخصائيين فى جمع الأموال وجباية الضـرائب مـن الشعب المصرى على مدى تلك السنوات التى رزح فيها أبناء مصر تحت نير العسـكر المملوكى ذوى الأصول التركية – على مختلف فروعها ومنها الخزريون – . استمر

وجود اليهود فى مصر حتى جاء الإنجليز عام ١٨٨٢ فاحتلوا مصر بتخطيط مسبق من رئيس وزراء انجلترا اليهودى دزرائيلى مؤلف رواية (آل روى الرائعة) رمز الحلم اليهودى .

★ ★ ★

ونـــتقل فى لمحة سريعة إلى اليهود فى المغرب العربى . فقد دخل الإسلام مع العرب تحت قيـــادة عقــبة بن نافع عام ٥١هجرية ، فبدأ سكان البلاد من البربر يتحولون إلى الإسلام . ووصـــول الإســـلام إلى المغرب ، سبقه بالقطع المرور بليبيا وتونس والجزائر ، لكن كل تلك المـــناطق أطـــلق عليها " أفريقية " . وقد اختلفت المصادر فى تحديد أصل البربر الذين سكنوا المغـــرب العـــربى ، لكن معظم المصادر – شرقية وغربية – أرجعت أصولهم إلى الشرق سواء أكـــانوا مـــن قبائل حمير العربية أو من العمالقة أو من الشام[٣٧] . وقد كون الإسلام فى تلك الـــبلاد وحدة سياسية متماسكه أسهمت بدور فعال فى تدعيم الدين الإسلامى فى شبة جزيرة أيبيريا ، وعجلت بتدعيم الإسلام فى البربر الذين تعاملوا مع العرب جنبا إلى جنب[٣٨] . وبداية مـــن القرن الهجرى الثانى أصبح المغرب ميدانا للصراعات العرقية بين العرب والبربر بانتشار مـــبدأ الخـــوارج ، فتكونت عدة دويلات ، كانت إحداها ، بل أخطرها " المهدية " فى مدينة سجلماســـه ، الـــتى ابتدعها ميمون القداح والتى التف حولها عدد كبير من اليهود والبربر فى المغـــرب . ونجح " الأدارسة " فى الاعتماد على البربر فى إقامة إمارة مستقلة توحّد المغرب الكبير كله تحت لوائها متخذة مدينة " فاس " عاصمة لها[٣٩] .

احتل اليهود المغاربة مكانا ممتازا فى جسم الدولة المغربية حيث بلغ عددهم قبل قيام دولة إســـرائيل نحو مائتين وأربعة آلاف نسمة موزعين على المدن الرئيسية بالمغرب . ولهم أحياؤهم الخاصـــة فى كل مدينة[٤٠] ولهم طقوسهم التى يؤدونها فى حرية تامة . وقد انخفض عددهم بعد عـــام ١٩٤٨ ليصبح نحو ثمانين ألف نسمة . وكانت النسبة الغالبة من يهود المغرب المهاجرين مـــن الإشكناز ، بينما بقى فى المغرب "السفرديم "[٤١] وقد حدث نوع من الهجرة الإسرائيلية المضـــادة والعـــائدة إلى المغرب على مدى السنوات التى تلت عام ١٩٧٣ ، ليصبح اليهود المقـــيمين فى المغرب حاليا نحو نصف مليون يهودى[٤٢] . لليهود المغاربة رئيس أو شيخ يدعى (النكيد) وهو همزة الوصل بين اليهود المغاربة والسلطات الرسمية للدولة ، ومسئول عن تنفيذ قـــرارات مجلس الطائفة اليهودية . ومن القصص المتناقلة عن كبار السن من يهود المغرب أنه كان فى خدمة شيخهم "صموئيل الباز " فى الدار البيضاء فى بداية القرن العشرين مجموعة من

"المخازنيـــة " يســـاعدونه فى منع إسلام اليهود أو ردة من أسلم منهم ، وكان هؤلاء يعاملون بدون شفقة أو رحمة[٤٣] . وحتى وقتنا الحالى ، فإن اليهود المغاربة ، لايزالون يقيمون فى المغرب بأعداد كبيرة ويتمتعون بحريتهم فى العبادة والعمل فى محاولة لإثبات أنهم يشكلون لبنة فى البناء الداخـــلى للمجتمع المغربى ، وإن كان لليهود المغاربة تنظيم خاص بهم"المؤتمر اليهودى المغربى" يعقد فى سرية وقراراته لاتعرف ولاتعلن .

أما باقى دول المغرب العربى ، فإن اليهود فيها تناقص عددهم كثيرا بعد نيل تلك الدول حريـــتها مـــن الـــدول الاستعمارية - فرنسا وإيطاليا - حيث خرج اليهود من تلك الدول واشـــتدت هجرتهم الباقية بعد حرب ١٩٦٧ بحيث إنهم لم يعودوا يشكلون أى جالية يهودية تذكر فيها .

ومـــن الجديـــر بالذكر أن إدريس الثانى الذى أنشأ مدينة فاس عاصمة لدولة الأدارسة فى المغرب عام ٨٠٦م ، لم يقصر وجود سكانها على المسلمين ، بل إن اليهود سرعان ما زحفوا إليهـــا وأنشـــأوا لهم حيّا خاصا فيها . وكان وجود اليهود مؤكدا فى كل شمال أفريقيا فضلا عن باقى بلاد البربر فى وقت ظهور الإسلام[٤٤] . ويقول ليفى بروفنسال فى كتابه (الإسلام فى المغرب والأندلس) : " لامانع من الاستنتاج دون خشية أو حرج أن جانبا من الجالية اليهودية التى احتوتها فاس دائما منذ القرون الأولى لوجودها يمكن ربط أصولها بهذه المجموعة المتهودة من الـــبربر الـــزناتيين . وقد خولهم إدريس الثانى حق بناء حى فى الجزء الشمالى من الموقع الغربى وذلـــك نظير دفع ضريبة الراس المحدّدة سنويا بمبلغ ثلاثين ألف دينار ، وتعكس ضخامة المبلغ بلا شك العدد الكبير نسبيا للمهاجرين اليهود[٤٥] .

★ ★ ★

بدأ الانشقاق الكبير ، يعرف طريقه إلى الأمة الإسلامية فى نهاية عهد الخلفاء الأمويين ، عندما بدأ العباسيون يسعون لتولى الخلافة ونقل العاصمة الإسلامية من دمشق إلى بغداد . لجح العباســـيون فى ذلك بعد حروب استمرت لسنوات ، ثم تفككت الدولة الإسلامية الموحدة إلى دويلات خلال الحكم العباسى واستقل كل حاكم بالإقليم الذى يحكمه . قامت دولة الأغالبة فى تونـــس ، والطولونيـــون فى مصر ، والأدارسة فى المغرب ، وإن كانت تلك الدول تعترف بالسيادة الروحية لخلفاء بغداد العباسيين ، إلا أنها حكمت الأقاليم حكما مستقلا . وبدأ القتال عـــلى امتلاك الجزء الشمالى الشرقى من الأمة الإسلامية الذى شمل العراق وإيران والدويلات

فى شـــرق بحر قزوين والبحر الأسود . فقامت دولة البويهيين فى العراق ، ودولة السامانيين ، وبقيـــت الجزيـــرة العربية وحلب والموصل فى يد الحمدانيين ، ثم انتقلت ملكية مصر والشام من الطولونيين إلى الإخشيديين ثم الفاطميين .

وقامت فى إيران الدولة الغزنوية ، وتمكن ملكها سبكتكين من استكمال فتح أفغانستان والهـــند ، فأصـــبحت الإمبراطورية الإسلامية فى ذلك الوقت ، أعظم الإمبراطوريات فى العالم حجما واتساعا . جاء محمود الغزنوى ، فهاجم دولة البويهيين حتى جنوب بحر قزوين ، وأزال كل ما كان خارجا عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأزال آثار الجماعات الرافضة ، كالإسماعيلية ، وقضى على القرامطة(٤٦) .

عـــاد الأمل يراود المسلمين فى كل البقاع فى عودة الروح الإسلامية الحقة ، الخالية من الأفكـــار المسمومة التى بثها الخوارج والرافضة فى ربوع الوطن الإسلامى ، والتى لعب اليهود فيها الدور الأول . لم يقف اليهود صامتين إزاء هذه الصحوة الإسلامية . مات محمود الغزنوى، فـــتولى ابـــنه مســـعود الحكم ، وفى عهده ، هجم السلاجقة الأتراك على الجيش الإسلامى الغزنوى ، فهزموه عام ١٠٤٠ ميلادية فى موقعة "دندناقان" واستولى السلاجقة على الحكم فى تـــلك البقعة الإسلامية التى شملت الهند وأفغانستان وإيران والعراق والشام ، فى الوقت الذى خضـــعت فيـــه مصر والمغرب العربى كله لحكم الدولة الفاطمية ، فتم حصر الإسلام الفعلى فى أرض الجزيـــرة العـــربية ، وكأن لسان حال اليهود يقول : أردتم الإسلام فى أرض الجزيرة وطردتم اليهود منها ، فخذوها وحسب .

جـــاء التتار تحت قيادة جنكيزخان ، فاجتاحوا الدولة العباسية وأزالو خلافتها فى بغداد وكل آثارها فى المناطق التى كانت تسيطر عليها فى الهند وإيران والعراق والشام وبدأوا زحفهم على مصر ، حتى تمكن مماليك سلاطين مصر والشام من هزيمة المغول وكسر موجة اندفاعهم ، فاســـتقرت جماعـــات كبيرة منهم فى إيران والهند . تشتتت دولة السلاجقة تحت أقدام المغول ففرّوا أمامهم واحتل التتار أقاليم من آسيا الصغرى حيث يوجد السلاجقة الروم .

★ ★ ★

استطاع اليهود الولوج إلى العقيدة الإسلامية فى الحقبة التى اتسعت فيها الأمة الإسلامية اتســـاعا هائلا ، وذلك عن طريق المذاهب الباطنية . كان همّهم الملك والاستيلاء على أموال الـــناس ، فالثراء عامل أساسى ، فى إمكانة السيطرة على كثير من العقول ، وخاصة تلك التى

تستفع منهم ، فتقتنع بما يقولونه . حرص اليهود على استقطاب الرجال من ذوى المكانة فى المجتمعات الإسلامية ، وإقناعهم بالمعتقدات الباطنية التى وجد فيها البعض ، طريقا للمروق من الدين ومن كل الالتزامات الأخلاقية التى نزل بها الإسلام لإصلاح الفرد ثم المجتمع . تستروا بالإسلام ومالوا إلى الرفض لكل التعاليم التى نزل بها الدين الحنيف(٤٧) .

ظهرت "القديانية " فى الهند على يد من يدعى "غلام أحمد" مذهبا يبشر بأنه النبى الجديد، وقام الإنجليز بحمايته ورعاية تلك الدعوة حتى انتشرت فى باكستان بعد انفصالها عن الهند، وانتهى الأمر بتجريم تلك الدعوة فى معظم الدول الإسلامية ، فهرب اتباعها إلى المستعمرات الأفريقية لإنجلترا ، يدعون إليها وغيّروا اسمها إلى " الأحمدية " ، فهى كلمة أقرب إلى الإسلام وإمكان استغلاله بطريقه خفية ، تبيح لهم شق دين الإسلام(٤٨) .

وظهرت "البهائية " فى إيران باسم "البابية " ، ثم تحولت إلى اسم البهائية حيث أطلق زعيمها "المازندارانى " على نفسه اسم بهاء الله(٤٩) . قام البهائيون بأعمال عنف فى إيران وحاولوا قتل الشاه ، فأبيح دم البهائيين فى إيران ، فقتلهم الناس وطاردوهم فى كل مكان ، وتحولت حركتهم إلى نشاط سرى . دفن البهاء عندما مات فى عكا ، التى أصبح قبره فيها مزارا لطائفة البهائيين (٥٠) .

★ ★ ★

يمكن القول إجمالا أن كل الفرق الباطنية هى فرق خارجه عن الإسلام الحنيف . وكان ضرر الباطنية على المسلمين أعظم من أى ضرر أخر بما جلبوه من فرقة وشقاق بين المسلمين وبعضهم البعض من جهة ، وما أدخلوه من آراء كفر وتشكيك فى ذلك الدين القيّم ، الذى يحفظه الله بعنايته ولو كره الكافرون .

لقد كان أول من حكى بآراء الباطنية علنا ، عبيد الله ميمون القداح اليهودى وهو فى سجن والى العراق ، فأسس ومعه آخرون دعوة الباطنية ، فنسب لنفسه أنه ابن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ، وبدأ دعوة الباطنية(٥١) . وعندما أفرج عنه ، سافر إلى المغرب ثم تونس وأعطى ذاته لقب "المهدى " فقامت الدعوة الفاطمية برئاسته . وكانت الإسماعيلية قد بدأت بدعوته ثم ارتحل هو إلى المغرب لتأسيس الدولة الفاطمية بعد ذلك . لعل هذا هو السبب الرئيسى الذى دعا زعيم القرامطه إلى السمع والطاعة لعبيد الله ميمون القدّاح اليهودى ، فهو كبير كل الفرق الباطنية التى ظهرت فى الأمة الإسلامية(٥٢) .

★ ★ ★

هوامش الفصل الخامس

(١) انظر كتاب (القبيلة الثالثة عشرة ويهود اليوم) أرثر كيستلر ص١١٦ .

(٢) انظر كتاب (تاريخ الخلفاء) للإمام جلال الدين السيوطى ص١٤٣/١٤٥ .

(٣) يقول الله عز وجل فى سورة إبراهيم :٤٦ (وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال) صدق الله العظيم .

(٤) انظر كتاب (يهود اليوم هم يأجوج ومأجوج) فهد سالم ص٣٩ نقلا عن كتاب (أزمة الفكر الصهيونى) د. محمد ربيع ص١٦ .

(٥) انظر كتاب (الماسونية العالمية) د. عابد منصور عابد ص ٦٧ /٧٩ نقلا عن كتاب (الماسونية فى العراء) د. محمد على الزغبى ص١٠٤ .

(٦) انظر كتاب (حياة عثمان) محمود شلبى ص٢٥٦

يقول الكاتب " إنه فى عام ٣٥ هجرية ، كان عبد الله بن سبأ يهوديا من أصل صنعاء فأظهر إسلامه أيام عثمان رضى الله عنه ، وتنقل فى الحجاز والبصرة والكوفة ثم بالشام ، يريد إضلال الناس فلم يقدر ، فطردوه إلى مصر . كان يقول للناس : العجب ممن يصدق أن عيسى يرجع ويكذب أن محمدا يرجع وقد قــال الله عز وجل ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ ﴾ سورة القصص ٨٥ – ويقول ابن سبأ : إن محمدا أحق بالرجوع من عيسى، فبدأ الناس يفكرون فى الأمر فوضع بذلك مبدأ الرجعة . ثم قال لهم بعد ذلك إن لكل نبى وصى . وعليّ هو وصيّ محمد صلى الله عليه وسلم ، فمن أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله ووثب على وصيه ؟ إن عثمان بن عفان أخذها بغير حق فانهضوا فى هذا الأمر وابدأوا فى الطعن عــلى أمــرائكم واظهروا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تستميلوا به الناس . وكاتب عبد الله بن سبأ المتظاهرين بالإسلام فى كل البلاد الإسلامية لنشر تلك الدعوة التى انتهت باغتيال الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه فبدأت الفتنه الإسلامية الكبرى " .

إن ما سبق فى رأينا ، هو ما يحدث تطبيقا لما جاءت به الآية السابعة من سورة آل عمران . يقول الله عــز من قائل: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الأَلْبَابِ ﴾ صدق الله العظيم .

(٧) انظر(البداية والنهاية) لابن كثير ج٧ ص١٥٨ /١٧٤ .

(٨) المصدر السابق ج٧ ص٢٦٩ وما بعدها ، ومن المفيد للقارئ أن يطلع على كتاب (المؤامرات الخفية ضد الإســلام والمسيحية) د. أحمد محمد عوف – الجزء الرابع ص١٤٧ إلى ١٧٦ حيث نجد فيه ارتباط كل

الحركات الباطنية فى الإسلام باليهود المتظاهرين بالإسلام وما أدخلوه فى ذلك الدين القيم من تقية لتفتيت العقيدة . ونجد فى استعراض تلك الصفحات أن كل تلك الفتن اليهودية كان منشؤها فى الكوفة . وفى هذا المجال فإن الطبرى ذكر فى (تاريخ الأمم والملوك) أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عندما أجلى اليهود عـــن شبة الجزيرة العربية ، أخرج يهود نجران إلى الكوفة التى استقروا فيها وانطلقوا منها بعد ذلك بالفتن ضـــد الإسلام والمسلمين . وقد بينا فى فصل سابق أن يهود الكوفة الخارجين من أرض العرب استقروا فى الكوفـــة واشتغلوا بالزراعة وجمع الأموال ، ثم التفتوا بعد ذلك لتخريب الدين الإسلامى بمساندة اليهود الخزر .

(٩) انظر كتاب (تلبيس إبليس)لابن الجوزى – ص١٠٧ /١٠٨ – وانظر أيضا (البداية والنهاية) لابن كثير ج١١ (ذكـــر سنه ٣١٧هجرية) – وانظر أيضا (أطلس تاريخ الإسلام) د.حسين مؤنس ص٢٠٧ عن علاقة الإسماعيلية بالدولة الفاطمية . ومن المفيد أيضا الرجوع إلى كتاب الطبرى (تاريخ الأمم والملوك) ج ٥ص٦٠١/٦٠٢ حـــول القرامطه وما أحدثوه فى دين الإسلام من كفر ، نذكر منه أنهم حددوا الصلاة بأربع ركعات فى اليوم . اثنتان قبل طلوع الشمس واثنتان قبل غروبها وجعلوا قبلتهم بيت المقدس والحج إليه وليس للكعبه . والأمر لايحتاج لتبيان الأثر اليهودى الواضح على تلك الحركة .

(١٠) انظر كتاب (الفرق بين الفرق) للتميمى – ص٢٨١ /٣١٢ .

(١١) انظر كتاب (البداية والنهاية) للإمام ابن كثير ج١١ص٨٦/٨٧ .

(١٢) إن ذلـــك الحـــدث يجعـــل البعض يتساءل عن حرمة بيت الله وكيف تمكن القرامطة من قتل المسلمين وانتزاع الحجر الأسود ثم فرارهم سالمين ؟ إن حماية البيت الكريم من الله عز وجل فى واقعة الفيل . كانت لسبب جوهرى هو تعظيم البيت أمام العرب فى العام الذى ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم – عام الفيل – لكن القرامطة لم يسعوا إلى هدم الكعبة ذاتها أو التعرض لها . فقد طلب القرامطى الملحد من أحد رجاله خلع ميزاب الكعبة ، فلما صعد إليه وقع إلى الأرض فانشدخت رأسه ومات ، فكف القرامطة عن القتل وانصرفوا عن الكعبة .إن لله حسابا فى الدنيا لانستطيع إدراك أبعاده . فالله عز وجل يختار للشهادة مـــن يشـــاء ويعـــذب من يشاء . كان حساب القرامطة بعد ذلك ثقيلا فى الدنيا ، وعذابا إن شاء الله فى الآخرة ، والله أعلم . راجع فى هذا الشأن (البداية والنهاية) للإمام ابن كثير ج١١ص١٧٠/١٧٣

(١٣) راجع (البداية والنهاية) لابن كثير ج١١ ص١٩٠ /١٩١ عن (المهدى صاحب أفريقية) وهو يتحدث عن وفاة المهدى وخلفه ابنه أبو القاسم الملقب بالخليفة القائم بأمر الله الذى أنجب المعز الفاطمى وهو الذى فتح مصر وأقام الدولة الفاطمية . كان ذلك المهدى يهوديا صباغا فى بلدية "سلمية " بالشام . كان يسمى مـــيمون القـــداح – والقداح بمعنى الذى يقوم بوضع الكحل فى العين . نزح إلى "سجلماسه " فى المغرب ونشـــر دعوته بأنه سليل بيت النبوة ، وسمى نفسه بالمهدى حيث انطلقت منها تلك الدعوة الخبيثة ، فبنى مدينة المهدية ، ثم استولى خلفاؤه على مصر وأقاموا فيها دولتهم الفاطمية .

(١٤) راجع فى هذا الشأن (تلبيس إبليس) لابن الجوزى ص١١١/١١٣ وكذلك (المنجد فى اللغة والأعلام) ج٢ ص٤٩ .

(١٥) انظر كتاب (تلبيس إبليس) لابن الجوزى ص١٠٦ /١٠٨ .

(١٦) انظر كتاب (مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية) محمد عبد الله عنان ص٢٤ /٣٢ .

(١٧) انظر كتاب (القوى السياسية فى كوت الأحساء) - د. يوسف جعفر سعادة ص١٥١ .

(١٨) انظر كتاب (اليهود تاريخا وعقيدة) - د. كامل سعفان ص٤١ /٤٢ .

(١٩) علمت من أحد الأصدقاء مصادفة وفى حديث عابر ، أن بعض الأغنياء من طائفة البهرة والإسماعيلية ، يقومـــون بشراء المنازل والمحال المحيطة بالأزهر الشريف وما حوله من مناطق ، بأسعار باهظه ومغرية .كل مايحاولون شراءه يقع فى تلك المنطقة الأثرية التى يعود تاريخها إلى العصر الفاطمى . لعل المسئولين فى مصر يـــتابعون الأمر لما فيه من خطر مستقبلى على الإسلام الحنيف . فمن يعلم غير الله ما يخطط له من محاولة إحياء ما اندثر من ردة إسلامية هزت مصر والأمة الإسلامية إبان العصر الفاطمى . وقد أكد ماسبق قيام ســلطان الطائفـــة الإسماعيلية (الأمير كريم أغاخان) بزيارة مصر خلال الفترة من ٣إلى ٦مايو ١٩٩٩ ونشرت جريدة الأهرام على مدى أيام الزيارة اللقاءات التى تمت مع المسئولين فى القاهرة ، وتعهد سلطان الإسماعيـــلية ببـــناء حدائـــق الأزهر الشريف وترميم الآثار الفاطمية فى القاهرة القديمة على نفقة الطائفة الإسماعيلية وكأنهم حماة الإسلام الحنيف ، اللهم قد بلغت ، اللهم فاشهد .

(٢٠) انظر كتاب (اليهود فى مصر من الفتح العربى حتى الغزو العثمانى) د.قاسم عبده قاسم ص٩٠ - وذكر مـــا أورده ابـــن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن يوسف) فى كتابه (النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة) - طبعة دار الكتب ج٤ ص١٧٥ حول تأثير يعقوب بن كلس فى الفاطميين وتشجيعهم على غزو مصر .

(٢١) المصدر السابق ص٤٠ .

(٢٢) المرجع السابق ص٩١/٩٢ ذلك ما كشفت عنه وثائق الجنيزا التى نشرها J.MANN فى كتابه :

- THE JEWS IN EGYPT AND PALESTINE UNDER THE FATIMID CALIPHS OXFORD 1920 VOL.I.PP.235 / 236

(٢٣) راجع فى هذا الشأن كتاب (اليهود فى مصر من الفتح العربى حتى الغزو العثمانى) د.قاسم عبده قاسم ص٩١ نقلا عن كتاب (حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة) للسيوطى ج٢ ص١٢٩ /١٤٦ .

(٢٤) المرجع السابق ص٩٠/٩٢ .

(٢٥) المرجع السابق ص٩٣ عن كتاب E.ASHTOR

THE JEWS MEDITERRANEAN ECONOMY LONDON 1983

(٢٦) راجـــع فى هذا الشأن : (اليهود فى مصر من الفتح العربى حتى الغزو العثمانى) د.قاسم عبده قاسم ص ٤٠/٣٣ وأيضا (التاريخ اليهودى العام) صابر طعيمة ص١١٨/١٠٠ ، وأيضا (اليهود تاريخا وعقيدة) د. كامل سعفان ص٢٦٢ /٢٧٨ .

(٢٧) (اليهـــود فى مصر من الفتح العربى حتى الغزو العثمانى) ص٢١ نقلا عن S.D GOITEIN – مجتمع البحر المتوسط – ص١٧٤/١٧٣ .

(٢٨) انظر (البداية والنهاية) لابن كثير ج١٢ ص٤٣/٤٢ .

(٢٩) هو أرسلان أبو الحارس التركى . كان مملوكا لترى يدعى "بسا " فاطلق عليه اسم "البساسيرى" – انظر (البداية والنهاية) لابن كثير ج١٢ ص٩١ .

(٣٠) انظر (البداية والنهاية) لابن كثير ج١٢ ص٨٥/٤٨ .

(٣١) انظـــر (التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخيار) لابن غلبون ص٢٤ – ٣٠ والمؤلف هو أبو عبد الله محمد بن خليل غلبون الطرابلسى – شيخ المؤرخين الليبيين .

(٣٢) انظر (القوى السياسية فى كوت الأحساء) ص١٥٢ .

(٣٣) الكتاب اليهود : أطلقت هذه التسمية على جماعة يهودية كانت مهمتها كتابة الشريعة وتسموا بالحكماء والآباء ، وهم يمثلون الزعامة الدينية منذ أيام الفرس واليونان والرومان . كانت بدايتهم أيام عزرا – عليه السلام – وكانوا أول من وضع الشريعة الشفوية للتوراة – التلمود – .

(٣٤) انظر كتاب (اليهود تاريخا وعقيدة) د. كامل سعفان ص٤١ .

(٣٥) انظر (اليهود فى مصر من الفتح العربى حتى الغزو العثمانى) ص١٠٤ نقلا عن (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) للمقريزى – كتاب اليهود – مطبعة بولاق ١٢٧٠ هجرية .

(٣٦) (اليهود تاريخا وعقيدة) د. كامل سعفان ص٤٢ ، وانظرالمرجع السابق ص١٠٣ /١٠٥ .

(٣٧) المرجع السابق ص٣٩/٣٧ – راجع أيضا كتاب (التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخيار) لابن غلبون ، الذى يُرجع أصل البربر إلى أولئك القوم الذين هزمهم طالوت ، ففروا أمام جيشه حتى مصر ثم إلى المغرب العربى – ص١٢/ ١٥ .

(٣٨) انظر كتاب (اليهود فى المغرب) ماهر سمك ص١٧ /٢٧ .

(٣٩) انظر كتاب (فتح المغرب) د. حسين مؤنس ص٢٩٢ .

(٤٠) (اليهود فى المغرب) ماهر سمك ص٢٩ /٣٠ .

(٤١) الحى اليهودى فى المغرب – الجيتو – يطلق عليه اسم "الملاح " .

(٤٢) (اليهـــود فى المغرب) ماهر سمك ص٧١/٨٠ - نقلا عن دوناط (اليهودية المغربية فى النصف الثانى من القـــرن العشرين - التحولات الديموجرافية والاجتماعية) - مطبوعات كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة محمد الخامس : الرباط ص١٧١/١٧٨ .

(٤٣) المرجع السابق ص٨٣/٨٤ .

(٤٤) انظـــر كتاب (الإسلام فى المغرب والأندلس) أ. ليفى بروفنسال - ترجمة السيد محمود عبد العزيز سالم وآخرين - ص ٨/٣٨ .

(٤٥) المرجع السابق ص٣٩/٤٠ - والملاحظ أن الكاتب اليهودى يحاول إرجاع أصول اليهود فى المغرب إلى أزمـــان ســـابقة - وقت ظهور الإسلام - وهو أمر يحتمل الإنكار لأن اليهود لا يهاجرون إلا لأرض فيها الـــتجارة والربح ، وجبال الأطلس صحراء قاحلة لم تكن التجارة مع أفريقيا معروفه إلا للقلائل . والأمر الأرجـــح من وجهة نظرنا ، أن التواجد اليهودى فى المغرب تم تكثيفه مع الدخول العربى إليها نزوحا من مصر بعد فتحها على يد عمرو بن العاص .

(٤٦) انظر كتاب (اليهود فى المغرب) ماهر سمك ص١٥٣ .

(٤٧) أجملنا ذكر التاريخ فى تلك الحقبة لما به من أحداث يطول شرحها ، وصراعات مستمرة . انظر (أطلس تاريخ الإسلام) د. حسين مؤنس ص٢٣٢/٢٣٧ .

(٤٨) انظر كتاب (تلبيس إبليس) لابن الجوزى ـــ ص١٠٥ /١٠٨ .

(٤٩) انظر كتاب (قراءة فى وثائق البهائية) د. عائشة عبد الرحمن - بنت الشاطىء - ص٣٥/١٠٣ وانظر أيضـــا كتاب (تسعة عشر ملكا) - المستشار حسين ناجى محمد محيى الدين ص٢٧ - يفصح المؤلف فى كـــتابه عـــن أسلوب البهائية فى محاولة تخريب الدين الإسلامى فيقول : " وقد يئس المستشرقون من هدم الإســـلام بالمواجهة الصريحة والمراء واللجاج فى شأنه فعمدوا ، أو سخرهم أولياؤهم من اليهود إلى هدم الإســـلام عن طريق مدح الإسلام والإشادة بإعجاز القرآن بأسلوب بهلوانى كسوه حلة علمية ليصلوا عن طريقه إلى تصديق السذج من المسلمين بكل ما يدسونه لهم من السم فى الدسم " .

(٥٠) انظـــر كتاب (بيان للناس) الأزهر الشريف ج٢ ص٢١ /٢٥ - انظر أيضا كتاب (تسعة عشر ملكا) حســـين نـــاجى محمـــد محيى الدين ص١٤٧ /١٤٨ - ويتحدث عن القاديانية فينقل عن كتاب (بعثاتنا الخارجيـــة) لـــلمؤلف مـــيرزا أحمـــد القاديانى مطبوع فى باكستان وأشار إليه المودودى فى كتابه (ماهى القاديانية) ص٦٦ يقول " يقع مكتب التبشير الأحمدى على جبل الكرمل فى حيفا بإسرائيل ولنا فيه مسجد ودار للتبشير ومكتبة عامة ومكتبة لبيع الكتب ومدرسة ويصدر مكتبنا مجلة شهرية اسمها (البشرى) التى تـــوزع فى البلدان الناطقة بلغة الضاد . وقد قام هذا المكتب بنقل الشىء الكثير من تعاليم المسيح الموعود إلى اللغة العربية " .

(٥١) انظـــر كـــتاب (بين البهائية والماسونية نسب) مجمع البحوث الإسلامية . وانظر أيضا (بيان للناس) - الأزهر الشريف ج٢ ص٢٦ /٣١ .

(٥٢) انظـــر كـــتاب (الفـــرق بين الفرق) للتميمى ص٣١٢/٢٨١ ـــ ويذكر الشهرستانى فى كتابه (الملل والـــنحل) أن رجـــلا من همدان قيل اسمه يهوذا ، حث على الزهد وكثرة الصلاة ونهى عن أكل اللحم وشرب الخمر ويزعم أن للتوراة ظاهرا وباطنا وتنزيلا وتأويلا ومال إلى القدرية . وهى نفس المبادىء التى نادى بها زعماء الباطنية فى الإسلام .

الفصل السادس

اليهود وانتشار الإسلام

لم يكـــن ديـــن الإسلام فى صراع عقائدى مع أهل الكتاب ، منذ ظهوره وحتى العصر الحديث أبدا . يطبق المسلم فى تعامله مع البشر منهاجا محددا من قبل الله ورسوله . الله واحد أحد لاشريك له . للمسلمين دينهم وللآخرين دين ، والحكم لله أولاً وأخيّرا فيما يعتقده كل دين ، وفيما يطبقه أتباعه فى حياتهم الدنيا ، فحسابنا وحسابهم عند الله فى الآخرة .

سمح هذا المنهاج الإسلامى لأصحاب الديانتين السماويتين الأخريين أن يعيشوا فى سلام داخل أى مجتمع إسلامى ، آمنين على أرواحهم وممتلكاتهم . ذلك المبدأ أيضًا ، كان هو السبيل الـــذى استغله اليهود القدماء والمحدثين فى تطوير الدين اليهودى إلى عقيدة سياسية ، بأهداف بعيدة كل البعد عن روح دين التوراة التى أنزلت على موسى عليه السلام .

كـــان من الصعب على المسلمين ، حتى الربع الأول من القرن العشرين ، إدراك مغزى الـــتخطيط العقـــائدى الصهيونى ، المستتر وّراء المسيحية ، لضربها بالمسلمين وبالعكس ، بدءا بالحروب الصليبية وحتى يومنا هذا ، وذلك لعدة أسباب :

أولها وأهمها : قصور المعلومات وتحليلها عن التحرك اليهودى فى بلاد العالم ، والتخطيط المنظم لكيفية تنفيذه وعلى مراحل، وبطرق مختلفة ومستترة ، لاتظهر الأثر اليهودى فى التنفيذ، والمكـــتفى بالـــتخطيط وحسب . لم تكن هناك مؤسسات سياسية أو إعلامية أو أمنية إسلامية قادرة على تلقى المعلومات عن النشاط اليهودى فى مختلف أرجاء المعمورة ، أو فى المناطق التى يعيشون فيها معهم . وانعدمت إلى حد كبير ، المتابعة الثقافية والسياسية بين مواطنى الولايات الإســـلامية لأى نشاط خفى ضد الإسلام ، بل الصب الأمر على تتبع المهاجمين للدين علنا ، بشـــكل فـــردى من دافع الغيرة على الدين . هذا إلى جانب ضعف الإمكانيات الإسلامية فى إصـــدار الكـــتب أو توجيه الرأى العام بالصحافة أو الإذاعة أو التنظيمات السياسية . وعلى النقيض من ذلك ، نجد أن اليهود المنتشرين فى شتى بقاع الأرض ، يتراسلون ويخططون ، رغم

صـعوبة ذلك فى الأزمان السحيقة ، لكنهم لايتقاعسون عن ذلك أبدا . ولعل خير دليل على ذلـك هـو مراسـلات حسداى بن شبروط ، مستشار عبد الرحمن إلناصر الخليفة الأموى الأندلسـى ، إلى يوسـف خاقـان اليهود الخزر فى القرن الثامن الميلادى ، ورد الخاقان عليه وكذلك التراسل بين يهود فرنسا وأمير يهود القسطنطينية[1] .

وثانى الأسباب : أنه لم تكن ديانة اليهودى تثير أى حساسية لدى المسلم ، حتى قيام دولة إسرائيل فى أرض فلسطين . بل إن اليهود عاشوا مع المسلمين وشاركوهم حياقم كمواطنين فى تلك الدول الإسلامية ، قبل وبعد إعادة تقنين شكل دولهم بكيان مستقل لكل منها ، إثر الهيار الكيـان العـثمانى المخطط له يهـوديا . هذا النوع من الحياة داخل الدول الإسلامية ، جعل المسـلمين لايلتفـتون إلى ماتقوم به اليهودية من تدبير محكم لإنشاء وطن جديد على الأرض الفلسطينية تحت شعار يهودى فلسفى يقول : "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض "[2] . فاليهود لا يعـترفون بـأن فى فلسـطين شعب فلسطينى ، بل هم عرب ، أغلبهم مسلمون وأقليتهم مسـيحيون ، لايسـتحقون الحيـاة فى القدس وإلى جوارها . ينكرون حق المسلم فى الصلاة بالمسجد الأقصى ، وينكرون حق المسيحى فى الصلاة بكنيسة القيامة وزيارة مكان مولد السيد المسيح عليه السلام .

والسـبب الثالث فى الجهل بالمخطط اليهودى ضد الإسلام : هو وقوع العالم الإسلامى برمّته فريسة للغزو الخارجى ، سواء من الخزر أو التتار أو السلاجقة ، ثم وقوعه تحت سيطرة الحـاكم العثمانى الذى أطلق على نفسه لقب خليفة ، والذى فتحت جيوشه – المفترض أنها مسـلمة – أراضى الدول المسلمة عنوة واستعمارا . قتل العثمانيون – المسمون بالمسلمين – إخوانهم المسلمين بكل وحشية ، وعاثوا فسادا فى أراضيهم وامتلكوا أقاليمهم ورقاب من فيها مـن المسـلمين بـلا رحمة ولا مودة . وهى علامة كبرى للاستفهام عن مغزى الإسلام لدى السـلاجقة الذيـن خرج منهم آل عثمان ، وهى فى نفس الوقت ، مدعاة للشك فى حقيقة عقيدتهم الدينية . كيف يغزو مسلم مسلما آخر ؟ يستبيح دمه وماله وعرضه وقد حُرّم ذلك على المسلمين ؟ كان المسلمون الخاضعون للدولة العثمانية فى هم ونكد وبحث عن لقمة العيش بعيدا عن بطش العثمانيين بلا سبب ، متمثلا فى الخوف من الوالى العثمانى وجنوده . وفى تاريخ كـل إقلـيم إسلامى ، ملاحم من المآسى التى عانت منها شعوب تلك الأقاليم ، قتلا وظلما وهوانـا . لم يكـن الاستعمار العثمانى للدول الإسلامية بالذى يسمح لأى رجل أن يفكر فى التخطيط الصهيونى للانتقام من المسيحيين والمسلمين ، بل ولامجرد أن يذهب خياله إلى القرب

من ذلك التصور . لقد ارتكب العثمانيون فى بلاد أوروبا الشرقية التى احتلوها ، والتى وصلوا فى فتوحاتهم بها إلى أبواب عاصمة النمسا ، الفظائع والمجازر تحت اسم الإسلام ، فعمقت العداء والكـــراهية بين المسيحية والإسلام المتمثل فى الدولة العثمانية ، والتى ظلت نارا مشتعلة لاتخبو شعلتها على مرّ الأيام .

ورابـــع الأســـباب وأخطرها فى نظرنا لتنفيذ المخطط اليهودى على مرّ السنين لضرب الإســـلام وحصـــاره ، كان "التقية " فى الشكل اليهودى ، فمنهم من انخرط فى دين المسيحية ومـــنهم مـــن أظهر إسلامه ، فى حين أبطنت الطائفتان اليهوديتان ، دين اليهودية فعلا وعملا لخدمة ما كلفوا به . والمتتبع للمؤرخين المسلمين القدماء فى كتاباتهم ، يجد أن الديانه اليهودية لم تكن بالشيء الذى يستحق منهم وقفة أو تحليلاً للأحداث ، والمثل على ذلك ما قام به " ميمون القـــداح " اليهودى الذى أسس مبدأ "الباطنية " فى الإسلام ، وخرّب فى الدين كيف شاء ، مظهرا أنه من المسلمين ، بل ادعى أنه من سلالة بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم . كتبوا عـــن أصـــله اليهودى ، وأنه يظهر الإسلام ويسبونه وينعتونه بالكفر والإلحاد وأنه خرّب هو والدولـــة الفاطميـــة الـــتى أنشاها دين الإسلام ، لكنهم لم يذهبوا فى تحليلهم لأكثر من ذلك ولا أوجدوا الصلات التى ربطت بين مختلف الاتجاهات الباطنية وأهدافها العامة . وذلك يؤكد ما ذهبنا إليه من أن المسلم لايكن ضغينه لأى كتابى ، بل يتعامل معه كفرد أو إنسان وحسب . ولعـــل مـــن مآسى التقية اليهودية ، بل أعظمها فى العصور الحديثه ، هى طائفة " الدونمة " ، اليهـــود العـــثمانيون ، الذيـــن أظهروا الإسلام ، وفعلوا باسمه كل ما يفعله عدو حاقد على الإسلام ، متتبعين آثار أجدادهم من نسل يهود الخزر المسمّون بالسلاجقة .

والســـبب الخامس ، هو استطاعة اليهود الوصول إلى المراكز الحاكمة فى بعض الدول الإســـلامية تحـــت ســـتار "الـــتقية " أو الـــتظاهر بالإسلام ، وكذلك فى الدول القوية ، فى إمبراطوريات العصور الوسطى ، وبلا استثناء . تمكنوا من توظيف أموالهم التى أمدتهم بالنفوذ للاستيلاء على تلك المراكز وتغليفه بمصلحة الدولة الأوروبية أولا وأخيرا . فالمسئول وإن كان يهوديـــا ، إلا أنه مواطن فى تلك الدولة . لعل بنيامين دزرائيلى ، رئيس وزراء انجلترا خلال الفـــترة مـــن ١٨٧٤ إلى ١٨٨٠ هـــو خير مثال على ذلك . لم يتعامل المسلمون مع أقطاب اليهوديـــة فى الـــدول الكبرى على أساس دينهم ، الذى لايهمهم فى شىء ، بل كان التعامل منصبا على جنسيتهم التى يلتفحون بها وحسب .

★ ★ ★

قال أعداء الدين الإسلامى ، إن المسلمين لم يكونوا مهتمين بنشر دينهم وأن أموال الجزية كـــانت أحب إليهم من الإسلام . إن دخول الأمم من تلقاء نفسها فى الإسلام بمجرد وصول الدعوة إليها ينفى ذلك القول تماما . كان المسلمون يفتحون البلد ويعرضون الإسلام على أهله ثم يدعوهم وشأنهم حتى يقتنعوا بفضائلة الإنسانية على مهل ، فللإسلام قوة ذاتية استطاعت أن تغـــلب تنظـــيمات الدعاة المعادين للإسلام وأثبتت أنها أفعل وأبعد أثرا من المال الذى ينفقه الآخــــرون على محاربته . لم يفتح الإسلام بلاد الدنيا بحد السيف كما أدعوا ، لكنه كان يقاتل من يمنعون وصول الدعوة إلى البشر ، كالرومان فى الشام ومصر ، والفرس فى العراق وإيران . كـــانت الدعوة الإسلامية تنتقل عن طريق التجارة والقوافل ، وعن طريق الحج ، حيث كان المرور إلى مكة والمدينة يتم عبر أراضٍ غير إسلامية . كان انتشار الإسلام فى تلك الأراضى يتم بفضائله وقوته الذاتيه عن طريق عرض الدين الذى آمنوا به على الناس وتأثير الخلق الإسلامى المتمـــثل فى أولـــئك العابرين المسلمين فى الأراضى غير المسلمة ، ومدى الولاء الذى يكنونه كمسلمين ، لمحمد صلى الله عليه وسلم ولدعوته الحقة[٣] .

انتشـــــر الإسلام بســـرعة هائلة فى القارة الأفريقية دون قهر أو غزو فمع حلول عام ٧٠٥م، أصـــبحت جميـــع المـــناطق المغربية فى شمال أفريقيا جزءا من العالم الإسلامى ، واتجه المســـلمون جـــنوبا إلى بلاد "صنهاجة " فدخلت قبائلها فى الإسلام . ويعتبر دخول صنهاجة فى الإســـلام ، تحـــولا هاما فى تاريخ القارة الأفريقية ، فهم الذين يعرفون طريق القوافل حتى حقـــول الذهـــب داخل أفريقيا ، ويبادلون الملح الصخرى بالذهب . وصلوا إلى نهر السنغال بالقوافل المسلمة ، وعرفوا أخبار الدولة الزنجية التى اسستها قبائل "السونينكى" فأسموا المنطقة بـــأرض الذهـــب . كان "الطوارق " هم أحد أهم فروع الصنهاجة ، وكانوا يحكمون أقاليم الصحراء الوسطى فى القارة الأفريقية ، كحاجز بين الشمال والجنوب[٤] .

كانت طرق التجارة مع أفريقيا تتم عبر ثلاث طرق :

الأول : وكـــان طريق وادى النيل الذى يبدأ من مدينة إسنا ثم طريق الأربعين حتى دارفور ثم إلى تشاد ووسط أفريقيا .

الثانى : من فزّان فى ليبيا إلى بحيرة تشاد .

الثالث : على الساحل الأطلنطى من "سيجلماسا " حتى "أوداجست " .

وكـــان الطـــريقان الأول والثانى يلتقيان عند مملكة "كانم " فى الجانب الشرقى من بحيرة تشاد . وكانت مملكة كانم والبرنوه - تشاد والنيجر الحاليتين - قد دخلتا الإسلام عام ٦٧٠م عـــلى يـــد نافع الفهرى - والد عقبه بن نافع - الذى وصل إليها عن طريق ليبيا ودعا أهل المملكة إلى الإسلام فأسلموا جميعا . بينما أسلمت قبائل "الهوسا " نتيجة الهجرة العربية لقبيلتى بنى هلال ، وبنى سليم بعد فتح مصر . وقد انتشرت القبيلتان فى المغرب ومنه إلى الجنوب عبر الصحراء ثم استقرت هناك للرعى(٥) .

عـــندما انتشرت الدعوة الفاطمية فى الشمال الأفريقى فى أوائل القرن العاشر الميلادى وأنشـــأت مديـــنة المهديـــة عاصمة لها ، ثم انتقلت إلى القاهرة بعد ذلك عام ٩٦٩م ، تاركة طرابـــلس وتونـــس والجزائر تحت حكم أسرة حاكمة من قبائل الصنهاجة ، قام رجال القبيلة بالاستيلاء على مراكش وأحكموا السيطرة على كل شمال أفريقيا . وفى عام ١٠٥٥م انفصل المغـــرب العربى عن الفاطميين حيث قام الصنهاجه بانتهاج مذهب التمسك الشديد بالتعاليم الديـــنية الســـلفية ، وأطـــلقوا على أنفسهم اسم المرابطين واتخذوا مدينة الرباط مركزا لهم ، وأحكمـــوا ســـيطرهم على بداية ونهاية الطريق الغربى لأفريقيا الذى يخترق غرب الصحراء ، مديـــنة سيجلماسا شمالا ، ومدينة أوداجوست جنوبا . رسخ الإسلام قواعده فى مناطق حوض نهر السنغال والفوتاجالون - مالى وغينيا الحاليتين - ودخلت قبائل السوسو والمالينكى والفولا فى دين الإسلام(٦) .

امـــتد الزحف الإسلامى إلى وسط القارة الأفريقية ليشمل كل مناطق جنوب الصحراء الكـــبرى ، واتخـــذت قبائل المنطقة من الإسلام دينا ، حيث لم تكن هناك دول بالمعنى الحديث الحـــالى، بـــل إمبراطوريات مجازية يحكمها ملوك القبائل القوية . ففى غرب القارة الأفريقية ، استطاع الإمبراطور المالينكى سونديانا عام ١٢٣٠م أن يضم غانا إلى أملاكه فأصبحت بلاده أكبر إمبراطوريات غرب أفريقيا وأغناها(٧) .

اجـــتهدت القبائل الأفريقية التى أسلمت ووسعت من نطاق الإسلام فى أفريقيا المدارية والاســـتوائية الغربية وجعلته الديانة الرئيسية من حدود الصحراء الكبرى إلى بلاد الكونغو ، وأخـــذت تلك القبائل أصول الحضارة العربية الإسلامية وسارت بها وطوّعتها لظروف حياتها فى البيـــئة الأفـــريقية ، واجتهد أهلها فى تعلم اللغة العربية ودراسة القرآن الكريم والشريعة الإسلامية وكتبوا لغاتهم بالأحرف العربية(٨) .

لم يكـــن الاستقرار هو طبيعة القبائل الأفريقية ، بل تنقلت من مكان إلى آخر فى مقاومة لــلعوامل الطــبيعية المختلفة ، وبلغت هجرة القبائل فى الغرب الأفريقى ذروتها خلال القرن السادس عشر . حيث قامت قبائل الفولانى البدوية التى تحترف الرعى وتعيش على ضفاف نهر الســنغال ، بالزحف شرقا وانتشرت فى مناطق نهر النيجر حتى وصلت إلى منطقة فوتاجالون ، وواصلت المسير حتى جنوب بحيرة تشاد فاختلطت وامتزجت مع قبيلة عرب " الشاوية " التى زحفت من صعيد مصر ففقدت عروبتها سوى اللغة ، ورعت المواشى بدلا عن الجمال[9] وحتى يومنا هذا، فإن قبائل "الفولا" الأفريقية ، تنسب أصولها إلى المصريين القدماء[10] .

كـــان انتشـــار الإسلام فى غرب القارة الأفريقية سريعا وبلا عوائق ، بل زحف الدين فى يســـر يهدى الوثنيين حتى غابات حوض نهر الكونغو ، الذين دخلوا فى الإسلام بلا حرب ولا سلاح . بل عن اقتناع وحب ورغبة .

★ ★ ★

يقسم الجغرافيون الأجناس التى عاشت فى أفريقيا منذ ثمانية الآف سنه قبل الميلاد إلى :

المصريين : وعاشوا فى موقع مصر الحالى وحتى الشلال الرابع فى العصر الفرعونى .

الكوشيين : وهم النوبيون واستوطنوا جزءا من القرن الأفريقى وشواطىء البحر الأحمر الجنوبية

الشعوب النيلية : وعاشوا فى الثلث الأوسط من وادى النيل وما يحيط به .

الزنوج : فى مناطق الغابات والمناطق العشبية بغرب أفريقيا .

الأقزام : وعاشوا فى منطقة الغابات الممطرة بحوض الكنغو .

البوشمن : وانتشروا فى شرق وجنوب القارة ، وانحصروا حاليا فى صحراء كالهارى[11] .

هاجـــرت قبيلتا بنى هلال وبنى سليم العربيتين إلى مصر بعد أن أصبحت أرض إسلام ، هـــربا مـــن ضيق العيش بالجزيرة ، واستقرتا فى صعيد مصر زمنا ، ثم استأنفت فروع منهما الهجـــرة جنوبا حتى الجندل السادس فى بلاد النوبة ، واجتاز البعض الصحراء الغربية بقطعانهم واســـتقروا فى دارفور وكردفان حيث المراعى[12] وتسلل البعض إلى بحيرة فكتوريا واستوطنوا مرتفعات كينيا وتنجانيقا[13] .

وأحد أسباب الهجرة العربية الإسلامية إلى شرق القارة الأفريقية ، تتمثل فى قيام الأحباش بأعمال القرصنه فى البحر الأحمر ، فهجموا على جدة عام ٧٠٢م ونهبوها ، فانتقم العرب منهم وأرسلوا السفن والرجال فاحتلوا سواحل إريتريا وطردوا الأحباش إلى موطنهم الأصلى فى المرتفعات الداخلية . لم يكتف العرب بذلك بل أقاموا فى المدن الساحلية بشرق أفريقيا ، مجموعة من المراكز التجارية ، واتخذوا من زنزبار ومقديشيو مراكز لنشر الإسلام بين القبائل الأفريقية فى المنطقة .

كانت المسيحية قد دخلت الحبشة وافدة من مصر حملها راهبان مصريان من الإسكندرية ، فتحولت مملكة "أكسوم " التى ترجع نشأها إلى اليمنيين ، فى إقليم تيجراى إلى بلاد قبطية الديانه مسيحية على المذهب المينوفيزى – مذهب الطبيعة الواحدة – الذى سمى فيما بعد بالمذهب اليعقوبى التابع للكرازة المرقصية(١٤) .

وبدأت بلاد الأحباش فى محاولة لنشر المسيحية فى بلاد كوش – النوبة – المحيطة بها ونجحت فى ذلك عام ١٣٣٠م عندما تولى الملك فيها أسرة حاكمة اعتبرت نفسها من سلالة سليمان عليه السلام . زحف الأجباش إلى المناطق التى يسكنها الوثنيون وضموها إلى ملكهم ، فاصبحت ضعف مساحتها الأصلية .

دخلت بلاد النوبة فى الدين المسيحى فأصبحت هناك دولتان مسيحيتان فى شرق القارة الأفريقية : الحبشه وسوبا – بلاد النوبة – التى دخلتها قبائل جهينه العربية المسلمة ، تلك القبيلة التى كانت قد هاجرت إلى شمال شرق أفريقيا ثم بدأت الزحف نحو مناطق أخرى ، حتى وصلت إلى حوض النيل الأزرق . وبذلك ظلت الحبشة وحدها هى الدولة المسيحية الوحيدة فى القارة الأفريقية خلال تلك الحقبة من الزمان(١٥) . وترجع بعض المصادر التاريخية الأصول اليهودية فى الحبشة "الفلاشا " إلى الملكة بلقيس ، ملكة سبأ التى أرسلت بعثة من بلادها هاجرت إلى مرتفعات الحبشة واستقرت فيها(١٦) .

امتدت العلاقات بين العرب وسواحل شرق أفريقيا على مدى سنوات تزيد عن الثلاث الآف سنة ، وخاصة من جنوب الجزيرة العربية وأهلها المهرة فى الملاحة البحرية والذين استغلوا السرياح الموسمية شتاء للإبحار إلى أفريقيا ، والرياح التجارية صيفا للعودة إلى أرض العرب . استمرت التجارة بين الجزيرة العربية والسواحل الشرقية لأفريقيا ونشأت مدن عربية على السواحل . كانت أول هجرة عربية من عومان فى القرن السابع الميلادى واستقرت فى جزيرة

أمـــام كينيا ، بينما كانت الهجرة الثانية بواسطة الزيديين بعد خلافاهم مع الشيعة عام ٧٣٩م فاستقروا على ساحل الصومال ، الذى استقبل أيضا هجرة سعودية أسست مدينتى "مقديشيو" و"بـــراوا " . ونـــزحت أسرة شيرازية عام ٩٧٥م فى سبع سفن إلى سواحل أفريقيا الشرقية واستقروا متفرقين فى زنزبار وممباسا وكيلوا ، وجزر القمر(١٧) .

استطاع العرب المسلمون المنتشرون فى الشرق الأفريقى إنشاء امبراطورية عظيمة موحدة أسموهـــا إمـــبراطورية الزنج وكانت عاصمتها زنجبر – أى أرض الزنج – والذى تحور الاسم ليصـــبح فيما بعد زنجبار ثم زنزبار(١٨) اجتاح الإسلام شرق أفريقيا وإن كان قد تركز فى المدن الساحلية دون التوغل داخل القارة ، لتجنب محاربة الزنوج الوثنيين . اكتفى المسلمون بالدعوة والموعظـــة الحسنة .. والجدال بالحسنى ، تاركين للأفريقيين حرية اختيار عقيدهم دون ضغط أو إرهاب ، فانتشر الإسلام بسرعة البرق على شواطىء أفريقيا الشرقية .

★ ★ ★

كمـــا انتشر الإسلام فى القارة الأفريقية ، فإنه طار إلى آسيا عبر التجارة وإقامة المسلمين بين الأقوام.الآسيوية الوثنية ، الذين رأوا فضائل ذلك الدين القيّم فدخلوا فيه أفواجا وأمة بعد الأخرى ، وانتهت دولة الخليجيين عام ١٣٢٠م بعد أن وسعت نطاق الإسلام فى شمال شرق الهند ناحية مصب نهر الجانج وأسلم أهل البنغال الذين كونوا بنجالاديش فيما بعد ، مسلمون ســـنيون . كـــانوا أهـــل تجارة وسفر ، وامتدت دعوتهم إلى بورما فدخل أهلها فى الإسلام ، مقـــاومين محاربـــة البوذيين لهم ، ورهبان المشركين يرون الدين الإسلامى ينتشر بين أقوامهم انتشار النار فى الهشيم .

عرف العرب سواحل جزيرة سومطرة قبل الإسلام . كان أهل عومان واليمن ممن أقاموا مراكـــز تجارية على شواطىء الجزيرة . وبعد ظهور الإسلام التقى التجار المسلمون بالعرب فى الجزيـــرة فأسلموا ، ومعهم أهل سومطرة . انتقل الدين إلى جزيرة جاوا ، التى كانت العقيدة الهـــندوكية .. تسيطر على شعبها ، فبدأ الناس يقتنعون بفضائل الإسلام ويدخلون ذلك الدين الوافد . ويحكى الباحث الهولندى "شريكه " فى تاريخه عن ملوك جاوا قبل الإسلام وبعده(١٩) ، أن أحد التجار العرب من حضرموت تولى أمر مائة امرأة وفتاة هندوكيات ، وأتى لهن بأزواج مـــن العرب المسلمين فعاشوا هناك فعرف الناس فضل الإسلام . ويعلق الباحث الهولندى على ذلك بقوله إن المسلمين كانوا لا يالون بشىء فى سبيل الإسلام(٢٠) .

هجـــم البرتغاليون على جزر أندونيسيا فى القرن السادس عشر ، وكان ذلك أيضا أحد أسباب مسارعة الناس فيها إلى الإسلام لمقاومة الغزاة ، وجاء الهولنديون فطردوا البرتغال منها وردوا الإنجـــليز عنها . وتفرغ الهولنديون إلى التجارة وجنى الثروات الهائلة التى جعلتهم أغنى دول العالم . قام هولندى يدعى " سنوك هور جرونيه "[٢١] ، فنصح حكومته بترك المسلمين فى أندونيســـيا غارقين فى شئون دينهم حتى يخلص للهولنديين أمر التجارة والاستغلال الاقتصادى فلا يضايقهم الأندونيسيون فيه .

وزحـــف الإسلام على شبه جزيرة الملايو فى القرن الثانى عشر الميلادى بواسطة التجار المسلمين من العرب والهنود التاميل ، وكان لمحاولة احتلال البرتغال لتلك البلاد ، فضل تمسك الناس فيها بالإسلام ودخول ممالك شبه الجزيرة فى الدين الذى يحض على الجهاد ضد المستعمر الغاشـــم الذى يقتل فيهم بلا رحمة ، ومن وراء البرتغال الإنجليز . وشهدت تلك الفترة حروبا بـــين الهولنديين الذين أرادوا السيطرة على تلك المنطقة ، وبين البرتغال ، ثم انجلترا ، التى ترك الهولنديون لها جزيرة سنجابور وحدها .

عـــندما احتل الأسبان عام ١٥١٦م جزرا متفرقة فى المحيط الهادى ، اعتقدوا انها وثنية فاعلـــنوا أن تـــلك الجزر مسيحية وأطلقوا عليها اسم ملكهم فيليب الثانى . وكانت الدعوة الإســـلامية، قد انتقلت إلى تلك الجزر من سلطنة جوهور الماليزية وتركزت الدعوة فى جزيرة "مـــندناو " فانتشـــر بهـــا الإسلام وامتد ليشمل أجزاء عدة من الجزر الفليبينية ظلت تقاوم الاســـتعمار الأسبانى بكاثوليكيته، ثم الأمريكى ببروتستانتينيته يحاولان فرض الدين المسيحى على مسلمى تلك الجزر .

ودخل الإسلام إلى كشمير والتبت ، وانطلق إلى الصين ، ذلك الدين الطيّار ، بدءا بعبور قتيـــبة بن مسلم نهر سيحون وتوغله فى ولاية سنكيانج وضم أجزاء منها إلى الأمة الإسلامية . وهاجـــر قـــوم مـــن بـــنى أميّـــة من التجار المسلمين إلى كانتون واستقروا فيها و تزاوجوا مـــن الصينيات وأقاموا المساجد وأصبح اسمهم بالصينية "هوى هوى " . واستعان الإمبراطور "هزوان تونج " عام ٧٥٦م بالخليفة المنصور العباسى لإعادته إلى عرشه فأمده الخليفة بقوة من الرجال أعادته إلى عرشه واستقرت القوة المسلمة هناك . ولقد ازداد عدد المسلمين فى الصين بالهجرات الإسلامية الكبيرة التى فرت إلى الصين بعد غزو المغول للأراضى المسلمة فى المشرق الإســـلامى . ويقدر المبشرون الكاثوليك أن عدد المسلمين زاد زيادة عظيمة فى القرن التاسع

عشـــر الميـــلادى ، ويردون ذلك إلى أنهم يعيشون فى سلام مع غيرهم ويتحاشون إثارة كهنة البوذية ، مقدرين عدد المسلمين بنحو خمسين مليونا[٢٢] .

كـــان الإســـلام فاتحـــا غلاّبا ، دلّ على قوته وقدرته على التسرب إلى قلوب خصومه وهدايـــتهم إلى طـــريق الحـــق ، فعندما اجتاح جنكيز خان الجناح الشرقى لأمة الإسلام عام ١٢١٨م ، دخل رجال القبيلة الذهبية من المغول والتتار دين الإسلام اقتناعا بفضل الإسلام ، فكـــانت هداية الله لأعداء الإسلام ، الذين أصبحوا هم أنفسهم من دعاته بعد حين ، فانتشر الإسلام فى دولة روسيا ، وظلت شعوبها المسلمة متمسكة بدينها رغم الاضطهاد المسيحى أيام الإمبراطورة كاترين ، ثم خلال حكم الشيوعيين وتشتيت المسلمين فى سيبريا وإعادة توزيعهم بـــين الأقالـــيم الروســـية الشاسعة ، فى محاولة لإنهاء الهوية الإسلامية فىذلك الجزء من القارة الآسيوية .

★ ★ ★

كـــان الفتح الإسلامى للقارة الأوروبية ناجحا من غربها عكس ما كان عليه الحال من الفشل فى اقتحامها من القسطنطينية . ولم يتحقق ذلك إلا بعد انتشار الإسلام فى المغرب العربى كله . فبعد أن اقتحمها عقبة بن نافع الفهرى عام ٦٨١م ووصل إلى مدينة أغادير على المحيط الأطلسى، قسم موسي بن نصير المغرب العربى إلى أربعة ولايات : أفريقية (طرابلس وتونس) – المغرب الأوسط (تونس والجزائر) – المغرب الأقصى – سجلماسا[٢٣] .

عـــين موسى بن نصيرقائده طارق بن زياد ، البربرى الأصل قائدا لحامية طنجة . وأرسل حمـــلات بحـــرية احتلت جزيرتى صقلية وسردينيا . واستطاع اليهود فى المغرب – بأعدادهم الكـــبيرة ونفوذهـــم لدى العرب المسلمين – إقناع موسى بن نصير بضرورة غزو شبه جزيرة أيـــبريا، وذلك استجابة لنداءات اليهود فى أسبانيا والبرتغال الذين استغاثوا فيها بيهود المغرب لنجدتهم من الاضطهاد المسيحى[٢٤] .

دخـــل طارق بن زياد أرض الأندلس وهزم ملك طليطلة القوطى عام ٧١١م ولحق به موســـى بن نصير فى جيش إسلامى ، ففتحا شبة الجزيرة الأيبيرية إلى البرانس وخليج بسكاى وأتم المسلمون فى عصر الولاة فتح الأندلس عام ٧٥٦م ، وتوغلوا فى أرض الغال – فرنسا – حتى مدينة ليون . وكان عهد عبد الرحمن الناصر هو أزهى العصور الإسلامية فى شبة الجزيرة الأيـــبيرية وهو السبب فى اضمحلالها أيضا ، فقد أكد على غزو بلاد أسبانيا النصرانية وإنشاء

عصــر الطوائف ، مما أجج العدواة فى قلوب أهل تلك الممالك والوحدات النصرانية فى شبة جزيرة أيبيريا[٢٥] . لحقت بالمسلمين هناك الفرقة والاختلاف مما سهل على المسيحية الكاثوليكية توحيد صفوفها والزحف على الأقاليم المسلمة فى أوروبا وإنزال أقسى أنواع التعذيب والانتقام بالمسلمين فيها .

اســتطاع يوسف بن تاشفين الذى قاد دولة المرابطين فى المغرب أن يعبر إلى شبة جزيرة أيــبيريا ١٠٨٦م بعــد تفكك الدولة الإسلامية واقتناعه بأن ملوك الأندلس – الطوائف – لم يعودوا مخلصين لقضية الإسلام ، فعزل كل أولئك الملوك وجمع ما بقى للمسلمين من أراضٍ تحت لواء المرابطين . وأعقب ذلك دخول الموحدين عام ١١٦٠م إلى الأندلس وجعل عاصمتها فى قرطبة، ثم أعادوا العاصمة بعد ذلك إلى أشبيلية .

اســتمرت الحروب بين المسلمين والنصارى حتى تم الاستيلاء على قرطبة عام ١٢٣٦ م وعقد معاهدة بين المسلمين وملكي أسبانيا فرناندو وإيزابيلا تضمن حرية بقايا المسلمين ، لكنها نســخت وعمـــل الأساقفة فى تنصير المسلمين جبرا حتى عام ١٦٠٣ م عندما خيّر الأسبان ، المسلمين الموجودين إما التنصر وإما مغادرة البلاد . وبذلك انتهى التاريخ السياسى للإسلام فى شبة الجزيرة الأيبيرية عام ١٦٠٩م [٢٦] .

★ ★ ★

مــن الصعب إيجاد الدلائل الموثقة الصريحة بكل ما فعله اليهود فى الجناح الشرقى للأمّة الإســلامية مــن تخريب . لكن الاستنباط يقودنا بالقطع إلى تلك النتيجة . فلقد شهدت تلك المنطقة التى شملت أراضى الشام والعراق وإيران وأذربيجان وأرمينيا ، ثم الامتدادات الشرقية حــتى الهــند والســند وأفغانستان وأقاليم الإسلام شرق بحر قزوين ، من الأحداث والمآسى ما يشيب لهولها الولدان . وكانت أيدى اليهود وراء كل المصائب التى فتكت بها .

عــاش اليهــود فى تــلك الأرض المسلمة ، وبأعداد كبيرة تركزت فى العراق وإيران ، متمــتعــين بحريتهم الدينية والاجتماعية ، وخاصة فى عهــد الخلافة العباسية . يقول أرنولد توينبى[٢٧] : "من المؤكد أن وضعهم فى عهد الخلافة العباسية لم يكن أقل ملاءمة لهم من وضع اليهــود فى الوقت الحاضر فى تلك البلاد الغربية الذين تحرّر فيها اليهود فى وقتنا هذا" . وكما رأيــنا فى غــير هذا المكان ، فقد كان عدداليهود بالعراق يقترب من المليون يهودى فى ذلك العصر ، موزعين فى أراضى الأمة الإسلامية فى جناحها الشرقى ويتبعون رئيس اليهود الموجود

فى بغداد والذى يطلق عليه اسم : رأس جالوت اليهود . وكان انتشارهم فى فلسطين والشام – التابعتين للدولة الفاطمية – انتشارا كبيرا ، لم تسطع المصادر التاريخية تحديد أعدادهم على وجــه الدقة ، وربما كانت الأعداد التى طرحت على أنها ليهود العراق ، تشمل أولئك أيضا المقــيمين فى فلسطين وسوريا . فقد كان اليهود فى حالة ترحال دائم بين الأقطار التى يتمتعون فيهــا بنفوذ التجارة والمال والحدود المفتوحة ،ولا رقيب عليهم ، فهم بنفس السحنة والأسماء والصفات والعادات التى يتسم بها العرب .

كـــانت العلاقات بين يهـــود العراق – وهى مركز الخلافة العباسية فى تلك الحقبة من الــزمن – والفئات الرافضة والخوارج على أحسن وجه من التعاون لتغذية المعتقدات الهدامة للدين الإسلامى، كما سبق وأن بيّنا فى الفصول السابقة من هذا الكتاب . ويحكى لنا التاريخ الإسلامى(٢٨) ، كيف تنبه المسلمون للمؤامرات اليهودية مع الرافضه والخوارج ، فقاموا بمقاتلة اليهود المنضمين إلى الرافضة . وهى أحداث كانت تتكرر على فترات متقاربة فى كل حين . وعـــلى الرغم من ذلك ، فقد استمر اليهود بأراضى الخلافة العباسية ينعمون بالنفوذ والسلطه والمـــال ، يـــتحكمون فى جناحى الأمة الإسلامية ، وينعمون بالسلام فيهما بصفتهم من أهل الكتاب الذميين الذين يحميهم الإسلام والمسلمون .

★ ★ ★

لايمكـــن لنا إغفال حقيقة وجود صلات قوية ومستمرة بين يهود العراق ويهود الخزر ، وســبق لنا إيضاح الحملة اليهودية الخزرية التى رفعت درع داود حتى وصلت إلى بغداد فقتل قائدهـــا داود آل روى بواســـطة اليهـــود خوفا من إثارة المسلمين . وقد بلغ ذلك الاختلاط اليهـــودى بـــين الإشكناز – يهود الخزر – والسفارديم – يهود العرب والأسبان مداه خلال الحكـــم العباســـى ، حتى استطاع الخزر اليهود المسمون بالسلاجقة ، الاستيلاء على القسم الشرقى الشمالى من الأمة الإسلامية .

ويذكر ابن كثير – رضى الله عنه – فى كتابه (البداية والنهاية) نشأة سلجوق بن بغاق ، فيذكـــر أن بغـــاق كان من حاخامات الخزر من ذوى الرأى والمكيدة عند الخاقان ، وأن ابنه سلجوق بن بغاق ، نشأ فطنا فعينه الخاقان "شباسى " – قائد جيش – لكن الخاقان تخوف من ســـلجوق لجرأته وقوته فأراد قتله فهرب سلجوق إلى بلاد المسلمين ومعه ولداه طغرل وداود واجـــتمع حوله مجموعة من التركمان(٢٩) . واستطاع طغرل بك عام ٤٢٩هجرية ، الاستيلاء

على نيسابور وجلس على سرير ملكها ، بينما استولى أخوه داود على خراسان[٣٠] . والمؤكد أن ما ذكره المؤرخ العربي حول نشأة سلجوق هو أكثر دقة وتحديدًا عما ذكره المؤرخ اليهودى نقلا عن رواية قسّ هوّد[٣١] .

عندما استولى داود السلجوقى على خراسان وأقام حكمه فيها ، تولى ابنه ألب أرسلان الحكم بعد أبيه ، حاول الخليفة العباسى عام ٤٣٥ هجرية استرداد خراسان من حكم السلاجقة ، " فبرز لهم ألب أرسلان بن داود السلجوقى وأسلم من الترك الذين كانوا يطوقون بلاد المسلمين نحوا من عشرة آلاف من "خركاة " الترك ، فذبحوا الذبائح وفرّقوها على المسلمين ففرحوا بها "[٣٢] .

ذلك هو النص الذى ورد فى أحداث عام ٤٣٥هجرية فى كتب الأثر الإسلامية العربية . وهو إن لم يؤكد ماذهبنا إليه من قبل عن أصل السلاجقة وأنهم من خزر اليهود باعتبار أن كلمة "أك خزر" تعنى الاشكناز أو الخزر البيض ، ونظرة إلى ما أورده المؤرخ الإسلامى من كلمة "خركاة " الترك ، فإننا بلا شك نلحظ التشابه فى الاسمين . إن لم يؤكد ذلك يهودية أولئك الترك الخزر ، فهو على الأقل يصنع علامة استفهام ، لابد أن تؤدى فى نهايتها إلى التوصّل لتلك الحقيقة . وأورد هنا نص ما ذكره المؤرخ اليهودى كيستلر حول الاستخدام المشاع للفظى الخزر اليهود والترك ، حتى بين المؤرخين اليهود ، فيقول[٣٣] : " عقد الإمبراطور الرومانى هرقل حلفا عسكريا مع الخزر سنة ٦٢٧م استعداد لحملة حاسمة يقوم بها ضد فارس . وقد أورد المؤرخ جيبون وصفا حيا للاجتماع الأول الذى عقد بين الإمبراطور الرومانى والقائد الخزرى فيقول :" تجاه الحلف المعادى من خسرو والآفار – البلغار – أقام الإمبراطور تحالفا مفيدا ومشرّفا مع الأتراك . وبناء على دعوته السخيّة نقلت حشود الخزر خيامهم من سهول الفولجا إلى جبال جورجيا واستقبلهم هرقل قرب تفليس وكان خاقان الخزر يدعى زيبل . وعرض هرقل عليه ابنته يودوشيا على التركى زيبل ، فأهداه أربعين ألف حصان كمعونة عاجلة " .

وتقودنا تلك الحقائق التاريخية عن مصدرين إسلامى ويهودى ، أن الخزر اليهود التفوا حول بنى سلجوق ليشكلوا جيشا غازيا تحت دعوى الإسلام ، واستطاعت تلك الدولة السلجوقية فى وقت لايذكر ، أن تستولى تماما على جزء هائل من الأمة الإسلامية ، استشهد فى سبيل نشر دعوة الإسلام الحقّة بها خير الرجال – رحمهم الله – فجاء أولئك القوم من

الســلاجقة الذيــن ناصروا الرافضة والمذاهب الباطنية فى الإسلام واستباحوا دم المسلمين ، فأقاموا دولة السلاجقة .

★ ★ ★

تغــلغل اليهــود فى المغرب العربى ، فإذا ماظهر الذهب ، وجد اليهودى . كانت بلاد المغــرب تعجّ باليهود ، كانوا يرون ويسمعون كيف يقوم المغاربة من البربر والصنهاجة بقيادة القوافــل من المغرب حتى أفريقيا . يذهبون بالملح الصخرى ، ويعودون بالذهب . تولى اليهود تــلك الــتجارة ، بعــد أن دخــل الإســلام والعرب إلى المغرب . كان معظم يهود المغرب مــن السفارديم[٣٤] ، العنصر السامى ، المشابه للعرب ، سحنة وملبسا ولغة ، والذين خرجوا مــن الجزيــرة العربية فهاجروا عبر مصر إلى المغرب الأفريقى ، وكانت الفاطمية هى معبرهم العكسىّ إلى مصر وغيرها من الأمصار ، فى مرحلة أخرى .

عــرف اليهود مدى الغنى الذى يمكن أن تجلبه أفريقيا إليهم بذهبها وعاجها وأخشابها ، وفى مرحلة لاحقة عبيدها . بدأ اليهود فى التخطيط لكيفية الاستفادة من تلك الثروات . وفى نفس الوقت ، وجد اليهود بعبورهم لمضيق جبل طارق من المغرب ، أرضا جديدة أوروبية غنية يســتطيعون تحقيــق ثــرواتهم فيها ، فانتشر اليهود فى شبه الجزيرة الأيبيرية ، يسيطرون على التجارة وكل ما يتعلق من أعمال المال ، وبالربا عاش اليهود فى شبه جزيرة أيبريا خلال حكم القوطيين .

اعتــنق الملك ريكارد المذهب الكاثوليكى ، وتحول القوطيون إلى الكاثوليكية ، فبدأت سلســلة من الإجراءات ضد اليهود الذين استشرى فسادهم فى أيبيريا . فمنع اليهود بمراسيم ملكية من الزواج من مسيحيات أو اقتناء عبيد من المسيحيين أو تقلد المناصب العامة . واتخذ مجلس طليطلة عام ٦٣٣م قرارا بأن كل يهودى اعتنق المسيحية – طبقا لقرار الملك سيزبوت عام ٦١٣ باعتناق اليهود للمسيحية أو الخروج من البلاد – ثم عاد إلى ديانته اليهودية ، يتم فصله عن أبنائه وبيعهم كأرقاء[٣٥] .

أحس اليهود فى شبة الجزيرة الأيبيرية بأن مجدهم فى طريقه إلى الزوال فى تلك الأرض التى يعيشون فوقها ، إلى جانب الاضطهاد الذى يلقونه من المسيحيين ، فبداوا الضغط على اليهود فى المغــرب لدفع العرب لغزو أيبيريا ، مظهرين لهم نقاط الضعف فى الأرض الأيبيرية ، ونقاط القوّة والغنى التى يمكن أن يجنيها المسلمون من وراء فتحهم هذه القارة الغنية ، ولايمنع الأمر ،

أن يقـــوم اليهود المغاربة المتظاهرين بالإسلام ، بإذكاء الروح الدينية بين المسلمين لقهر أرض النصارى .

هكذا بدأ المسلمون الولوج إلى شبه الجزيرة الأيبيرية على يد طارق بن زياد ثم موسى بن نصـــير عـــام ٧١١م . كان يهود شبة جزيرة أيبيريا هم أكثر الفئات استفادة من هذا الغزو الإســـلامى، بل إنهم يذكرون فى كتبهم ، فضل المسلمين على اليهود وإنقاذهم من الفناء على أيدى القوط فى الأندلس ، ويعدون طارق بن زياد من أبطال تاريخهم لما كان من إنقاذهم على يديه[٣٦] .

قـــام ثلاثة من رجال المسلمين ، طارق بن زياد وموسى بن نصير ، ثم ابنه عبد العزيز بن موسى بفتح بلد من أكبر بلاد أوروبا فتحا كاملا فى أربع سنوات ، وهو أمر لايكاد يصدق . فقـــد كـــان الذين قاموا بعبء الفتح الأول مع طارق بن زياد ، من البربر الذين أسلموا قبل ســـنوات قليلة فقط ، وهى من معجزات الإسلام . فأحد أسرار ذلك الدين القيّم ، أن قوّته الدافعه هى التى تنقل المؤمنين به عن صدق من حال إلى حال[٣٧] . وجاء عبد الرحمن بن معاوية بن مروان ، فأنشا دولة من أكبر الدول الإسلامية ، الدولة الإسلامية فى قرطبة ، فأطلق عليه خصمه الخليفة العباسى أبو جعفر المنصور ، اسم (صقرقريش) .

عندما دارت الدوائر على المسلمين فى شبة جزيرة أيبيريا على مر السنوات ، والتى عللها أكثر المؤرخين بأنها نتيجة للبذخ والصراعات على السلطه فى تلك الدولة الإسلامية الأوروبية ، فإن أولئك المؤرخين وخاصة اليهود من الغربيين ، ردوا طرد المسلمين والقسوة التى عوملوا بها إلى النصارى من كاثوليك أسبانيا والبرتغال ، وتم التغاضى عن الأسباب الحقيقية الكامنه وراء هـــذا الـــبغض والعـــداء المسيحى . كان اليهود ، سواء السافرين بيهوديتهم ، أو المتظاهرين بالإسلام، وراء إذكاء نار الحقد بين المسيحيين والمسلمين كعادتهم .

كـــان عهـــد عـــبد الرحمن الناصر ٩١٢/٩٦١م هو عهد الازدهار اليهودى فى أسبانيا والبرتغال ، فقد كان وزيره ومستشاره وسفيره هو حسداى بن شبروط اليهودى ، الذى سبق لـــنا تـــبيان اتصالاته بكل زعماء اليهود فى العالم ،وتمكنه بمثابرته وكيده ، أن يصل إلى خاقان الخزر اليهودى فيما وراء خط جبال القوقاز ويتبادل معه الرسائل عن أمجاد اليهود . لم يتعرض المؤرخـــون لمؤامرات ذلك الرجل تفصيلا ، فهو تاريخ مجهّل ، لايعرف عنه سوى رسالته إلى يوســـف خاقان الخزر ، ورد الخاقان عليه بأخبار أولئك المتهودين من الاشكناز[٣٨] . وأعقب

عـــبد الرحمن الناصر فى خلافة الاندلس ، ابنه المستنصر عام ٩٧٦م ، فكان وزير الخليفة هو اليهودى إبراهيم بن يعقوب الطليطلى .

وفى ذلـــك العهـــد الذهـــبى لليهود بالأندلس فى ظل الإسلام ، وبسبب الحرية الدينية والعـــلمية التى تمتعوا بها ، بنى اليهود معابدهم فى قرطبه وطليطلة وبرشلونة وغرناطة وغيرها وصـــار الطب وقفا على اليهود تقريبا . ومنهم خرج موسى بن ميمون ، الذى نزح إلى مصر بعد ذلك . كما تولى (شمويل هلاوى بن نجرله) الوزارة فى غرناطة فى ظل الحكم الإسلامى ، وخـــلفه ابنه يوسف عام ١٠٥٥م فى الوزارة ، فتجرأ على السخرية من القرآن الكريم ، فثار المسلمون عليه وقتلوه ، وأرغم اليهود فى غرناطة على بيع أراضيهم ومغادرة الإمارة المسلمة فى غرناطة[٣٩] . جزاء فجورهم ، فلجأوا إلى المسيحيين يستثيرونهم على الإسلام والمسلمين .

جـــاء الموحدون إلى الحكم فى الأندلس ، فخيروا اليهود بين الإسلام أوالخروج ، فخرج الكـــثير منهم وتظاهر البعض بالإسلام . كان السر فى قوة المرابطين والموحدين ، أنهما دولتان قامتا على انقاض فساد وتآمر والهزامية فى صفوف المسلمين ، وتسلل يهودى فى عروق الدولة المختـــلفة وفى أجهـــزتها الإدارية الرئيسية ، وكأنما أحس اليهود بأن السفينة تغرق ، فعجّلوا بإغراقها ، لتكون لهم الحظوة فى دولة المسيحيين الأسبان[٤٠] .

انقلب اليهود على مسلمى الأندلس عندما ظهرت فى الأفق بوادر انحسار المدّ الإسلامى، فتحولوا إلى الأسبان وعاونوهم على المسلمين الذين تولوا حمايتهم بالأمس . ويبرر اليهود ذلك الســـلوك الغادر ، بأنهم غربيون أو أنهم أقرب إلى المسيحيين عن المسلمين . ويعلل المستشرق الفرنســـى (لويس سينيون) هذه الظاهرة اليهودية بأن العداء غير الطبيعى للعرب والإسلام يـــرجع إلى حسد اليهود للعرب على ما بلغوه من المجد واتساع الملك بالإسلام ، منكرين على العـــرب أن يختار الله رسوله صلى الله عليه وسلم منهم وأن يبلغوا بدينهم ما بلغوا من اتساع الملك[٤١] .

تـــولى ابن هود ، ملك غرناطة فى الأندلس حتى بداية القرن الثالث عشر ، فحاول بكل قوته إعادة النظام إلى تلك الوحدة الإسلامية الباقية فى الأندلس ، فهجم عليه محمد ابن الأحمر واشـــترك مـــع المسيحيين فى عهد فرناندو الثالث المسمى بالقديس بفرقة عسكرية فى حصار أشبيلية وهزيمة المسلمين بها . كان ابن الأحمر يتولى حصار القلاع والحصون الإسلامية ويطلب من المسلمين التسليم حقنا لدمائهم . وخلف ابن الأحمر ، ابنه عبد الله بن الأحمر الملقب بالفقيه، فنكّل بكل من نادى من المسلمين بالتخلص من التبعية القشتالية[٤٣] .

دخلت نهايات الحكم الإسلامي ومجده فى الأندلس عام ١٤٩١م عندما وقع المسلمون معاهدة الصلح مع المسيحيين الذين مثلهم الملك فرناندو والملكة إيزابيلا . وقد أجرى المفاوضات عن الجانب المسلم ، وزيرا أبوعبدالله بن الصغير : أبو القاسم ، وابن كماشة . وظل الأخير يفاوض الأسبان فى بيع قصره لهم ويسّوف فى بنود المعاهدة حتى قبل الأسبان شراء قصر المفاوض بثمن مغر(٤٤) .

ويهمنا هنا إيضاح بعض الحقائق عن المثلين المضروبين لليهود المتخفين تحت عباءة الإسلام. فبالنظر إلى تآمر ابن الأحمر على المسلمين وقتلهم ، كانت عادة اليهود قد جرت فى كل بلاد الدنيا على التسمى بأسماء الألوان إخفاء لهويتهم الدينية مثل : أسود - أبيض - أحمر - أصفر - أخضر - أزرق . وهى إحدى صفاتهم التى تبرز يهوديتهم الأصلية لنظرائهم من اليهود، وإن كانوا يتصفون بالتقيّة . ونجد فى المثل الثانى ، ما يؤكد يهودية "ابن كماشة " اسما وفعلا ، بما قام به من مقايضة مع الأسبان حتى فاز بما يريده من مال . ولايتصور إنسان أن مسلما فى مثل ذلك الموقف يفكر للحظة فى أى أمر من أمور الدنيا ، وإخوته من المسلمين المحاصرين ينتظرون معاهدة للصلح تعطيهم الأمان من الذبح . أما المفاوض الثانى ، فإن اسم "أبو القاسم " لايتخذه مسلم أبدا ، فهو كنية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد نهانا رسول الله عليه الصلاة والسلام أن يتسمى المسلمون بكنيته ، بل باسمه فقط(٤٥) .

وعودة إلى المعاهدة التى وقعت يوم ٢٥نوفمبر ١٤٩١م من سته وأربعين مادة ، تضمن للمسلمين حريتهم وعبادتهم وعملهم وتنظم أمورهم فيما يتعلق بالزواج وحقوق من اعتنقوا الإسلام من المسيحيين ، والعلاقات بين الطرفين . نجد أن المادة الرابعة والثلاثين من تلك المعاهدة نصت على : (وأن يتمتع اليهود من أهل غرناطة والبيازين وأرباضهما(٤٦) والأراضى التابعة لهما بما فى هذا العهد من امتيازات ، وأن يسمح لهم بالعبور إلى المغرب خلال ثلاثة أشهر تبدأ من يوم ١٨ ديسمبر)(٤٧) .

ولايخفى على كل مطلع على هذا البند من المعاهدة ان يدرك الدور الذى لعبه اليهود من خلال إبرامها ، باعتزامهم ترك الأندلس والعودة إلى المغرب ، تاركين النار مشتعلة بين المسيحيين والمسلمين بعد ان أوقدوها ورموا فوقها زيت غلهم وحقدهم على الطائفتين ، فكان ما كان من تذبيح للمسلمين أو إجبار على التنصّر ، أو الهروب من تلك المذابح إذا ما استطاع المسلم إلى ذلك سبيلا .

★ ★ ★

هوامش الفصل السابع

(١) انظــر (القبيلة الثالثة عشرة ويهود اليوم) أرثر كيستلر ص٧٩/٧٣ – وفيه وصف المشقة التى واجهها الوزير اليهودى ليراسل خاقان الخزر اليهودى. وانظر أيضا (حكومة اليد الخفية) لكونت سبرويدوفتيش ص٢٧/٢٦

(٢) انظــر كتاب(النبوءة والسياسة) جريس هالسل ترجمة محمد السماك ص٣٩/٤٠ ظهر ذلك الشعار عام ١٨٣٩ ونادى به اللورد أنطونى أشلى كوبر ، يحث فيه اليهود على الهجرة إلى فلسطين .

(٣) انظر كتاب (الإسلام الفاتح) د. حسين مؤنس ص٢٠ /٢١ .

(٤) انظر كتاب (أطلس التاريخ الأفريقى) كولين ماكيفيدى ص٧٩ /٨٠ .

(٥) انظر كتاب (الإسلام الفاتح) د. حسين مؤنس ص١٣٩/١٤٤ .

(٦) انظر كتاب (أطلس التاريخ الأفريقى) كولين ماكيفيدى ص٨٣ .

(٧) المصدر السابق ص٨٣ .

(٨) (الإسلام الفاتح) د. حسين مؤنس ص٩٣ /١٢٥ .

(٩) (أطلس التاريخ الأفريقى) كولين ماكيفيدى ص٩٥ .

(١٠) قبائل "الفولا" المنتشرة فى غينيا والساحل الغربى الأفريقى ، أغلبهم من العنصر العربى فى سماتهم ولونهم المماثل لأهل الصعيد المصرى ، ولازالوا يكتبون لغتهم بالحروف العربية وشديدوا التمسك بإسلامهم ويردّون أصلهم إلى مصر .

(١١) (أطلس التاريخ الأفريقى) كولين ماكيفيدى ص٣٥/٣٦ .

(١٢) المرجع السابق ص٨٣

(١٣) تنتسب قبائل "الماساى " فى منطقة البحيرات بحوض نهر النيل الأسفل ، نفسها إلى المصريين القدماء ، استنادا إلى تلك الهجرات المصرية التى جاءت من صعيد مصر .

(١٤) انظر كتاب (الإسلام الفاتح) د. حسين مؤنس ص١٥١/١٦١ .

(١٥) (أطلس التاريخ الأفريقى) كولين ماكيفيدى ص١٢٥/١٢٦ .

انظر كتاب (أفريقيا القديمة وإعادة اكتشافها) باسيل دافيدسون ص٣١/٣٥ ترجمة نبيل بدر وسعد زغلول .

انظر كتاب (عومان وشرق أفريقيا) أحمد محمود المعميرى – بالإنجليزية – ص٧/١٢ .

(١٨) المصدر السابق ص٤١ – يذكر المؤلف فى كتابه المطبوع عام ١٩٧٩ بأن العرب لم ينفردوا وحدهم فى التجارة مع شرق أفريقيا ، بل إن الفينيقيين استعانوا باليهود للتجارة مع سواحل شرق أفريقيا . لم يحدد

الكـــاتب كيفية التعاون ، ولكن التحليل المنطقى يقودنا إلى أن يهود يثرب واليمن كانوا هم الأقرب إلى الإبحـــار إلى مـــناطق شرق أفريقيا للتجارة مع الحبشة والصومال التى كانت معروفة بأنها ساحل التوابل ، وبالـــتداعى فإن اليهودية التى ظهرت فى بلاد الحبشة كانت فى ذلك الوقت على يد بعض أولئك اليهود الذيـــن أقـــاموا بها لموالاة عمليات التجارة واختلطوا بالأصول اليهودية القديمة فيها . فلايمكن تصور أن الفيـــنيقيين المقيمين على سواحل البحر المتوسط فى لبنان وسوريا البعيدة عن سواحل شرق أفريقيا يمكنهم الإبحار إلى أفريقيا الشرقية ، فلم تكن القارة الأفريقية قد اكتشفت طرقها البحرية بعد .

(١٩) انظر كتاب (الإسلام الفاتح) د.حسين مؤنس ص٣٣/٧٦ عن المسعودى فى (مروج الذهب) ج١ ص ١٥٤ ، وكتاب (العرب والملاحة فى المحيط الهندى) ترجمة د.يعقوب بكر ص٣٢٢ .

(٢٠) رؤيـــة غير المسلم لتصرّف المسلمين مغاير لإحساسهم . فإن الرحمة التى يحض عليها الإسلام ببنى البشر وكفالة الفقراء وكل السلوك الإسلامى لايعرفه من لم يتذوق حلاوة هذا الدين القيّم . تصوّر الهولندى أن مـــا قـــام بـــه المسلم الحضرموتى كان أولا بهدف نشر الدين ، وهو لايدرك أن ما فعله الرجل كان خلقا إسلاميا واجبا ، وهذا هو ما جعل غيرالمسلمين يرون فى تطبيق منهاجه تطبيقا صحيحا لاعتناق الدين .

(٢١) (الإسلام الفاتح) د.حسين مؤنس ـــ ص٤٢ .

(٢٢) المصدر السابق ص٧٦ /٨١ .

(٢٣) انظر كتاب (أطلس التاريخ الإسلامى) د. حسين مؤنس ص١٣٤/١٣٥ .

(٢٤) انظر (مختصر دراسة التاريخ) أرنولد توينبى ـــج٣ص١١٥/١٣٠ .

(٢٥) انظر (أطلس تاريخ الإسلام) د. حسين مؤنس ص١٨٨ .

(٢٦) المصدر السابق ص١٩٠ .

(٢٧) (مختصر دراسة للتاريخ) أرنولد توينبى ج١ ص٢٢٨.

(٢٨) انظر (البداية والنهاية) لابن كثير ج١٢ ص٥٩/٧١ وهى تشمل السنوات من ٤٣٧ إلى ٤٤٧ هجرية. عشـــر ســـنوات مستمرة من الاقتتال بين أهل السنة فى العراق وبين الروافض بسبب قيام اليهود بتنظيم جنازة أحد موتاهم أمام المسجد وحولهم طائفة من الأتراك تحرسهم فهجم السنية عليهم وانضمت الرافضة إلى أعداء السنية من الترك ، واستمرت المعارك على مدى السنوات العشر حيث قتل فيها خلق كثير .

(٢٩) المرجع السابق ج١٢ ص٥٣ .

(٣٠) المرجع السابق ج١٢ ص٤٨ .

(٣١) انظـــر الفصـــل الـــرابع من هذا الكتاب وما ذكره أحد الأساقفة السيريانيين ويدعى بارهبراءوس علم ١٢٨٦ وهو يهودى تحول إلى المسيحية ورسم أسقفا ، أن "توكاك " أبو سلجوق كان قائدا لجيش خاقان الخزر . واسم "توكاك " هو تحوير لاسم "بغاق " أبو سلجوق .

(٣٢) انظــر (الـبداية والنهاية) لابن كثير ج١٢ ص٥٦ ، وكذلك يعبر ابن كثير عن فرحة الإسلام بذلك العدد الكبير من الترك .

(٣٣) انظر (القبيلة الثالثة عشرة ويهود اليوم) أرثر كيستلر ص٣٢ .

(٣٤) اليهود السفارديم هم من اليهود الشرقيين . وأطلق عليهم الاسم أثناء إقامتهم فى شبة الجزيرة الأيبيرية ويعتــبرون أنفسهم الأتباع الحقيقيين للديانة اليهودية . فى حين أن اليهود الإشكناز - والاشكناز هو أحد أحفاد نوح عليه السلام - هم يهود الخزر والذين رحلوا منها إلى الأراضى الأوروبية التى يسكنها الجنس الجرمانى ، ثم تفرعوا فى النمسا والمجر وروسيا وهم يتحدثون لغة اليديش - لغة ألمانيا فى العصور الوسطى مختــلطة بالســلافية وتكــتب بالعــبرية . انظر فى هذا الشان (الموسوعة الفلسطينية) - منظمة التحرير الفلسطنية ج١ ص٢٥٧ /٢٥٨ دمشق ١٩٨٤ .

(٣٥) انظر (الإسلام الفاتح) د. حسين مؤنس ص٦٤

(٣٦) انظر كتاب (عالم الإسلام) د. حسين مؤنس ص٢٥٢

(٣٧) المصدر السابق ص٨٩

(٣٨) انظر الفصل الثالث من الكتاب (خاقان الخزر اليهودى)

(٣٩) انظر كتاب (اليهود تاريخا وعقيدة) د. كامل سعفان ص٣٩ / ٤٠

(٤٠) المرجع السابق ص٤١

(٤١) انظر كتاب (عالم الإسلام) د. حسين مؤنس ص٢٥٣ .

(٤٢) هــو محمــد بن يوسف بن هود الجذامى ، وكان قائدا عسكريا حاول أن يقيم دولة إسلامية من بقايا الأندلــس فقتل ، وتولى بعده محمد بن نصر ، فجاء ابن الأحمر وتآمر مع الأسبان واستولى على غرناطة . بقيت غرناطة هى الأرض المسلمة الوحيدة منذ ١٢٣٧م وحتى المعاهدة التى وقعت بالتسليم عام ١٤٩١ كثمن تقاضاة ابن الأحمر وخلفاؤه من الأسبان . انظر (أطلس تاريخ الإسلام) د. حسين مؤنس ص١٩٠

(٤٣) انظر كتاب (وتذكروا من الأندلس الإبادة) أحمد رائف ص٣٧/٣٨ .

(٤٤)انظر كتاب (عالم الإسلام) د. حسين مؤنس ص١٢١/١٣٤ جاء فى ذلك القسم من الكتاب تفاصيل المناورات التى قام بها ابن كماشة حتى حصل على الثمن الذى أراده عنه بيع قصره للأسبان من أجل إنهاء موافقته على المعاهدة .

(٤٥) قــال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " تسموا باسمى ولاتكتنوا بكنيتى " انظر (صحيح مسلم) ج٣ حديث رقم ٢١٣١ ص٥٤٨ كتاب الآداب - النهى عن التكنى بأبى القاسم .

(٤٦) الأرباض : القرى المحيطة بمكان .

(٤٧) انظــر كتاب (وتذكروا من الأندلس الإبادة) ص٨٥ إلى ٩٢ ـــ وقد أورد المصدر النصوص الكاملة لتلك المعاهدة .

الفصل السابع

اليهود والدولة العثمانية

تناول العديد من الكتاب تاريخ الإمبراطورية العثمانية منذ إنشائها وحتى فنائها وتقلصها إلى تركيا الحالية فى الحدود التى رسمت لها . وسواء أكان كتّاب التاريخ من الأتراك أو من الأجانب وخاصة الفرنسيس والإنجليز ، فإنهم تعرضوا لدور اليهود فى إنشاء تلك الإمبراطورية وتوسعها واستعمارها بمنتهى الحذر والهامشية . كان اليهود حريصين كل الحرص على عدم الظهور علانية فى الأحداث التى جرت فى تلك القرون من جهة ، فكان دورهم مغلفا بالتقيّة كعادتهم ، ومن ناحية أخرى فإن الصراع على تملك الأراضى وتوسيع رقعة الإمبراطورية العثمانية ، تم تصويره ثم تسجيله على أنه صراع بين الإسلام والمسيحية .

دين الإسلام فى سماحته وقوته الذاتية ، يستطيع أن يحيل الكافر إلى مؤمن بحادثة أو بمثل أو بفعل عارض . عندما يشاء الله عز وجل أن يشرح صدر مخلوق للإسلام ، فإن ذلك يتم فى غمضة عين ، ولاتعليل لهذا التحول إلا بما يقول الله عز وجل فى كتابه العزيز : ﴿ فَمَنْ يُرِدْ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾[1] . شهدت أراضى الأناضول ملاحم إسلامية حقيقية وسعّت من رقعة الإسلام فيها ، وتحول الكثير من سكانها إلى الإسلام اقتناعا بفضل ذلك الدين ، واقتداءا بالرجال المسلمين الذين نشروا دعوته على أسس من حرية العقيدة ، لاجبر فيهاولا طغيان ، بل قدوة حسنة يجد فيها الخلق أساسا لدين قيّم يعطى الحق لأصحابه ويحمى الضعيف من جور القوى ، فى عصر ومكان لم يكن يعرف سوى القهر والظلم والعبودية والاقتتال من أجل السطوة والمال وشهوة التملك .

شهدت الأناضول منذ أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الخلفاء الراشدين من بعده، غزوات المسلمين المستمرة للدعوة للدين . وبمعركة اليرموك الشهيرة عام ٦٣٩م ، لم تصبح

هـــناك أى عقـــبة تقف بين الأناضول والمسلمين بعد ضم ولاية سوريا البيزنطية إلى أراضيهم وأصبحت جزءا من الأمة الإسلامية .

وفى هـــذا المجال ، فإن المؤرخ أرنولد توينبى عالج ذلك الموضوع بشىء من التفصيل[٢] ليثبت أن أمر وجود " مسلمين مخلصين متديّنين أصلاء من بين أولاد الأجداد من ذوى الأصل غـــير المســـلم " يقتضى انقضاء ثلاثة أجيال حتى يتكونوا بذلك الشكل مشيرا إلى المسيحيين والمجـــوس عـــند التحول إلى الإسلام ، تقربا إلى الطبقة العربية الإسلامية الأصلية الحاكمة . والملاحظ أن ذلك المؤرخ الثقة ، لم يشر إلى اليهود فى موضوع التحول إلى الإسلام ، إما خوفا مـــنَ الخوض فى تفاصيل قد تثير عليه اليهود ، وإما اقتناعا منه بأن أغلبية اليهود الذين دخلوا الإسلام تظاهرا فى ذلك العصر لم يفرزوا غير اليهود وحسب .

شنت الجيوش الإسلامية فى عهود الخلفاء الراشدين – رضى الله عنهم وأرضاهم – وما بعدهم ، الحملات لفتح القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية ، واستمرت الحروب بين الجانبين لمـــدة قـــرن مـــن الزمان . غزوات إسلامية لنشر الدين ، ومقاومة شديدة من الإمبراطورية البيزنطية. فتح المسلمون مدن " قيصرية " و" صاموصات " ثم فتحت " ملطية " ، التى اتخذت قاعدة للإسلام فى الأناضول ، فى عهد خامس الخلفاء عمربن عبد العزيز رضى الله عنه .

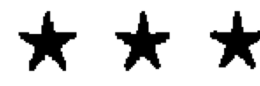
كـــان الـــبيزنطيون فى حـــربهم ضد المسلمين أشداء ، امتازوا بالقسوة ، فكانوا يقتلون بلا رحمة ويحرقون البيوت ويبيدون الزرع ويعملون السيف فى المسلمين[٣] وهى صفات لم يكن يتمتع بها سوى الخزر المتهوّدين ، فلا يمكن لأتباع السيد المسيح رسول السلام عليه السلام أن يقوموا بتلك الوحشية التى اتبعت مع المدن التى أسلمت فى الأناضول .

لم تـــتوقف فتوحات الأناضول حتى تلك المنطقة التى وصل إليها المسلمون ، بل امتدت حـــتى مدينة "بورصة" . قام المسلمون عام ٧٢٣م بالاستيلاء على قلعة "غلطة" فبنى عمر بن عـــبد العزيز رضى الله عنه مسجدا فيها – مازال يعرف حتى الآن باسم جامع العرب – وقام بتوقيع اتفاقية مع أمير اسطنبول بشأن إسكان المسلمين فى الأراضى المحيطة بها ، وأنشأ محكمة بعد ما قويت شوكة المسلمين ودخل أهل تلك المناطق فى الإسلام[٤] قام البيزنطيون بعد ستين عاما من تلك الاتفاقية ، بالهجوم فجأة على المسلمين والاستيلاء على مدخراتهم التى تكونت عـــلى مدى قرن كامل ، وخلال هذا الهجوم سقطت جميع أحياء المسلمين تماما وقتل من تبقى

فيها ، وكان عدد من دافع عنها من خيرة جنود المسلمين ما بلغ ثلاثة وعشرين ألف مسلم[٥] ، ينالون الشهادة إن شاء الله .

وصل خبر المذبحة إلى عاصمة الخلافة الإسلامية ، فجرّد الخليفة جيشا إسلاميا يقدر عدده بمائة وسبعين ألف جندى تحت قيادة عبد الله البطال ، الذى يعرف تركيا باسم (بطال غازى) والــذى استطاع ان يأسر ملك بيزنطة – قسطنطين – ويحاصر عاصمة بلاده . قتل (البطال) شهيدا فى معركة "آفيون " التى دارت خلال الحصار[٦] .

استطاع (عبدالله البطال)[٧] أن يمثل الغازى المسلم الذى يدعو إلى الدين ، بما جُبل عليه مــن خلق المسلمين الأوائل بالعدل ودماثة الأخلاق ، غير متطلع إلى حب الشهرة والثروة . لم يقاتل من أجل المغنم والمال والأراضى ، بل من أجل الشهادة فى سبيل الله[٨] .



استطاع أبو محمد عبد الله البطال ، أن يحوّل بإيمانه وشجاعته ، الكثير من سكان أراضى الأناضــول إلى الإســلام ، وتبعه فى تبنّى شريعة الغزو تحت شعار من أجل الدين الإسلامى ، آل الدانشمند[٩] الغزاة . كان أول ملوك الدانشمند هو أحمد غازى ، وهو المؤسس الأول لهذه العائــلة ، التى يعتبرها الأتراك امتدادا للغزو الإسلامى للأناضول . وقد اختلف المؤرخون فى حقيقة نسبه ، فسرت بين القوم شائعة أن نسبه ينحدر من سلالة بطال غازى – وهو أمر بعيد بالقطع من وجهة نظرنا ، وإنما مردّ ذلك إلى ترسخ صورة البطولة والغزو فى ذلك الــدانشمند – فقورن بالبطال – وقيل أيضا أنه من أحفاد عمر بن عبيد الله بن مروان آخر أمراء ملطية . وأرجعت بعض المصادر أن اسمه كان "تابلو " وأن خاله هو "سليمان بن قوتالمش "[١٠] .

انــتزع (دانشمند أحمد غازى) مدينة "ملطية " من البيزنطيين وتحول اسمه إلى اسطورة حــتى مات عام ١١٠٤ مقتولا . ويحكى تاريخه أنه نذر نفسه من أجل تعليم الدين للتركمان الذيــن اعتنقوا الإسلام حديثا[١١] . كان ذلك فى عام ٩٩٩ عندما أعلن عشرة آلاف تركى إسلامهم– كما سبق وأن ذكرنا فى الفصل السابق من هذا الكتاب نقلا عن المصادر الإسلامية.

فــإذا ربطنا بين نسب الدانشمند أحمد غازى الذى قد يرجع إلى سليمان بن قوتالمش ، أو قتــلميش – كما نطقه المؤرخون العرب – وهو الخزرى من نسل سلجوق ، وبين رعايته للعشــرة الآف تــركى – خزرى على أغلب الظن – الذين أعلنوا إسلامهم وانضمامهم إلى

السلاجقة ليعلمهم الدين بنفس لغتهم ، لعرفنا أن المؤرخين لم يهتموا أبدا بتوضيح تلك العلاقة التى تثير العديد من علامات الاستفهام حول السلاجقة وأصولهم وانتمائهم . لكن الإسلام – والله هو المطلع على القلوب . يستطيع أن يستقطب أشد الناس كفرا إلى حظيرته ويحولهم إلى جند من جنود الله عز وجل . كان دخول آل الدانشمند إلى الأناضول مواكبا لاستيلاء طغرل بك السلجوقى على بغداد عام ١٠٥٥م .

★ ★ ★

احتل السلاجقة الجناح الشرقى من الدولة الإسلامية وأنشأوا دولتهم بها ، وترعرعت فى أيامهم المذاهب الباطنية والفرق الخارجة على تعاليم الإسلام بهدف تفتيت وحدته والعبث بمعتقداته وإدخال البدع فيه . وزحف السلاجقة إلى الأناضول – فهم تحت راية الإسلام – إلى المناطق التى فتحها المسلمون من قبل ، وتوغل السلاجقة ومدوا سيطرتهم على جزء من الأناضول وكوّنوا دولة سلاجقة الروم . كان ذلك الأمر بسيطا بعد أن استطاع السلطان السلجوقى ألب أرسلان هزيمة الإمبراطور البيزنطى رومانس الرابع عام ١٠٧١م فى موقعة "ملاذكرد" فى أقصى شمال أذربيجان ففتح الطريق أمام قبائل الأتراك لتدخل آسيا الصغرى التى كانت تعتبر من أراضى الدولة البيزنطية . تدفقت جموع من الأتراك السلاجقة فدخلت آسيا الصغرى – عقب انتصار ملاذكرد – واستقرت فى شرقها وأنشأت سلطنة سلجوقية عرفت باسم سلاجقة الروم . كان أول سلطان لهم هو "قلج أرسلان " . وتوسع السلاجقة الروم فى الأناضول حتى " قونية " التى صارت عاصمة لدولتهم [١٢] .

ويعترف كل المؤرخين وعلى رأسهم عاشق باشازادة مؤلف كتاب (أخبار لاحقون) ، بوجود عدة روايات عن بدايات نشأة الدولة العثمانية ، لكنه رجح وكذلك المؤرخ الفرنسى روبير مانتران فى كتابه (تاريخ الدولة العثمانية)[١٣] النشأة الأولى للدولة العثمانية بنزوح أرطغرول السلجوقى إلى آسيا الصغرى مع أخوية : سنكرتيكين وجوندوغدو ، رفقة والدهم سليمان شاه ومعهم أسرهم وأغنامهم . ولم يحدد المؤرخون عام ذلك النزوح ، ولم يحدد المؤرخون عودة سليمان شاه – الذى مات غرقا فى رحلة العودة – وابنيه إلى تركستان ، تاركين أرطغرول ومعه أربعمائه خيمة من أتباعه فى أرض الأناضول . وقد أوفد أرطغرول ابنه صاروياتى رسولا إلى سلطان السلاجقة الجديد علاء الدين – ولم يحدد المؤرخون أيضا اسم سلطان السلاجقة فهناك ثلاثة منهم تسمّوا باسم علاء الدين – ليمنحه قطعة أرض ليقيم قومه

فوقهـا يـرعون الأغنام ويعيشون عليها ، فمنحه السلجوقى بلدة "سيوط " كأرض خاضعة لأرطغرول وذريته من بعده ، وخصص له بعض الأراضى لتكون مزارع صيفيّة لأغنامه .

مـات أرطغـرول ، فتولى ابنه عثمان قيادة القبيلة وعقد علاقات مودّة مع بعض أغنياء البيزنطيين ، وعلى الرغم من ذلك فإن حاكم (اينجول) المسيحى حارب عثمان وقبيلته وقتل أخـاه صـارورياتى ثم ابنه . ولم يحدد التاريخ كيف ولماذا قتل الابن الأكبر لأرطغرول وكذلك ابـن صـارورياتى ؟ هل ليخلو الجو تماما لعثمان كى يتولى قيادة الإمارة ؟ كانت الإمبراطورية العـثمانية هى أول من عرف نظرية القتل السـياسى ، وقتل الأخ لإخوته حتى يتولى الحكم وحده [١٤] . وقاد عثمان جيشه لينتقم لمقتل شقيقه وولده فهزم الحاكم البيزنطى واستولى على إمارتـه (إيـنجول) فأنشأ مدينة جديدة حوّل كنائسها إلى مساجد وأنشأ سوقا تجتذب إليها سكان البلاد المحيطة بالمدينة فى أراضى بيزنطة .

يحكـى التاريخ[١٥] أن رجلا يدعى "قص ميخال "[١٦] كان مستشارا وجاسوسا لعثمان فأقـنعه بغزو إمارة "نيلوفر" المسيحية ، وأن يزوج ابنه من ابنة حاكمها المسيحى بعد قتله وقد نفـذ عـثمان ما أشار به ذلك المستشار . واستمر عثمان فى نزاع مستمر مع المدن البيزنطية المجـاورة لإمارتـه ، بعد أن اكتشف قوته ، والتهى به الأمر إلى انضمام الكثير من المغامرين الباحـثين عن الثروة إلى قواته . استطاع عثمان أن ينجح فى تجميع جموع من ملوك التركمان الذيـن هـربوا من المغول والمطرودين من سكان مدن هضبة الأناضول ، والذين تجمعوا على الحدود الغربية للدولة السلجوقية بحثا عن مناطق جديدة ، وأن يسخرهم لخدمة سياسة الحرب والغـزو الـتى مارسها بنجاح شديد[١٧] . ويذكر التاريخ أيضًا[١٨] ، أن عثمان وجيشه كان ينقلب على جيرانه المسلمين إذا هنا أثاروا ريبته . واستطاع عثمان أن يوسّع إمارته إلى (إزميت) ثم يستولى على منطقة "كاتويكيا " .

مات عثمان عام ١٣٢٣م – وهو تاريخ اتفق أغلب المؤرخين على أن سلطته قد انتهت فى ذلـك العـام إما بموته وإما باعتزاله – فتولى ابنه أورخان الحكم[١٩] ، وبدأه بفتح مدينة "بورصا " البيزنطية المنيعة . ولم ينته عام ١٣٦٢م إلا وكان أورخان قد استولى فتحا على آسيا الصغرى . وكانت دولة السلاجقة قد تفككت إلى إمارات متعددة .

وقـد ركزت الكتب التاريخية على إظهار عثمان وأورخان فى صورة زعيمين لايهدفان إلا لنشـر الديـن الإسـلامى والقضاء على الكفار والعصاة الذين لايريدون الإذعان لرفعة

الإسلام ، فكتب الأتراك على قبر أورخان : " سلطان المشاركين فى الجهاد والمجاهدين فى سبيل الله " . ويؤكـــد التاريخ العثمانى كذلك ، أن الأتراك الذين عبروا الدردنيل فى الشطر الأول مـــن القرن الرابع عشر ، وضعوا أنفسهم فى خدمة البيزنطيين(٢٠) . مما يعكس التناقض حول هؤلاء الغزاة وحقيقة أصلهم ومعتقداهم .

" وعـــلى الجـــانب الأخر من تقدم الفتح العثمانى فى أراضى الدولة البيزنطية وإسكان المســـلمين فى تلك الأراضى ، جاء التركماليون يؤيدون التقاليد التركية ويفصحون عن دين إسلامى شعبى، يمكن وصفه بأنه مهرطق مثل : تقديس علىّ وإجلال الأئمة الاثنى عشر وعقد اجتماعات سرية تلقينية "(٢١) . ذلك ما كتبه المؤرخ الفرنسى روبير مانتران ، ويستطرد قائلا إنه فى سجل الأوقاف الخيرية عام ١٤٥٥م ، يتمتع العديد ممن يحملون لقب بابا – وهو لقب يمنح لكبير الهراطقة – بالأراضى والأملاك بمراسيم صادرة من أورخان .

ويذكـــر المؤرخ الفرنسى أسماء هؤلاء البابات : أرميز بابا – زكريا بابا – صارو بابا – قرّة بابا – إلياس بابا – والأخير كانت آراؤه الهدّامة سببا فى فتن متتالية بين المسلمين فى ذلك العهد وعلى أرض الدولة العثمانية .

ولايمكن من باب المصادفة أبدا أو من التماثل ، أن تكون من بين مواد التلمود – كتاب اليهود الأكثر تقديسا من التوراة – تلك المواد التى وضعها (بابا مزيا) و(بابا كامّا) . والأمثلة هى من نصوص التلمود نفسه(٢٢) :

– بابا كامّا ٣٧ ب – غير اليهود خارج حماية القانون وأن الله أباح أموالهم لإسرائيل .

– بابا مزيا ٢٤ أ – إذا وجد يهودى شيئا مفقودا لغير اليهودى فهو غير ملزم بإعادته .

– بابا كامّا ١٣٣ أ – اليهود يمكنهم الكذب للإحاطة بغير اليهودى .

وبالمقارنـــة ، فـــإن مجموع (بابا) العثمانيين مماثلون لمجموع (بابا) اليهود من واضعى التلمود . البابا اليهودى يحض اليهود على كراهية غير اليهود ، والبابا العثمانى يحض المسلمين على كراهية الإسلام كخطوة أولى على طريق الكفر بذلك الدين القيّم .

وإلى جانب البابات ، وجد من يسمون بالدراويش ، وهم هراطقة يتخذون من الإسلام ستارا لنفث البدع فى ذلك الدين القيّم ، وكان من أهم طقوسهم حلقات الرقص التى ينصبونها فى القرى وما يسميها الأتراك (حلقة الدوران) . يقول المؤرخ مصطفى أوغلو(٢٣) " إن هؤلاء

الدراويش هاجروا إلى الأمارات الساحلية بعد الهيمنة السلجوقية على الأناضول ، وأنهم سببوا مشكلة للحركة الإسلامية الأناضولية عن قصد .

إن البحوث القليلة التى أجريت فى هذا الموضوع تشير إلى أن الإسلام المتجذر فى بلاد ما وراء النهر و خراسان كان موالفا بعقائد أخرى . فلقد كانت العوامل النفسية الاجتماعية الكامنة فى أساس ظهور هذه المشكلة على يد شخصيات الصوفية للإسلام والتى انتشرت فى هذه المناطق متنوعة بدرجة كبيرة . ومن المعروف أن الإسلام فى مثل هذه البلاد كان يحمل طابعا هرطقيا ، فانتقلت إلى الدين الإسلامى بعض العقائد القومية والبقايا الثقافية ، كما كان المفسرون الصوفيون للإسلام يتسامحون بدرجة زائدة تجاه ذلك البناء المختلط . ويستطرد الكاتب التركى[٢٤] بأن جماعة الدراويش "الدرويشان " احتلت مكانا بارزا فى جميع الثورات التى حدثت ضد الدولة المنظمة فى الأناضول . بل كانت تقودها بنفسها وأن الصوفية فى الأناضول استندت على إطار خارج عن الشريعة فكادت العناصر والعقائد والثقافة غير الإسلامية أن تلتهم وتقضى على العقائد الإسلامية ، وتحدثت عن العقيدة "الشامانية "[٢٥] بمفاهيم إسلامية وكادت تظهر شخصية عجيبة إلى الوجود .



بدأ صعود العثمانيين مع تولى مراد الأول ابن أورخان الذى استطاع إبعاد إخوته وتولى الحكم العثمانى فاستطاع أن يضيف إلى الإمارة مدنا بيزنطية وتحالف مع الحاكم البيزنطى جان الخامس الذى أصبح وكأنه تابعًا للعثمانيين[٢٦] . وجاء يايزيد الأول فأزاد من سلطان الدولة العثمانية فى الوقت الذى بدأ فيه انهيار السلطة فى بيزنطة . ولعل الإنكشارية – القوات الجديدة – هى السمت المميز لحكم مراد الذى أنشأ ذلك النظام بتكوينه الفريد ، من الأسرى صغار السن من غير المسلمين الذين يدربون تدريبا عسكريا خاصا تابعا للسلطان وولائهم له وحده[٢٧] .

ويستحق تاريخ الإنكشارية فى الدولة العثمانية وقفة منا ، لنذكر أن مبتدعيها هما : خليل جندرلى – رئيس الجند فى عهد مراد – والآخر "عالم " اسمه قره رستم – مجهول الهوية – واقترح الثانى على الأول أخذ خمسة الأسرى من الأطفال وتدريبهم ليصبحوا جنودا للسلطان . وعلى مدى قرن من الزمان ، حل الباشوات المنحدرون من أصل "العبيد" ، محل الأسر العريقة التى صفيت واحدة تلو الأخرى . وتطور نظام الإنكشارية إلى ما يعرف بنظام "الدروشيرمه "

واستخدام رجاله فى عمليات القتل السياسى ، وكان منهم الصدور العظمى – رؤساء الجند – ويقال إن الصدر الأعظم رستم باشا كان راعيا للخنازير ويدين بالمسيحية[٢٨] .

مـات بايزيد وهو أسير فى أيدى المغول الذى حاربهم فى انقره عام ١٤٠٢م وخلفه ابنه محمد شلبى الذى عرف باسم محمد الأول وحمل لقب سلطان عام ١٤١٣ بتصريح من الخليفة فى مصر. ولعـل أهم الأحـداث التى واجهت ذلك السلطان ، هى ثورة المهرطق بدر الدين – تلميذ إلياس بابا – الذى كان على علاقة مع بورقلوجى مصطفى ، وتورلاق – الذى تشير الـروايات العـثمانية إلى أنه يهودى[٢٩] – ضد محمد الأول الذى استطاع القضاء على تلك الثورة التى تزامنت مع الثورة الأخرى فى إمارة الجندرلية بزعامة دوزمه مصطفى ، وتمكن محمد الأول من القضاء عليها أيضا .

وشهدت السنوات التالية منذ تولى مراد الثانى الحكم عام ١٤٢١م ، حروبا مستمرة مع البـندقية والمجر والألبان والكرمانيين . حتى جاء محمد الثانى أو " محمد الفاتح " الذى استطاع فتح القسطنطينية فى ٢٩ مايو ١٤٥٣منهيا وجود الإمبراطورية البيزنطية . وانطلق محمد الفاتح فى ربوع الدولة البيزنطية ، فضم أجزاء من مولدافيا والمجر وبلغاريا وصربيا واليونان وألبانيا ، وأصبحت الإمارة العثمانية التى بدأت بمجموعة من الترك وقطعان الأغنام ، إمبراطورية هائلة يعمـل لها ألف حساب من جانب المسيحيين الأوروبيين ، الذين اعتبروا القضية : هى زحف المسلمين للقضاء على المسيحيين . ذلك ما صوره لهم اليهود .

تعمّد محمد الفاتح أن يجعل نهاية طموحاته هى إقامة إمبراطورية عثمانية لاتتجاوز حدودها النطاق التاريخى للمسيحية الأثوذكسية عدا روسيا ، فقاوم كافة المغريات للاعتداء على أملاك المسـيحية الغـربية أو إيران[٣٠].. لكن سليم القاسى الذى تولى الحكم عام ١٥١٢م ، حطم سياسة محمد الفاتح واتجه إلى استعمار الأقاليم الإسلامية ، فاستولى على الشام ومصر ، ودخل فى قـتال بحـرى وبرى مع البرتغال بدعوى الدفاع عن الإسلام . ودخل العثمانيون الحروب المتواصلة مع الدول المختلفة لطردهم من الأراضى الأوروبية وتحويل تلك الإراضى إلى أقاليم خاضـعة للعـثمانيين الذيـن أعلنوا أن سلطانهم هو خليفة المسلمين فى تلك الولايات ، فقام الأسـطول العثمانى بغزو سواحل طرابلس حيث كانت تحت سيطرة أسبانيا ثم منظمة فرسان القديـس يوحـنا ، وأعلنوا ليبيا ولاية عثمانية واتخذوا من طرابلس قاعدة للأسطول العثمانى فى البحر المتوسط ، ثم استولى على تونس والجزائر فيما بعد .

مـــارس العـــثمانيون فى ليبيا - مثلها مثل الأقطار الإسلامية التى غزوها - أشد أنواع التـــنكيل والسرقة والنهب والاغتصاب بين أهلها المسلمين ، وكان أعتى الولاة العثمانيين على ليبيا هو عثمان باشا الساكسلى الذى لم يول من حاشيته متأصلا فى الإسلام منصبا ، وأحيا سُنة "عملوق بن طسم " فى الأرض الليبية[٣١] . وقد استخدم السلطان سليم لهجة شديدة فى تهديده لآخـــر حكـــام المماليك فى مصـــر - طومانباى - حيث كتب له يقول : " إنك مملوك تباع وتشـــترى ولاتصلح لك ولاية ملك ، وإذا رفضت الإذعان لى فإننى سأدخل مصر وأقتل جميع من فيها من مماليك وأشق بطون الحوامل لقتل الجنين الذى فى بطنها من المماليك "[٣٢] . ودخل العـــثمانيون القاهرة فقتلوا المماليك والمصريين ونهبوا المدينة عام ١٥١٧. وفعلوا بها كل أنواع الفظائع والأهوال .

وليـــس المجال هنا لشرح تفاصيل قيام وحكم الإمبراطورية العثمانية ، وتفاصيل احتلالها للأراضى الأوروبية تحت راية الإسلام ، ولايسمح المجال أيضا لسرد تفاصيل الاستعمار العثمانى للأراضى المسلمة والتنكيل بالمسلمين فى وحشية وظلم يتعرض المسلمون لهما دائما على مدى عصور التاريخ منذ الدعوة المحمدية وحتى أيامنا الراهنة ، لكن الله عز وجل يحفظ بقدراته هذا الدين القيّم ولو كره الكافرون . هذا هو السر العظيم فى استمرارية هذا الدين رغم كل المحن الـــتى ألمـــت بـــه . ووراء كل مأساة يتعرض لها المسلمون ، نجد أصابع اليهود فيها رغم كل محاولات الاختفاء والتقيّة التى يتبعونها .

ولعـــل مـــن المفيـــد فى هذا المجال أن نذكر عدة وقائع تاريخية ، قد تشرح ما نرمى إليه مـــن تـــأكيد الوجـــود اليهودى المكثف فى الإمبراطورية العثمانية منذ قيامها وحتى نهايتها . ثم التعرض بعد ذلك إلى الدور الذى لعبه اليهود فى نطاق تلك الإمبراطورية لدعم الصهيونية وخلق الوطن اليهودى بزرع إسرائيل وسط هذا الموج المتلاطم من المسلمين حولهم .

★ ★ ★

قبل أن نسترسل فى الحديث عن الأثافى التى ارتكبها اليهود العثمانيون ، بالعبث فى دين الإسلام ، لابد لنا من وقفه تاريخية قصيرة . فلقد دب الانحلال فى الإمبراطورية العثمانية إبّان عهـــد مراد الثالث الذى انشغل بمجالس الشراب فى منتصف القرن السادس عشر وتغلغلت الباطنية: الحروفية - الحشاشون (الاسماعيليون) - البابائية (البهائية) القلندرية - الحيدرية . وكـــانت تـــلك الطـــرق تتملق الحكام وخاصة حاكم أذربيجان الذى زار أحد زعماء تلك

الطوائف فى أردبيل ويدعى خوجة على ومنحه القرية وما حولها . وذلك الرجل هو جد الصفويين الذين أسسوا دولة الصفويين الشيعية فى إيران والتى أصبحت فيما بعد العدو الأول للإمبراطورية العثمانية فى ذلك العهد(٣٣) .

سارت جميع الطرق الباطنية الأخرى على منوال الجماعات السابقة ، وعملوا على استمرار وجودهم تحت اسم الطريقة البكتاشية ، وكان شيوخها لايرون بأسا ولا حرجا فى استعمال المشروبات والمخدرات ورفع التكاليف الدينية عن أنفسهم وعن أتباعهم حتى إن بعضهم كان يدعى أن قوانين الشريعة لاتنطبق عليهم ولاتتعلق بهم وأن جميع أنواع الزنا مباحة (٣٤) .

سبق لنا الربط بين اليهود والطرق الباطنية فى الإسلام . أما وقد أصبحت تلك الطرق هى المهيمنة على أمور الإمبراطورية العثمانية ، فلنطلق نظرة سريعة على أحوال اليهود بها خلال تلك الفترة . يقول روبير مانتران فى تاريخ الإمبراطورية العثمانية(٣٥) : " إن اليهود الذين وصلوا بأعداد كبيرة إلى بلاد الباب العالى جاءوا من شبه الجزيرة الأيبيرية بعد مرسوم الطرد الذى أصدره الملكان الكاثوليكيان - فرناندو وإيزابيلا - فى ٣١مارس ١٤٩٢ ، ومن جنوبى إيطاليا بل ومن بلاد جيرمانية . كانت مدينة سالونيك التى يغتبر أكثر من ٦٠ % من سكانها يهود ، سوف تصبح فى القرن السادس عشر المتروبول اليهودى الأكبر فى الإمبراطورية العثمانية . أما مدينة "فالونا " فكانت أيضا من المراكز الهامة لليهود الذين بلغ عددهم نحو ٣٦ % من السكان فى بداية القرن السادس عشر . وكان فى كل مدينة عثمانية عدد معين من الجاليات اليهودية القادمة من الغرب ، وذلك تبعا للأهمية الاقتصادية لكل مدينة ". ويعلل الكاتب أن سياسة السلطان العثمانى المحابية لليهود وترحيبه بهجرتهم إلى الإمبراطورية العثمانية تجد تفسيرها فى رغبة السلطان فى محاربة الدور الاقتصادى للأرمن واليونانيين .

ولنضرب للقارىء عدة أمثلة عن الإفساد اليهودى الذى الحق بالإسلام(٣٦) أضرار . كبيرة . ذكر الجبرتى شيخ المؤرخين المصريين فى أحداث عام ١١٠٦ هجرية (١٦٩٥م) "أن (يوساف اليهودى) كان ملتزما بدار الضرب - سك النقود - فى دولة على باشا المنفصل ، فطلبوه فى اسطمبول وسئل عن أحوال مصر فأملى أمورا والتزم بتحصيل الخزينة زيادة عن المعتاد . ولما حضر مصر تلقته اليهود من بولاق وأطلعوه إلى الديوان وقرئت الأوامر التى حضر بها ووافقة الباشا على إجرائها وتنفيذها وأشهر النداء بذلك فى شوارع مصر . احتج الناس

والـــتجار والأعيان إلى الأمراء وركب الأمراء إلى القلعة وفاوضوا الباشا وسألوه أن يسلمهم اليهودى فامتنع فأغلظوا عليه وصمموا على أخذه ، فأمر الباشا بأن يوضع اليهودى فى سجن القـــلعة خشية عليه من الأمراء حتى ينظر فى أمره " وتنتهى قصة الجبرتى بأن الجند الذى قاموا بحراســـة اليهودى ، قتلوه ورموا بجثته إلى الطريق . وما سبق كان برهانا على ما كان يتمتع به اليهود فى ظل الخلافة العثمانية على مصر وما فعلوه بهذا الشعب المغلوب على أمره .

ونـنـــتقل إلى ذكر كارثة وردت فى تاريخ الجبرتى دون تعليق من جانبه ، توضح كيفية تسريب العثمانيين اليهود دعاة الفتنة إلى مصر . يقول الجبرتى[٣٧] :

"نزل مرتضى الحسينى الزيدى الحنفى الذى كان يكنى بأبى الفيض إلى مصر عام ١١٤٥ هجـــرية (١٧٣٦م) وكـــان غريـــبا على غير صورة العلماء المصريين وشكلهم ويعرف اللغة الـــتركية والفارسية ولسان أهل الكرج[٣٨] " ويقول الجبرتى : " شرع فى إملاء الحديث على طـــريق السلف فى ذكر الأسانيد والرواة المخرجين من الحفظة على طرق مختلفة، وأخذ بعض عـــلماء الأزهر عنه فاشتدّ صيته وخاصة بين المغاربة الذين كانوا يحضرون إلى مصر فى طريقهم إلى الحج " . ويشرح الجبرتى كيف أن ذلك الرجل كان يدوّن كل ما يقوله المغاربة عن بلادهم وأهلهم وعاداتهم والأحداث التى تمر بهم هناك . وكان إذا جاءه مغربى يسأله عن بلده ، ثم يبدأ ذلـــك الرجل فى سرد الحقائق عن بلدة المغربى التى سمعها من آخرين فينبهر المغربى بما يقوله . ويـنـــتهى الأمـــر برواية الجبرتى عن ذلك الرجل بأن المغاربة أصبحوا يسجدون أمامه اعترافا بفضـــله وعـــلمه وانكشـــافاته . ويحكى المؤرخ أن ذلك الرجل مات فاستولت زوجته الثانية واخوالها على كنوزه التى ظلوا ثلاثة أيام يغرفون منها ويخفونها . وهذا التاريخ لايدل إلا على ، الهـــرطقة التى بعث بها العثمانيون إلى كل أقطار الأمة الإسلامية ، وكانت منهاجا أساسيا فى سياسة اليهود لتخريب الدين الإسلامى فى الأقطار التى غزاها واستعمرها العثمانيون ، وامتدادا لسياسة الباطنية التى زرعوها فى الأمة الإسلامية من قبل . ويذكر الجبرتى فى سياق سيرة ذلك الـــرجل أنه أرسل مرة إلى (احمد باشا الجزار) – والى عكا السفاح – مكتوبا ذكر له فيه أنه المهدى المنتظر وسوف يكون له شأن عظيم ، فكان الجزار يعتبر ذلك الكتاب حجابا يعلقه فى صدره[٣٩] .

ويحكـــى الجبرتى[٤٠] أن تاجرا كان يبيع الخردة والياميش فى خان الخليلى يدعى يوسف أفـــندى وكان من المتصوّفة الأتراك الذين يعظون ويقرأون باللغة التركية ، سافر إلى الأستانة

بعـــد مـــوت شيخ رواق الأروام بالأزهر ، وعاد إلى القاهرة ومعه ولاية على نقابة الأشراف ومشيخة المدرسة الحبّانية .

★ ★ ★

ويذكر الجبرتى أن ذلك المدّعى تولى نقابة الأشراف – بيت آل رسول الله صلى الله عليه وسـلم – بمعاونة بعض سفهائهم فنقم عليه أعضاء الطائفة وعزلوه وولوا مكانه السيد حسين أفندى فأراد يوسف قتله بوضع السم فى شرابه فشربته ابنة يوسف فماتت فسافر يوسف أفندى إلى اسـتنبول وأقام هناك . لم يوضح الجبرتى أصل ذلك المدّعى ، الذى على مايبدو أنه أراد إعادة سيرة "الفاطمية " اليهودية إلى الحياة فى ذلك العصر بادّعاء نسبه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومـن المعـروف تاريخيا[41] أن زعماء البابية – البهائية – عاثوا فسادا فى إيران إلى حد محاولة قتل شاه إيران ناصر الدين شاه ، فتدخلت الدولة العثمانية لدى إيران حتى لايعدم البهاء وأخـوه يحيى الملقب بصبح الأزل ، فقررت إيران نفيهم إلى "أدرنه " فأخذ كل من الشقيقين يدعـو لنفسـه ، وتقـاتلا فى الأسْواق فنفى البهاء إلى عكا – حيث قـبره الذى يحـج إليه البهائيون – ويحيى إلى قبرص حيث مات .

تـلك نماذج من رعاية الإمبراطورية العثمانية ، للفرق الباطنية . ولايتسع المجال ، الذى يحتاج إلى آلاف المجلدات لذكر أفعال الباطنية والتقيّة اليهودية التى تسللت تحت عباءة الإسلام إلى هذا الدين القيّم ، الذى حفظهُ الله ويحفظه إن شاء الله حتى يوم الدين .

★ ★ ★

احتلت مدينة "سالونيك " – التى تقع الآن فى اليونان ، وكانت إحدى المدن العثمانية – مكانـا مرموقا فى تاريخ التمركز اليهودى وانطلاقة إلى كل بقاع الأرض . ورأينا كيف كانت أغلـبية سكانها من اليهود . يرجع السّر فى ذلك إلى عام ١٦٧ق.م . عندما ألغى " انتيكوس أبـيجانس " حاكم الإسكندرية وفلسطين اليونانى ، الدين اليهودى وحاول أن يستبدله بدين اليونـان وأجـبر الشعب على عبادة آلهة اليونان . وخلال تلك الفترة أصبح جزء من اليهود يونـانيين فـتم ترحيلهم إلى سالونيك ، بينما أخفى الباقون ديانتهم اليهودية وكونوا فى السرّ (حركة المكابيين)[42] .

وذكـــر علماء الحملة الفرنسية على مصر فى كتاب (وصف مصر)[٤٣] أن نقل الحضارة المصرية إلى الإغريق تم عن طريق قبائل البدو الرحل الذين عاشوا فى مصر قبل طردهم منها . وهـــو شـــىء يستحق وقفة من الأساتذة المؤرخين الذين يستطيعون تأييد ذلك أو نفية ، لكن الكـــتاب أورد نـــص خطاب المؤرخ يوسفوس[٤٤] – المرسل من ملك الأسبطيين إلى أريوس أونياس[٤٥] كبير أحبار يهود الإسكندرية يقول فيها : " حيث إن وجدت فى بعض النقوش أن اليهـــود وأهل " لاكيدا يمونيا " – اليونان القديمة – ينتمون لجنس واحد وأن الأخيرين ليسوا بغرباء عن نسل إبراهام . لذلك فمن الأوفق مادمنا إخوة أن تطلعونا على كل ما ترغبون فيه ، ونحن من جانبنا سنفعل الشىء ذاته ، ولسوف نعتبر شئونكم مثل شئوننا سواء بسواء . وبالمثل ســـوف تكـــون بيننا وبينكم علاقات مشتركة وأن "ديموتيليس " الذى يحمل هذه الرسالة هو الذى سيقوم بحمل رسائلنا وهذه الرسالة مدونة فى صفحة مربّعة الشكل وتحمل خاتما هو عبارة عن نسر يصارع ثعبانا " .

مانـــريد تبيانه ، أن " سالونيك " كانت منذ فجر التاريخ ، هى أحد مراكز اليهود الهامة التى تحافظ على إيجاد الصلات مع كل اليهود المشتتين فى كل بقاع المعمورة ، وهى التى تخطط لهم العمل وتساعدهم . ولسوف يتضح الدور الذى لعبه يهود تلك المدينة العثمانية فى تفتيت – أوصالها وإعدادها لتكون هى معبر اليهود إلى فلسطين ، حلم "داود ال روى " الذى ادّعى أنه المسيح المخلص وكان من قبائل الخزر المتهودة والذى قاد حملة "صليبية يهودية " رفع فيها درع داود – عليه السلام – المسدس الشكل .

لم يكـــن داود آل روى – ابـــن الروحى – أول مـــن ادّعى ذلك ، بل سبقه ستة من اليهود[٤٦] :

– تيوداس عام ٤٤م – وقتله الرومان .

– بارقوخـــبه عـــام ١٣٢م – الـــذى أعـــلن أنه الملك المسيح المخلص المنتظر وناصره كبير الحاخامات .

– راباى عقيبه – وقتله الرومان

– موشى (فى جزيرة كريت) أخذ ذهب اليهود وأمرهم برمى أنفسهم فى البحر واختفى .

– سرنه – يهودى سورى ٧٢٠ م ، وعد قومه بالطيران بهم إلى فلسطين .

– أبو عيسى الأصفهانى – إيرانى – خلال الدولة العباسية .

– يودجان – إيرانى – خلال الدولة العباسية .

وجاء دافيد آل روى – ابن الروحى – عام ١١٤٠ حيث قتله حموه بإيعاز من الأحبار خوفـــا مـــن إثارة المسلمين والمسيحيين فى العراق[٤٧] . وجاء بعده من المدّعين بأنهم المسحاء المنتظرون : أبراهام أبو العافية – نسيم بن أبراهام – آشر لملايين – دافيد روبنى – إيزاك لوريا – حاييم فيتال . وكان آخرهم اليمنى اليهودى شكر القحيل عام ١٨٦٨ الذى قطعت رأسه وأرسلت إلى استنبول .

أما "شبتاى زيفى " ، الذى ظهر فى مدينة "أزمير " عام ١٦٢٦ ومات بها عام ١٦٧٦ ، فهـــو الداهيـــة اليهودى الذى أسس مبدأ (الدونما) فى الإمبراطورية العثمانية[٤٨] . فقد قام شبتاى برحلات إلى فلسطين ومصر ووجد فيها مؤيدين لدعوته ، فانتظر أتباعه إعلان المسيح للحرب وإنشاء الدولة ، لكنه قدم إلى المحاكمة فى استنبول ، وهناك أشار اليهود عليه بأن يعلن إسلامه ، فأظهره وتسمي باسم "محمد أفندى " ، وادعى بأنه سوف ينشر الإسلام بين اليهود ، فأرســـل إلى ألبانيا حيث مات بها بعد أن منع من دخول أزمير . وقد ترتب على موته انقسام أتباعه إلى ثلاث مجموعات يهودية كبيرة :

١ – الأزميريون : ويعتقدون أن موته غير حقيقى بل ظاهرى وينتظرون عودته .

٢ – اليعاقبه : ويعتقدون أنه عندما مات شبتاى آلت دعوته إلى أخيه يعقوب وأنه سيرجع يوما ما ويرأسهم .

٣– الدونمـــا[٤٩] : ويؤمـــنون أن شبتاى زيفى أسلم فى الظاهر وبقى متمسكا بدينه اليهودى حقيقـــة . فكانوا يهودا يتصرفون كالمسلمين فى الظاهر ويتسمّون بأسماء إسلامية ويقيمون الشعائر الإسلامية كلها ، لكنهم كانوا يسيرون على أصول دينهم اليهودى خفية ويتبعون الأوامر والنواهى فلا يعملون يوم السبت وإذا ما توفى أحد أقاربهم مزقوا قمصانهم وجلسوا على الأرض شهرا كما يأمرهم بذلك أحبار دينهم اليهودى .

لقد استطاع اليهود الذين صالوا وجالوا فى أنحاء الدولة العثمانية ، أن يمدوا نفوذهم إلى دول البـــلقان الـــتى فـــتحها العثمانيون ، وتسللوا فرادى إلى الدول الأوروبية من قاعدتهم ســـالونيك ، واســـتطاعوا خـــلال فترة وجيزة استعادة وجودهم فى أوروبا مرّة أخرى بكثافة

وتركيـز . وقـد وصـفت " الليدى مارى ورتلى مونتجيو " أحوال اليهود فى الإمبراطورية العثمانية وصفا بليغا يمثل حال تلك الدولة عام ١٧١٧م فقالت : "إن اليهود يتمتعون بسلطان لايصدق فى هذا البلد ، وقد استقطبوا كل تجارة الإمبراطورية العثمانية فى أيديهم وذلك بفضل مـا يـربطهم مـن وحدة وثيقة من جهة ، ومن جهة أخرى لبلادة الترك وافتقارهم إلى الجد والاجتهاد . لكل باشا مساعده اليهودى الذى يدير أعماله ، وهم الأطباء والوكلاء والمترجمون وكثير منهم ذوو ثراء عريض "(٥٠) .

كـانت سالونيك هى أهم المدن التى نزح إليها اليهود الفارين من شبه الجزيرة الأيبيرية الذيـن أنقذوا حياتهم بقبولهم إحدى طريقتى الاختيار : الخروج . أما الفئة الأخرى من اليهود الذيـن تنصروا ظاهريا ويطلق عليهم "المارانوس " ، فهم الذين لاتزال ذريتهم باقية حتى اليوم فى أسـبانيا والـبرتغال ، يتخفون تحت الأسماء الأسبانية ، لكنهم يسرون اليهودية فى قلوبهم وأفعـالهم ، وأصـبح تتبع أصولهم اليهودية صعبا للغاية ، فلقد تفرقت سلالاتهم فى البرازيل والمكسيك وجنوب غرب الولايات المتحدة وما يوركا، وبقى الكثير منهم فى البرتغال وأسبانيا.

لقـد وجـد أولـئك اليهـود الـذى آثروا المنفى ملاذا لدى أعداء أسبانيا والبرتغال الكاثوليك : فى هولندا وتركيا وتوسكانيا . أما أولئك الذين قصدوا تركيا فقد شجعهم حماتهم مـن الأتـراك العـثمانيين على الإقامة فى القسطنطينية وسالونيك والمراكز الحضرية الصغيرة فى الروميـلى ليسـدوا الفراغ الناشىء عن زوال الطبقة اليونانية المتوسطة الحضرية السابقة أوفـنائها ، فاسـتطاع اليهود السفرديم اللاجئين فى ظل تلك الظروف المواتية أن يتخصصوا فى التجارة وأن تروج أحوالهم "من غير أن يؤدوا الثمن وإظهار نفسية إشكنازية "(٥١) .

★ ★ ★

أهل القرن التاسع عشر على الإمبراطورية العثمانية فى عهد السلطان سليم الثالث الذى خـلف عبد الحميد الأول عام ١٧٨٩ وقد بدأت الإمبراطورية العثمانية تترنح من الضربات المتتالية التى نزلت فوق رأسها نتيجة تراكمات الفساد المستشرى فيها . وكانت روسيا تضغط بكل قوتها على الإمبراطورية العثمانية تريد ابتلاع الإراضى المتاخمة لها وما تضمها من مسلمين تابعين للعثمانيين بهدف وحيد هو الوصول إلى المياه الدافئة فى البحر المتوسط . وكانت انجلترا وفرنسـا حائطـا فى مواجهـة تلك الأطماع الروسية ، وكل منهما تسعى إلى تنفيذ مخططاتها فى الإمـبراطورية العـثمانية المتهالكة التى نخر السوس فى عظامها . كان اليهود العثمانيون ،

واليهود الإنجليز والفرنسيون والروس واليونانيون ، يتعاونون فى اقتسام تلك الإمبراطورية التى أسماها قيصر روسيا بالرجل المريض .

تسرب العجز والفساد والظلم إلى كل أنحاء الدولة العثمانية ، وتم اتفاق انجلترا وروسيا والنمسا وألمانيا وفرنسا وإيطاليا على تقطيع أوصال هذه الدولة واتفقوا على عدم الاقتتال بالسلاح ، بل التفوا حولها يوزعون التركة وهم ينتظرون موت "الرجل المريض " . كان ذلك الأمر هو المصير المحتوم للإمبراطورية العثمانية . كل من فيها ومن حولها يدرك تماما المصير الذى أصبح ينتظر الدولة العثمانية . أما السلطان عبد الحميد الذى جلس على عرشها داخل قصره وأولئك المحيطون به من حاشيته ، يتبادلون النفاق والمداهنة وتبادل الدسائس والمكائد ، فلم يدركوا ما حولهم من علامات المصير المحتوم . وكان اليهودى المدعو " توفيق أبو الهدى الصيادى " الذى استطاع التسلل إلى بلاط السلطان ، يقرأ له الطالع ويتنبأ بالمستقبل ، فصار هو الذى يحدد له أوقات السعد وأوقات النحس وإصدار الفرامانات الهمايونية كيف يشاء ، كان ذلك الرجل – على الأقل – يدرك المصير المحتوم .

كان قصر السلطان وكرا للجاسوسية ، وكان شيوخ الإسلام – ولكل منهم حاشيته وبطانته – يتحسسون ماذا يريد السلطان أو ماذا يريد أبو الهدى الصيادى ، لإعداد الفتاوى الدينية ويصدرونها لتأييد أى فرمان يصدره السلطان ، حتى لو كان مناقضا للمبادىء الإسلامية(٥٢) .

دخلت الدولة العثمانية حربا مع روسيا والنمسا انتهت عام ١٧٩٢ بعد خمس سنوات متواصلة، وبدأ نابليون مغامرته لاحتلال مصر عام ١٧٩٨م وجاء محمد على باشا إلى حكم مصر دون رغبة العثمانيين فأعاد بناء مصر القوية – ومصر تحت عباءة العثمانيين – فاستخدمه السلطان ومن ورائه جيش مصر العظيم فى إخماد ثورة الوهابيين بالجزيرة العربية عام ١٨٠١م التى قامت لتطهير الدين الإسلامى من البدع التى أدخلها الهراطقة الأتراك من ذوى الأصل اليهودى الخزرى ، على ذلك الدين القيّم(٥٣) . ثم استعان به لإخماد ثورة اليونانيين المطالبين باستقلالهم وكان التآمر الأوروبى لتحطيم القوة البحرية المصرية فى موقعة "نوراين " عام ١٨٢٧ م والتى نالت اليونان بعدها استقلالها عن الإمبراطورية العثمانية المتهالكة عسكريا والتى استطاع الجيش المصرى أن يحطمها عسكريا بعد ذلك ، فنالت مصر وراثة العرش لآل محمد على(٥٤) .

تكالبت أوروبا على أطراف تلك الإمبراطورية، فاستولى الإنجليز على عدن عام ١٨٣٩م وكـانت فرنسـا قـد أنزلت قواتها على شواطىء الجزائر عام ١٨٣٠م ثم احتلوا تونس عام ١٨٨١م واحـتل الإنجـليز مصر عام ١٨٨٢م . مأساة وقع فيها المسلمون من جراء سحب ملاءة الإسلام العثمانى فوق تلك الأقاليم ، التى حفظت للإسلام على مدى الدهر أصوله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولايمكن لأى مفكر بعد مرور أكثر من قرن على تلك الأحداث أن يـترك التاريخ دون تمحيص وبحث مجرد ، وربط بين الأدوار المختلفة التى لعبتها الأطراف الفاعـلة فى تلك المأساة والتى استهدفت الإسلام والمؤمنين به . كان اليهود وراء بسط الخلافة العثمـانية على كل مسلمى المنطقة ، وكان اليهود وراء تفكيك تلك الأمة وتقديمها لقمة سائغة للباحثين عن الثروات ونهب أموال تلك البلاد والشعوب ، تحت أسماء دول تدين بالمسيحية ، وهـى طريقة ثانية من طرق الصراع الصليبى الإسلامى ، بعدما فشلت الحملات الأولى التى خطط لها أبناء الطائفة اليهودية من قبل(٥٥) .



وعودة إلى التآمراليهودى داخل الدولة العثمانية وإعدادها للانهيار بعد أن تفشى الفساد فيها بكل صوره ، وأصبح التركىّ المسلم الذى يعيش فوق أرضها لايعرف شيئا مؤكدا سوى ان يصـلى و يصـوم ويدعـو الله أن يرحمه ، وهو يرى حوله الهرطقة فى الدين ، والرشوة ، والإباحيـة وانتشـار المحرمات علانية ، وظلم السلطان وحاشيته ، وتغلغل الأجانب من كل الجنسـيات فى كـل مجالات العمل والحياة ، وتساقط الولايات العثمانية التى تضم المسلمين واحدة بعد الأخرى فى أيدى غير أبناء ملته ، وتحريك (الدونما) اليهودية للمسلمين تجاه العداء للمسيحية والمسيحيين، والعكس بالعكس .

لم يهدأ اليهود ، وهم يعدون العّدة للانقضاض على الإمبراطورية العثمانية ، يعطون لكل دولة أوروبية - يتحكم فى سياستها اليهود - سكينا ليقطع من ذلك الجسد المسجى أمامهم ، بلا حول ولا قوة ، قطعة يلتهمها . لقد استطاع اليهود بكل حذق ومكر ودهاء جبلوا عليه ، أن يحيلوا المسلمين إلى فئة مسالمة راضية بحكم الله وما يأمر به الخليفة العثمانى ، فهو ظل الله فى الأرض . ولقـد ترسـخت تلك المعتقدات فى نفوس المسلمين تجاه السلطان العثمانى بسبب ، "الفتوحات العثمانية الكبرى التى توجت بفتح القسطنطينية قلعة المواجهة البيزنطية التى امتنعت عـلى المسلمين طيلة قرون من الزمن ، فكان ذلك مصدرا للأمل فى نهوض إسلامى تطلع إليه

المســـلمون بعـــد فترة من التراجع والتفكك على أثر سقوط بغداد فى أيدى التتار وهجمات الفـــرنجه واحـــتلال بيـــت المقدس وسنوات الحرب الصليبية الطويلة . كان ذلك هو الوجه الإيجـــابى لـــلدولة العثمانية الذى وفرّ لها مناخا شعبيا إسلاميا فى البلاد اتسم بالقبول وإسباغ الشرعية "(٥٦) .

قبل المسلم ذلك المبدأ فى حقبة من التاريخ المعتم وهو لايجد أمامه سوى انتصار المسلمين وعودة الروح إليهم فى الولايات الإسلامية ، قابلين تلك الصحوة بعد ضربات متكررة خطط لها اليهود ونفذها الواقعون تحت سيطرتهم . لكن ماحدث بعد ذلك لهو شيء رهيب جثم على صـــدر المسلمين قرونا ، إذ تحول السلطان العثمانى ، من السلطنة إلى مرتبة أخرى يعجز القلم عـــن وصفها ، وإنما ننقل عن المؤرخ دوسون بلك كاتب تاريخ (أبى الفتح) : " عن السلطان الذى تجلت فى نفسه الصفات المخصوصة بذات الله، قد جعل الشرع والعرف وجها لوجه"(٥٧) – أى أنـــه كـــان على المسلم الخاضع للسلطان العثمانى أن يطيع السلطان وحسب حتى ولو كانت رقبته هى الطلب .

كيـــف وصل الحال بالإمبراطورية العثمانية إلى ذلك التدنى الاجتماعى الذى أدى بها إلى تقطيع أوصالها ؟ وإلى انهيار اقتصادى مدمّر رغم الغنى الذى تنعم به والذى يأتيها من الولايات الإســـلامية ذهبا وفضة ومأكلا ؟ وإلى انهيار سياسى تفشت فيه الرشوة ومكانة أهل الحظوة ، والمحسوبية ، والقتل السياسى ، والتصفية الجسدية ، والتفريغ الروحى لجوهر الدين الإسلامى ؟ كل تلك الأسئلة التى دارت فى صدور المسلمين الأتراك أو من المسلمين الذين وضعت سيوف الخلافـــة العثمانية على رقابهم ، أوجدت نوعا من الهمس تعالت معه أصوات بضرورة إصلاح النظام العثمانى ، وأطلق المؤرخون اليهود على زعماء ذلك الإصلاح لقب (جنود الإصلاح) .

يعالج كاتب (تاريخ الدولة العثمانية) ذلك بتعرضه للحركة اليهودية فى الدولة العثمانية بكـــل حذر ، لكنه لايستطيع إنكار الحقائق ، فهو يطلق لقب (جنود الإصلاح) على التغيير الجذرى الذى لعبه اليهود فى المجتمع العثمانى وكان أهم مافى الأمر هو ذكر " المحافل الماسونية العديـــدة التى ازدهرت عبر أرجاء الإمبراطورية منذ عهد السلطان عبد المجيد . فارتبط محفل اتحـــاد الشـــرق الذى تأسس فى اسطنبول عام ١٨٦٣م بمحفل الشرق الكبير الفرنسى الذى يستظل بفكرة التنظيمات : التعايش الأخوى والوفاق بين الأجناس . وضم المحفل العثمانى عام ١٨٦٩م مائة وأربعين عضوا قادمين من مختلف آفاق المجتمع العثمانى وبعض الأوروبيين وخاصة

الفرنسيين وفريقا هاما من وجهاء الطائفة الإسرائيلية " . ثم يستطرد الكاتب : " وقد نجح المسئولون عن المحفل فى تجنيد أشخاص يحتلون غالبا مناصب رئيسية :رؤوف بك الياور الأول للسلطان - جميل بك المسئول الأول عن غرفة السلطان - عبد الرحمن حلمى أفندى مفتش الشرطه - محمد رمزى والى شيو - عزت باشا والى القدس السابق - وعدة عسكريين من المراتب العليا - أربعة قضاه للمحكمة التجارية - خمس عشرة من الموظفين من مختلف المستويات - إبراهيم أدهم رئيس مجلس الدولة - الأمير مصطفى فاضل إمام العثمانيين الشبان(٥٨) .

ويشرح التاريخ فى تلك الفترة كيف أن فريق التجار والصيارفة المنحدرين كلهم من طوائف الأقليات - وهم اليهود وإن لم يذكر الاسم صراحة - لعبوا دور الوسطاء بين أوروبا والإمبراطورية العثمانية وتولوا مهمة التغيير ، " فهم الذين يفتحون مضخة القروض التى سوف تعتمد عليها الإمبراطورية لتجديد الجيش وبناء المرافق الضرورية للانطلاق الاقتصادى للبلاد "(٥٩). ومن ذلك التحديث الذى جرى فى تلك الإمبراطورية ، هيمنة اليهود - سواء كانوا من الدونما أوالطائفة الإسرائيلية أو غيرها من المسميات - " على قسم الترجمة بوزارة الشئون الخارجية التى عن طريقها ومن خلالها بشكل رئيسى ، تصل المعلومات والتحليلات الموجهة إلى أن تكون ركيزة لمشروعات الإصلاح التى يضطلع بها الباب العالى "(٦٠) ومن خطوات إصلاح القضاء ، إنشاء مجلس الدولة الذى يضم ممثلين عن طوائف غير مسلمة فى الإمبراطورية وممثلين عن الطوائف الحرفية . ووحد النظام القضائى القانون فأجاز القانون التجارى مبدأ التسليف مقابل الفائدة وأشكالاً من المشاركة لم يعرفها القانون الإسلامى . وقد اقتضى الأمر للعمل بالقوانين الجديدة إنشاء هيئات قضائية حديثة لأن الهيئات التى يسيطر عليها رجال الدين لاتتجاوب مع التغيير . وكان أول تلك التغييرات فى القانون التجارى تشكيل محكمة من ثلاثة قضاة تعينهم الحكومة وأربعة قضاة يمثلون التجار المنتمين إلى الأقليات والتجار الأوربيين . وأتبع ذلك إنشاء محاكم نظامية فى المسائل التى تخرج عن اختصاص السلطات الدينية(٦١) .

جاء الذين يطلق عليهم (جنود الاصلاح) فغيروا فى نظم التعليم وتمت علمنته ، وهجمت الماسونية على التعليم العثمانى ، تبدل فيه ، وأنشئت المدارس الفرنسية والأرمنية واليونانية ، " أما فيما يتعلق باليهود ، الأقل عددا والمتأخرين إلى حد ما من حيث التقدم الثقافى ، فلم يكونوا يحوزون غير ست من المنشآت التعليمية العلمانية ، لكن التحالف

الإســـرائيلى العـــالمى – والـــذى يوجد مقره الرئيسى فى باريس – لم يتأخر فى تغيير الأحوال بإنشائة أكثر من خمسين مدرسة خلال الثلث الأخير من القرن التاسع عشر "[٦٢] .

ويشرح تاريخ الدولة العثمانية ، أن البروتستانت الإنجليز والأمريكيين لعبوا دورا هاما فى الدولة العثمانية بإنشائهم العديد من مدارسهم . فاستطاعوا تحويل مايزيد عن خمسة عشر ألف أرمنى إلى اعتناق البروتستانتينية ، واستطاعوا الحصول من الباب العالى على حق تكوين طائفة مســـتقلة هى "الأمة البروتستانتينية " ولها لجنة خاصة لإدارة شئون تلك الملة الجديدة المطالبة بوطـــن قومى ، ماليا وإداريا . وحذت " الملة اليهودية " حذو الأرمن عام ١٨٦٥م مع فارق وحيد هو عدم المطالبه بوطن قومى فى ذلك الوقت[٦٣] .

★ ★ ★

الحـــدر مصطفى رشيد باشا ، الذى تولى رئاسة وزراء الدولة العثمانية (الصدر الأعظم) عـــام ١٨٤٦م وكان قبلها وزيرا للشئون الخارجية منذ عام ١٨٣٧ ، من أسرة جدّ متواضعة ودرس علوم الدين ، وتمكن من أن يصبح أمينا للباب العالى ، وعينه السلطان سفيرا فى باريس عـــام ١٨٣٤م ثم نقل سفيرا إلى لندن لعدة شهر، واختاره السلطان وزيرا للشئون الخارجية . كـــان مـــن أشـــد المتحمسين للماسونية ، وهو الذى أعد ما يعرف فى التاريخ (خط جلخانه الشـــريف) فى أول يوليه ١٨٣٩م ، أو ما يعرف بالخط الشريف أو الخط الهمايونى أو الميثاق السلطانى[٦٤] . وقد أعلن ذلك الميثاق أن جميع رعايا الإمبراطورية العثمانية يعتبرون منذ تلك الـــلحظه متساوين دون تمييز على أساس الدين أو القومية ، لكن الحكومة التركية لم تستطع تطبيقة بسبب غياب المشاركة السكانية فيما عدا بعض الأوساط التى تشكل أقلية[٦٥] .

وكان محمد أمين على باشا ، ابنا لأحد التجار فى اسطنبول يجيد عدة لغات أجنبية ، فتم زرعـــه فى قصر الباب العالى ، واستطاع خلال عشر سنوات أن يصبح سفيرا فى لندن – عام ١٨٤١– وعاد منها ليصبح رئيسا للوزراء (صدر أعظم) وارتبط اسمه بوثيقة الخط الهمايونى عام ١٨٥٦ وهو يشكل البرامج الجديدة للإصلاحات فى عهد السلطان عبد المجيد ، التى تحدثنا عـــنها مـــن قـــبل ، والـــتى تعكس التغلغل اليهودى الماسونى فى أعلى طبقات رجال الحكم فى الإمبراطورية العثمانية[٦٦] .

★ ★ ★

لعل القارىء يدرك بعد مراجعة تلك المقتطفات التى جمعناها من مختلف المصادر ، كيف تمكــن الأخطــبوط اليهودى الذى سكن الإمبراطورية العثمانية منذ إنشائها من الإمساك بها بأطرافه المتعددة السامة ، موجها تحركاتها تجاه هدف واحد هو تخريب الإسلام بكل ما يستطيع مــن حيل ومؤامرات ، يضربه بالمسيحية من ناحية ، ويضرب المسيحية به من ناحية أخرى . اســتعد اليهود العثمانيون بعد تحطيم الإمبراطورية العثمانية ، وجرها خائرة القوى إلى مذبح اليهــود للإجهاز عليها من الداخل ، حتى يتفرغوا تماما بعد ذلك لالتهام قلب الذبيحة . بيت المقدس .

★ ★ ★

هوامش الفصل السابع

(١) سورة الأنعام : ١٢٥ .

(٢) (مختصر دراسة للتاريخ) أرنولد توينبي ـــ ترجمة فؤاد شبل ص١١١ إلى ص١١٣ .

(٣) انظر (تاريخ الأمم والملوك) للطبرى ج٤ ص٢٠٢ /٢٠٣ .

(٤) انظـــر كتاب (جذور الحركة الإسلامية فى تركيا) ـــ مصطفى أوغلو ترجمة حسن بيومى ص٣٦ / ٣٨ . وقـــد أورد تفصـــيل ذلـــك عن الرحالة التركى الشهير (أوليا جلبى) . وقد أوضحت (دائرة المعارف الإســـلامية) ج٥ ص٢٤٥ أنه يعرف باسم محمد ظلى بن درويش الذى ولد بالأستانة عام ١٦١١ وقام خـــلال أربعـــين عاما برحلات طويلة متوالية فى أنحاء الإمبراطورية العثمانية ، واشترك فى الحملات التى وجهت إلى كريت والمجر والنمسا أيام حكم محمد الرابع ونشر مشاهداته وتجاربه فى الحرب والسلم باسم (تاريخ سياح) .

(٥) المصدر السابق ص٣٩ .

(٦) المصدر السابق ص٣٩ – وأيضا انظر (الطبرى) ج٧ ص٩٠ الذى أورد فى حوادث عام ١٢٢ هجرية – قوله : وفيها قتل عبد الله البطال فى جماعة من المسلمين بأرض الروم .

(٧) تقول سيرة أبى محمد عبد الله البطال – أنه كان من ضمن عبيد الأمويين المحررين وأصله من أنطاكيا . نال حريـــته بعد إسلامه وولاه مروان بن هشام – على ولاية "ميسيس " وشارك فى صفوف الجيش الإسلامى خلال السنوات ٧١٧ –٧٤٠ م ضد البيزنطيين . استشهد فى معركة آفيون وله قبر موجود فى بلدة (سيد غـــازى) التى استمدت اسمها منه وهى من ضواحى مدينة "أسكى شهر " . ويعرف هذا الغازى فى تركيا بأسماء : بطال غازى – سيّد بطال – سيّد غازى . وقد أطلق عليه اسم (البطال) على سبيل المبالغة بالنظر إلى بطولاتـــه الخارقـــه فى الهجوم الإسلامى على البيزنطيين . انظر (البداية والنهاية) لابن كثير ج٩ ص ٣٠٨ . وانظر (الطبرى) حوادث عام ١١٣هجرية . وانظر (جذور الحركة الإسلامية فى تركيا) مصطفى أوغلو ص٤٩.

(٨) (جذور الحركة الإسلامية فى تركيا) ص٥٢ عن مكتبه (الملت) باسطنبول – تاريخ (قسم على أميرى) رقم :٦٨٥ .

(٩) كلمة (الدانشمند) كلمة فارسية تستعمل بمفهوم (العالم)

(١٠) سليمان بن قوتالميش هو الذى فتح أنطاكيا عام ١٠٤٨ وقد مدحه القسّ جريجورى أبو الفرج الأنطاكى فى تاريخـــه فقال : " لأن هذا الرجل أسعد شعب أنطاكيا المسيحى كثيرا أحبه حبّا جمّا أكثر من بيردوس المسيحى حاكمها القديم . انظر (جذور الحركة الإسلامية فى تركيا) ص٥٤ .

(١١) المصدر السابق ص٥٤ وحاشيته رقم (١٢) تقول عن تشيرى أن منشأ كلمة التركمان هى أن قره خان الـذى أطـلق عليه الأتراك (جالاق خان) كان أول من اعتنق الإسلام من حكام الترك وأصبح مسلما وأسـلمت معـه ألفا خيمة من أهله عام ٩٩٩م ومن هذا المنطق أطلقوا عليهم اسم "ترك إيمان" ثم تحول التركيب تخفيفا للنطق إلى تركمان .

(١٢) انظر (أطلس التاريخ الإسلامى) د. حسين مؤنس ص٢٦٢ ــ ٢٧٢ .

(١٣) (تاريخ الدولة العثمانية) – إشراف روبير مانتران – ترجمة بشير السباعى : ج١ ١٧ – ١٩ صدر هذا الكـتاب بالفرنسـية واشترك فيه عشرة من الباحثين أشرف عليهم روبير مانتران . وقد جاء الكتاب فى جـزئين كبيرين جمعا تاريخ تلك الإمبراطورية منذ نشأتها وحتى انتهائها إلى تركيا الحالية ، مليئا بالتفاصيل الدقيقة والمراجع الثمينة التى تضمنها البحث وخاصة فى الأرشيف التركى . ومن المفيد للقارىء الرجوع إلى ذلك الكتاب لمعرفة كل التفاصيل حول تلك الإمبراطورية التى حيرّت العالم لعدة قرون وكانت لاتكل ولاتمـل مـن حـروبها المتواصـلة سواء فى القارة الأوروبية أو استعمار الأقاليم الإسلامية وضمها إلى الإمـبراطورية العثمانية . ومن المفيد أيضا الرجوع إلى : – (تاريخ الإمبراطورية العثمانية) وهو بالألمانية وله ترجمة فرنسية كتبه جوزيف فون هامر بورجستال من عشرة أجزاء وصدر فى المجر عام ١٨٢٧ .

– (تركيا قبل العثمانية) كتبه بالإنجليزية كلود كاهن وصدر فى لندن عام ١٩٦٨ .

(١٤) انظـر (جـذور الحـركة الإسلامية فى تركيا) مصطفى أوغلو – ص١١٥ – ١٢٤ وقد أصبح القتل السياسـى فى الدولـة العثمانية إحدى السياسات الأساسية فى نظام حكمها للتخلص من خصوم السلطة الذين يعارضون سياسات الحاكم أو لمجرد التخوّف من التمرد عليه . وبلغ الأمر مداه بقتل الإخوة لبعضهم البعض حتى يتولى أشدهم مكرا وأتباعا لسلطة الحكم . ولقد بدأ محمد الثانى لأول مرة سنة القتل بلا قانون أو استجواب أو محاكمة وأصبحت عرفا يعمل به ، فأمر بقتل أخويه قورقود ، وأحمد وأطفا لهما . وعندما تولى محمد الثالث العرش عام ١٥٩٥ أمر بخنق تسعة عشر أخا له دفعة واحدة .

(١٥) (تاريخ الدولة العثمانية) روبير مانتران – ج١ ص١٨ .

(١٦) لم يذكر المؤرخ مانتران فى كتابه عند إيراد هذه المعلومة ديانة ذلك الرجل . لم يشر إلى مسيحيته ولا إلى إسـلامه كعادتـه فى سرد تاريخ الدولة العثمانية . وعندما يأتى ذكر رجل يهودى يقول :" الذى تشير الروايات العثمانية إلى أنه يهودى " . ويمكن لنا استنباطا أن نقتنع بأن ذلك المستشار "قص ميخال" كان يهوديا .

(١٧) صـور أرنولد توينبى فى كتابه (مختصر دراسة للتاريخ) ج١ ص٢٨٧ /٢٨٨ هيمنة عثمان على الترك الوافديـن إلى المنطقة تصويرا بديعا فذكر أن البدو من الآفار – وهم الأجناس التركية التى سكنت شرق الخزر – أبعدوا عن مراعيهم فى السهب ومبعثرين فى المنطقة الزراعية ، فحاولوا معاملة السكان المستقرّين

الذيـــن قـــاموا بغـــزوهم كما لو أنهم قطيع آدمي ، أو بالأحرى رنا البدو الأفاريون إلى تحويل أنفسهم من رعاة غنم إلى رعاة بشر .

(١٨) (تاريخ الدولة العثمانية) روبير مانتران - ج١ ص٢٠ .

(١٩) انظر (جذور الحركة الإسلامية فى تركيا) مصطفى أوغلو ص١٠٦ /١٠٧ ويذكر " أن عثمان غازى قـــال فى وصيته لابنه أورخان ما يلى : لو يقول لك شخص كلمة ما أمرك الله بها فلا توافقه عليها . وإذا لم تعـــرف فاسأل العالم بالله " تلك الوصية هى القانون الذى سار عليه ورثة عثمان والتى قننها محمد الثانى الحفيد الثالث لعثمان غازى فغيّر بها كل المفاهيم الإسلامية . فلقد قنن ما سبق من الوصية إلى : " كل من تـــولى أمـــر السلطة من أبنائى فإنه من المناسب لحفظ نظام العالم قتل الإخوة " . ولقد أجاز أكثر العلماء العثمانين هذا أيضا وصاروا يعملون بهذا القانون .

ولايخفى على القارىء أن ذلك المبدأ اتبعه إخوة يوسف عليه السلام عندما أرادوا قتله ، لكن الله عز وجـــل حسابات أخرى فوق علم البشر ، فأنجى الطفل ليوم آخر حتى يؤدى الرســـالة التى أعدها له الله ســـبحانه وتعالى . إنما نخرج من التشبيه ، بأن اليهود ذوو عقيدة لاتتورع عن قتل الأخ لأخيه منذ القدم ، تسرى فى دمائهم حبًا فى شهوة السلطة والسيطرة .

(٢٠) (تاريخ الدولة العثمانية) روبير مانتران ج١ ص٣٨ .

(٢١) المصدر السابق ج١ ص٤١ .

(٢٢) انظـــر كـــتاب (الحقيقة حول التلمود) بالإنجليزية - مايكل هوفمان وألان كريتشلى ، والتى أصدرته بالولايـــات المـــتحدة مجموعة أطلقت على نفسها (الحملة من أجل الحقيقة المجردة فى التاريخ) . ويذكر المؤلفـــان أن التلمود هو أقدس كتب اليهودية وهو فى الحقيقة مجموعة من الكتب . وسلطة التلمود تفوق ســـلطة الـــتوراة كمـــا ينص التلمود على ذلك . ويدلل المؤلفان على ذلك بأن اليهود الأثيوبيين الذين لايعرفون سوى التوراة ولم يسمعوا عن التلمود ، ممنوعين من ممارسة الشعائر اليهودية فى إسرائيل. وينشر الكاتـــبان بعضا من نصوص التلمود بهدف الدعوة إلى تحرير الشعوب ومن ضمنهم الشعب اليهودى من التضـــليل والعنصرية والكراهية التى يزرعها التلمود فى قلوب اليهود الأرثوذكس عبر العالم . لقد سببت تلك الكراهية والتلمودية والعنصرية واعتقاد التفوق ، المعاناة للكثير عبر التاريخ والأن فى فلسطين المحتلة . إنهـــا تســـتخدم لتبرير القتل الجماعى للمدنيين الفلسطينين . فالتلمود يحدد تعريفا لغير اليهود بأنهم مثل الحيوانات غير الإنسانية .

(٢٣) الحركة الإسلامية فى تركيا - مصطفى اوغلو ص٦٤ /٦٥ .

(٢٤) الشامانية : مذهب دينى بدائى ينتشر فى شمال آسيا ويعتمد على سلطة (الشامان) أو الكاهن أو الساحر المتصل بأرواح الطبيعة .

(٢٥) المصدر السابق عن كتاب (الصفوية التركية) فؤاد كوبرولو .

(٢٦) قتل مراد الأول فى معركة كوسوفو وعيّن وهو فى سكرات الموت ابنه البكر بايزيد خلفا له ، وكان بايزيد مشاركا فى المعركة .

(٢٧) (تاريخ الدولة العثمانية) روبير مانتران ج١ ص٧٤ ـ وانظر أيضا (جذور الحركة الإسلامية فى تركيا) مصطفى أوغلو ص١١٣

(٢٨) أنظر (جذور الحركة الإسلامية فى تركيا) مصطفى أوغلو ص١١٠ إلى ص١١٤ ـ وانظر أيضا (تاريخ الدولة العثمانية) ج١ ص١٩٠ .

(٢٩) (تاريخ الدولة العثمانية) – روبير مانتران ص٨٧ . ويدل الاسم "تورلاق " بلاشك على أن ذلك الرجل خزرى يهودى تسلل كغيره من اليهود الخزرين إلى السلطنة العثمانية وتستر بالإسلام .

(٣٠) انظر (مختصر دراسة للتاريخ) أرنولد توينبى ج٢ ص٤٣٨ .

(٣١) انظر كتاب (التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من أخيار) – ابن غلبون ص ١٥٣ – ١٧٣ – عملوق بن طسم – كان كبير قبيلة طسم وترأس قبيلة أخيه جديس ، فأصبح عملوق هو ملك القبيلتين . بلغ من طغيانه أنه حكم على بنات قبيلة جديس – إذا تزوّجن أن يقوم هو بفض بكارتهن قبل إرسالها إلى زوجها – وهى إحدى قصص الجاهلية والتى انتهت أحداثها بقيام جديس بمحاربة طسم ولم ينج من طسم سوى رباح بن زيد الطسمى الذى لجأ إلى حسان بن تبع فأغاثه وهزم جديس .

(٣٢) (القوى السياسية فى كوت الأحساء) – د. يوسف جعفر سعادة ص١٥٥ .

(٣٣) انظر كتاب (جذور الحركة الإسلامية فى تركيا) مصطفى أوغلو ـ ص٩٩ إلى ١٠٣ .

(٣٤) المصدر السابق .

(٣٥) انظر (تاريخ الإمبراطورية العثمانية) ج١ ص١٩٢ /١٩٨ – وقد أورد المصدر إحصاءات التواجد المختلف للديانات خلال عام ١٤٧٨م فكان فى اسطنبول ٩٥١٧ أسرة مسلمة و٥١٦٢ أسرة مسيحية و ١٦٤٧ أسرة يهودية . أما "سالونيك " فكانت الأرقام كالتالى : ٩٣٢ أسرة مسلمة – ١٣٢٦ أسرة مسيحية – ٢٦٤٥أسرة يهودية .

(٣٦)انظر (تاريخ عجائب الآثار فى التراجم والأخبار) للعلامه الشيخ عبد الرحمن الجبرتى ج١ ص٤٩ .

(٣٧) المصدر السابق ج٢ ص١٠٣ إلى ص١١١ .

(٣٨) بلاد الكرج : كانت تطلق على بلاد ولاية جورجيا الروسية الحالية ، وهى بلاد الخزر السابقة .

(٣٩) تاريخ الجبرتى – مصدر سابق ج٢ ص١١٠ .

(٤٠) المصدر السابق ج٢ ص٥٠٦ / ٥٠٧ .

(٤١) انظر (تسعة عشر ملكا) حسين ناجى محمد محيى الدين ص١٥٤ /١٥٧ .

(٤٢) انظر كتاب (الصهيونية وتركيا) – د. ياشار قوطلى آى – ص١٦ /١٧ .

(٤٣) (وصف مصر) تأليف علماء الحملة الفرنسية – ترجمة زهير الشايب ج٢ ص٣٣٧ .

(٤٤) فلافيوس يوسيفوس – مؤرخ يهودى ولد فى بيت المقدس وشهد خرابها على يد تيطس الرومانى . له عدة مؤلفات منها : الحرب اليهودية – الحضارات اليهودية .

(٤٥) أريوس أو لياس – حبر يهودى سكندرى زعم أن "كلمة " غير مساو للأب فى الجوهر فحرمه المجمع النيقاوى عام ٣٢٥م وانتشرت الأريوسية عند القوط واللمبارد ودامت حتى القرن السابع .

(٤٦) انظر كتاب (الصهيونية وتركيا) – د. ياشار قوطلى آى – ص٢١ إلى ٢٧ .

(٤٧) انظر الفصل الرابع من هذا الكتاب (التسلل اليهودى إلى المسيحية) .

(٤٨) انظر كتاب (الصهيونية وتركيا) د. ياشار قوطلى آى صفحات من ٢٧ إلى ٢٩ – وقد رأينا الاستناد إلى هذا المرجع وحده ، رغم أن الموضوع (الدونما) العثمانية عولج فى كل الكتب التى تحدثت عن اليهود بصفة عامة ، إما فخرا من جانب الكتاب اليهود بتمسك اليهود بعقيدهم ، وإما استحياء من الكتاب الأتراك المعاصرين ، أو حيادا من الكتاب المسيحيين الذين عالجوا الأمر كواقع حدث فى الإمبراطورية العثمانية وامتدت جذوره فى الدولة التركية حتى وقتنا الحالى . وتجنب الحديث صراحة عن البلاء الذى أوجدته (الدونما) ، من جانب الأتراك يعود إلى إرجاع أصل كمال أتاتورك إلى طائفتهم ووجود قانون يعاقب بالسجن المؤبد كل من يتحدث بسوء عن أتاتورك .

(٤٩) الدونما – أو الدونمة – تعنى بالتركية : المرتدون . ويذكر الدكتور عبد الوهاب المسيرى فى كتابه (اليد الخفية) ص٩٥ أن "شبتاى زيفى " ولد فى أزمير لأب اشكنازى ودرس التوراة والتلمود واستغرق فى دراسة القبلاه (القبّاله) .

(٥٠) انظر كتاب (اليهود تاريخا وعقيدة) د. كامل سعفان ص٤٢ .

(٥١) انظر (مختصر دراسة للتاريخ) أرنولد توينبى – ج١ ص٢٢٩ /٢٣٠ لم يفسر توينبى المقصود بالنفسية الاشكنازية ، ولعله كان يقصد العدوانية المتأصله فى نفوسهم . وقد يكون مرجع ذلك إلى أن البيئة اليهودية فى الدولة العثمانية كانت مهيأة .

(٥٢) انظر كتاب (حكاية أتاتورك والإسلام) عبد الحميد الكاتب ص١٦إلى ٢١ وقد نقل التفاصيل الكثيرة عن الفساد من كتاب (زعماء الإصلاح فى العصر الحديث) للمؤرخ احمد أمين .

(٥٣) تعتبر الحركة الوهابية فى نظرنا حركة إسلامية إصلا حية كانت ضرورية ولازمة فى ذلك العهد لاستبعاد الهرطقة التى زرعها اليهود تحت عباءة الحركات الباطنية فانتشرت وعمت الأقطار الإسلامية كلها . وكان العثمانيون حريصين على وأد تلك الحركة الإسلامية التصحيحية وعدم انتشار المد الإسلامى من جديد ، وهو يعكس حرص اليهود – الذين عرفوا من قبل انتفاضة الإسلام من الجزيرة العربية أرض محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم – على تحقيق هدفين فى تكليف السلطان العثمانى الخاضع لنفوذهم لمحمد على باشا بالحرب الوهابية : الأول – ضرب الحركه الإسلامية التصحيحية والثانى : إشغال وإنهاك الجيش

المصرى ومحمد على بالحرب فى الصحراء لإبعاد تلك القوة الإسلامية الناشئة عن مجريات الأمور فى الدولة العثمانية . ويحقق اليهود أحد أهم مراميهم : قتل المسلم بالمسلم . وأتصور أن حقيقة التخطيط اليهودى لتلك الأمور لم تكن واضحة لأى سياسى مسلم فى ذلك العصر.

(٥٤) من المفيد للقارىء أن يرجع إلى كتاب (عصر محمد على) للمؤرخ الكبير عبد الرحمن الرافعى – الفصل السابع ص١٨٩ إلى ص٢١٦ وفيه تفصيل الحرب العثمانية اليونانية وموقعة نوارين البحرية فى ٢٠ أكتوبر ١٨٢٧ وتآمر انجلترا لتحطيم الأسطول المصرى حتى لاينافس انجلترا فى البحر المتوسط . وقد انصب غضب المؤرخ الكبير – أستاذ التاريخ المصرى الحديث بلا منازع – على الإنجليز فى تلك المؤامرة ، علما بأنه ذكر أن إبراهيم باشا استطاع الوصول إلى ميناء نوارين بأسطوله وجيشه دون علم الأساطيل الأوروبية – رغم أن مهمتها الأولى كانت منع وصول إبراهيم باشا . والسؤال الذى لم يجب عليه المؤرخ ولاغيره هو كيفية وصول خبر الأسطول المصرى إلى الإنجليز ؟ هل يرجع ذلك إلى وجود الجواسيس اليهود إما فى الأسطول العثمانى المرافق للمصرى ، وإما مع الجانب اليونانى ؟ كانت الخطة الإنجليزية هى تحطيم أسطول مصر ، وقد تحقق لها ذلك . أما نتائج الحرب اليونانية – رغم الخسائر التى منيت بها مصر – فكانت الولاية على جزيرة كريت واكتساب مصر مركزا دوليا بمفاوضاتها المباشرة مع دول أوروبا وظهور الجيش والبحرية المصرية بمظهر يعطيه احتراما وتقديرا . ولاننسى أبدا أن موقعة نوارين حدثت فى عهد الملك جورج الرابع ملك انجلترا ، لم يكن الوقت قد حان لمؤرخنا العظيم ولالغيره من المؤرخين العرب للربط بين اليهود وما كانوا يخططون له .

(٥٥) تعتبر هذه الفترة من التاريخ بداية النهاية للدولة العثمانية ، لايتسع المجال لعرضها وإنما يمكن إجمال النتائج فيما يلى :

- أثار نجاح الجيش المصرى والعثمانى فى القضاء على الثورة اليونانية واحتلال أثينا وشبة جزيرة المورة، استياء نيقولا الأول قيصر روسيا فوجه إنذارا عام ١٨٢٦ إلى العثمانيين للتسليم بحق روسيا فى حماية مولدافيا وصربيا وفالاشيا (وهم أرثوذكس كالروس) والاعتراف بالسيادة الروسية على القوقاز وحرية الملاحة الروسية فى المياه العثمانية .
- يعلن نيقولا الأول الحرب على العثمانين عام ١٨٢٨ .
- انجلترا وفرنسا تنشئان حكومة يونانية بعد إنشاء دولة يونانية مستقلة .
- عقد مؤتمر لندن فى ١٨٣٠ .
- تدخل مصر حربا مع الدولة العثمانية يجتاح فيها جيش مصر بقيادة البطل إبراهيم باشا الشام بعد فلسطين ويدخل دمشق ثم قونية ثم كوتا هيه عام ١٨٣٣ فيطلب السلطان العثمانى العون من روسيا فترسل إليه بالقوات لترابط على ضفاف البوسفور .
- شجع السلطان العثمانى سكان سوريا على التمرد ضد مصر .

- توجه الدول العظمى انجلترا وفرنسا وروسيا عام ١٨٤٠ - وقد باتت تخشى الجيش المصرى - إنذارا إلى محمـــد على بفرض القيود على مصر والتهديد بالحرب معها ، فتولى محمد على عرش مصر وحق التوريث لأولاده مع إبقاء مصر كولاية تحت الحكم العثمانى باستقلال ناقص .

للمزيد من معرفة تفاصيل تلك الفترة ننصح بقرءاة :

* كتاب (عصر محمد على) للمؤرخ عبد الرحمن الرافعى - مرجع سابق .

* كتاب (تاريخ الإمبراطورية العثمانية) إشراف روبير مانتران - مرجع سابق .

(٥٦) انظـــر كـــتاب (الفقيـــة والسلطان) - وجيه الكوثرانى ص٣٩ / ٤٠ نقلا عن (الماوردى - الأحكام السلطانية فى الولايات الدينية) وهو تفسير منطقى يقبله العقل المسلم لما حدث فى تلك الحقبة من التاريخ .

(٥٧) انظر (جذور الحركة الإسلامية فى تركيا) مصطفى أوغلو ص١٠٥ .

(٥٨) انظر كتاب (تاريخ الدولة العثمانية) روبير مانتران ج٢ ص٧٩ / ٨٠ .

(٥٩) المصدر السابق ج٢ ص٨١ /٨٢

(٦٠) المصدر السابق ص٨٥

(٦١) المصـــدر الســـابق ج٢ ص٨٩/٩١ ـــ ولاشك أن إقرار مبدأ (الربا) وتضمين القانون العثمانى ذلك يوضـــح بمـــا لايقبل الشك النفوذ اليهودى المستشرى داخل قصر السلطان والهيئات القضائية فى الدولة العثمانية .

(٦٢) انظر (تاريخ الدولة العثمانية) روبير مانتران ج٢ص٩٤ /٩٥

(٦٣) المصدر السابق ج٢ ص١٢١ /١٢٤ .

(٦٤) خط جلخانة الشريف : اكتسب الاسم من المكان الذى عرض فيه على المستمعين فى قصر طاب قابى . وقد أملاه السلطان العثمانى محمود الثانى وهو على فراش الموت على الصدر الأعظم محمد باشا خسرو ولم يقدم رسميا إلا فى ١٨٣٩/١١/٣م .

(٦٥) (تاريخ الدولة العثمانية) ج٢ ص٦٠/٦٧ .

(٦٦) المصدر السابق ج٢ ص٦٤ .

الفصل الثامن

الدونما بيت العنكبوت العثمانى

فكـــرة المسيح المخلص ، التى تدور حولها البدعة اليهودية لشق الصف المسيحى وخلق نوع من البلبلة فى عقيدتهم ، دفعت بعض من لا إيمان راسخ منهم إلى تصديقها واعتناقها . وهو موضوع سوف نفرد له فصلا خاصا إن شاء الله فى هذا الكتاب . أما البدعة اليهودية التى كان أخطـــر مـــن جسّدها هو اليهودى التركى الخزرى " شبتاى زيفى " ونتج عنها دخول اليهود العـــثمانيين فى الإســـلام ظاهريا ، ممن أطلق عليهم اسم الدونما ، فقد اعتنقها يهود من خارج الدولـــة العثمانية ، وروجوا لفكرة إنشاء وطن قومى لليهود ، تجسيدا لدعوة " شبتاى زيفى " بعد موته عام ١٦٧٦م ، وظلت تنتقل من يهودى إلى آخر حتى جاء هرتزل إلى هذا العالم ، شـــيطان آخر من شياطين الإنس ، فجسد ذلك الحلم وتلك الدعوة فى اسطنبول ، واستطاع بمعاونة اليهود الدونما ، وغير المتخفين منهم ، أن يفرض إسرائيل وسط الأرض المقدسة .

دعا اليهودى الأنجليزى " أوليجربوللى " عام ١٦٩٥م إلى إنشاء دولة يهودية فى فلسطين وقدم طلبا للملك وليم الثالث بذلك ، ونادى هرمان مورتز اليهودى الساكسونى عام ١٦٩٦ عـــلى جميـــع اليهود أن يلتفوا حوله لإنشاء وطن قومى يهودى فى أمريكا . وهى الدعوة التى دفعت بتيارات الهجرة اليهـــودية إلى الدنيا الجـــديدة فى ذلك الوقت . ودعا لورد بالمرستون – وزيرخارجية انجلترا اليهودى – عام ١٨٣٩ يناصره لورد شافتسبيرى ، لإزالة الظلم الواقع على اليهود وعودتهم إلى الوطن الأم . وكانت تلك الدعوة حافزا لكى يهاجر الكثير من اليهود الإنجليز إلى سوريا وفلسطين[1] .

ولم يتأخر يهود فرنسا ، عن ترديد نفس الدعاوى ، ففى عام ١٧١٤م تباحث الفرنسى اليهودى لانجالرى ماركس مع سفير تركيا لدى فرنسا فى الأمر ونصحه التركى بعدم التحدث عـــن بيـــت المقـــدس أمام السلطان . لكن الفرنسيين لم يعدموا الوسيلة ، فلقد ظهر نابليون فى الصورة ، والنفوذ اليهودى فى فرنسا قد بلغ مداه وأسقط عرش إمبراطورها – كما سنرى

فى فصول قادمة إن شاء الله – وتيقن نابليون من قوة اليهود فى فرنسا ، ممثلة فى سيطرة أسرة روتشيلد على مالية البلد ، وسيطرة الماسونية اليهودية – ومنها نابليون – على مقاليد الحكم بهـا[٢] ، فنادى نابليون بونابرت اليهود الفرنسيين الذين طلبوا إحياء القدس القديمة بالتجمع تحت رايته لغزو مصر عام ١٧٩٨[٣] .

لم يـتأخر اليهـود فى باقى الدول الأوروبية عن مناصرة تلك الدعوة التى استشرت بين اليهـود ، فقـام الروسـى "السباى بستل " عام ١٨٢٠ بالدعوة إلى إنشاء دولة يهودية فى الأناضـول ، وهـو يدرك تماما ، كيف تمكنت "الأرملة السوداء "[٤] من إحكام خيوط بيت العنكبوت فى الدولة العثمانية ليقع فى شباكه كل ذى نفوذ . وقام ثلاثة من الروس : رابينوفتز – يينسـكر – شابيرا ، بتكوين جمعية أسموها (حفافاى زيون) – أى "محبة صهيون" ، فتردد صـداها بين اليهود فى ألمانيا وفرنسا والجلترا وأمريكا ، وآمن اليهود بدعوتها لإنشاء مستعمرة يهودية فى فلسطين . عقد اليهود المهووسون بتلك الفكرة اجتماعا فى بلدة "فلينا " عام ١٨٨٩ وتـلقوا أموالا من اليهود وأرسلوا متطوعين روس وأوربيين يهود إلى فلسطين ، واتفقوا على اخـتيار اسـم (محـبة صهيون) رمزا لجمعيتهم[٥] . كانت هذه الجمعية هى نقطة الانطلاق للصهيونية العالمية التى تولى تيودور هيرتزل تنفيذ فكرتها ، انطلاقا من الدولة العثمانية .

★ ★ ★

اسـتطاعت "الدونمـا " خلال القرن التاسع عشر أن تمهد الأرض العثمانية للالتهام ، لتحقيق ثلاثة أهداف :

أولاً : ضرب المسيحية فى أوروبا وإزالة نفوذ الكنيسة والبابا وقتل أكبر عدد من المسيحيين .

ثانيًا : تخريب الدين الإسلامى وقتل أكبر عدد من المسلمين وإنهاء وجود أمة إسلامية متحدة .

ثالثًا : تجسيد حلم التجمع فى بيت المقدس وإعادة الهيكل استعداد لعودة المسيح المخلص .

كـانت العلاقات بين الجلترا وروسيا فى ذلك الوقت على أحسن ما يرام ، ورأى اليهود أن الـتقارب المسـيحى بين قوتين كبيرتين فيه خطر على اليهودية . فاستطاع اليهود بزراعة دزرائيـلى اليهـودى داخل المجتمع الانجليزى ، السيطرة على تلك القوة ، "فجعل دزرائيلى رجال الحكم البريطانى يتشربون الكذبة القائلة أن روسيا العظيمة خطر على بريطانيا "[٦] .

وقــام اليهود بالسيطرة على القيصر الروسى عن طريق اليهود المتخفين تحت المسيحية ، وأعــادوا نشــر الماســونية فى روسيا ونتج عنها مجموعة من الاغتيالات السياسية كان أحد ضحاياها القيصر إسكندر الذى كان قد أوقف نشاطه على خدمة الدين المسيحى[٧] .

أمــا فرنسا فقد سيطر آل روتشيلد[٨] عليها تماما ، الذين استطاعوا إثارة الغوغاء على الإمــبراطور لويس السادس عشر حامى المسيحية ، الذى كان قد أصدر قرارا بإلغاء الماسونية فى فرنســا بعــد ســيطرة اليهود على مقدراتها ، وكذلك أثاروا الفرنسيين على كنيستهم . والسؤال الذى يطرح نفسه : كيف ؟ والأجابة بسيطة ، فيقول المؤرخ "هربرت فيشر "[٩] إنه عــلى الرغم من خروج فرنسا منتصرة فى الحروب الأمريكية ، وغناها من الأراضى والزراعة ، إلا أنهــا كانت مهددة بإفلاس خطير مخيف . ويحدثنا " روجيه جارودى "[١٠] عن النفوذ الذى تحظى به أسرة روتشيلد فى فرنسا وسيطرتها على البنوك والصناديق الخاصة باليهود فى العالم ، منذ دخولهم فرنسا وحتى اليوم .

وأصــبحت ألمانيا وإيطاليا والنمسا ، وهى الدول الفاعلة فى المجتمع الأوروبى إلى جانب روســيا وانجلترا وفرنسا تحت سيطرة البنوك اليهودية ، توجه سياساتها كيف شاءت . وهكذا أطــبق الأخطبوط اليهودى بأذرعه على القارة الأوروبية المسيحية ، وخططوا لقتل أكبرعدد مــن المســيحيين والمسلمين . نشبت حرب القرم،ونتج عنها ما يعرف بالمسألة الشرقية والتى دارت فيهــا الحــروب وســقط مئات الآلاف من القتلى من الجانبين المسيحى والإسلامى ، وتمخضــت عــنها تعديلات جوهرية فى البلقان والأناضول على حساب الدولة العثمانية – الإسلامية – وعمت المنطقة المذابح بين المسيحيين والمسلمين وامتلأت البحار بدمائهم .

وتــرجع أسباب حرب القرم[١١] إلى مطالبة الحكومة الروسية باستمرار رهبان الكنيسة الأرثوذكســية فى حراســة الأمــاكن المقدسة فى بيت المقدس . وكانت الكنيسة الكاثوليكية الفرنســية قــد طالبت بأن تشرف على تلك الأماكن أيضا . وقد أصدر الإمبراطور العثمانى فــرمانا بحــل وســط هــو إعطــاء مفاتيح الأماكن المسيحية المقدسة إلى الكاثوليك أسوة بــالأرثوذكس . وكان ذلك الأمر ذريعة لروسيا لإعلان الحرب على العثمانيين عام ١٨٥٣ واجــتاحوا أملاكها ، فقررت انجلترا – كان وزير المالية بها اليهودى دزرائيلى – وفرنسا – إمــبراطورها اليهودى نابليون الثالث – وكلاهما من أعضاء محفل ماسونى واحد[١٢] – دخول الحــرب ضــد روسيا . كانت حجة روسيا فى إعلان الحرب على العثمانيين ، هو قيام الدونما

العـــثمانية بتدبير مذابح للمسيحيين فى أراضيها، فقامت روسيا – المسيحية الأرثوذكسية – بشن الحرب لإنقاذ الأرثوذكس. وانتهت هذه الحرب بعقد معاهدة باريس فى ١٨٥٦/٣/٣٠، وكان اليهودى بالمرستون هو رئيس وزراء انجلترا فى ذلك الوقت .

أســـباب الحرب لاتخفى عن أى محلل . فلقد بدأت المشاكل فى بيت المقدس بين الرهبان الأرثوذكـــس والكـــاثوليك وبلا سبب معروف تاريخيا . ثم عمليات ذبح المسيحيين بواسطة الدونما فى الدولة العثمانية . وبداخل دوائر اتخاذ القرار الروسى يهود قادرون على دفع روسيا للدخول فى حرب بدعوى حماية العقيدة ، وفى انجلترا وفرنسا سيطرة يهودية تدفع الدولتين إلى دخول الحرب طرفا ضد روسيا بدعوى منع وصولها إلى المياه الدافئة ، وضد المسلمين بالدولة العـــثمانية . الذين لايفهمون سوى أنهم يدافعون عن الإسلام . وتكون نتائج الحرب ، معاهدة باريس التى أعطت الدول الأوروبية فى مادتها السابعة حق التدخل ثانية إذا رأت أن هناك أى إجراء أو حدث من شأنه أن يشكل تهديدا للدول الأوروبية . وأفردت المواد من ١٠ إلى ١٤ فى المعـــاهدة لحظـــر تواجـــد الأساطيل الحربية فى البحر الأسود مما يشكل قيدا على السيادة العـــثمانية ، وتدويـــل نهر الدانوب ومصّباته ووضعها تحت إشراف لجنة تعينها دول أوروبا . وجـــاءت المواد من ٢٠ إلى ٢٧ بتقليم الأظافر العثمانية على الأراضى الأوروبية التى فتحتها فمنحت صربيا استقلالا ذاتيا وكذلك مولدافيا وفالاشيا الرومانيتين[١٣] .

استطاعت "الدونما " العثمانية ، أن تحقق لنفسها مكاسب هائلة من تلك الحرب ، فلقد أصـــدر السلطان العثمانى أثناء انعقاد مؤتمر باريس المذكور ، خطا همايونيا ، يضمن للطوائف غـــير المســـلمة احـــترام حصاناتها التقليدية وحرية العبادة وإدارة ممتلكاتها دون أدنى عائق . وان جميـــع رعايا الإمبراطورية متساوين فى الضرائب والقضاء والتعليم وتولى وظائف واحدة والالـــتحاق بمـــدارس واحـــدة . وأهم ما جاء فى ذلك الخط الهمايونى : إعادة تنظيم الهياكل الإدارية فى الإمبراطورية العثمانية . أصبحت الحكومة العثمانية وكل إداراتها مباحة لليهود فى تلك الفترة ، وتحت حماية مباشرة من الدول الأوروبية ، التى يخطط سياساتها اليهود ، بما لهم من نفوذ مالى وسياسى فى تلك الدول .

★ ★ ★

عـــلى مدى السنوات العشرين التالية لمعاهدة باريس ، استطاع اليهود جرّ الامبراطورية العـــثمانية الجريحة ، إلى المزيد من النزيف البشرى والمالى ، فى حروب مستمرة وقطع أطرافها

جـــزءا فجزءا ، فلقد اتحدت إمارتا مولدافيا وفالاشيا الرومانيتين تحت صولجان " كوزا " عام ١٨٦١ وانســـحبت الحاميات العثمانية من صربيا عام ١٨٦٧ وقامت ثورة فى الجبل الأسود بـستدبير الـــروس ، ثم جاءت ثورة جزيرة كريت ومطالبتها بالانضمام إلى اليونان . ثم عادت الحروب بين الجيوش العثمانية وكل من صربيا والجبل الأسود والبوسنه والهرسك بتحريض من الـــروس والنمســـاويين ، وهددت روسيا بحرب العثمانين ، وعقدت مؤتمرا فى بودابست مع النمســا قررتا فيه اقتسام البلقان عام ١٨٧٧ ، وأغمضت الدول الأوروبية عيونها عن ذلك الاتفـــاق ، فأعلنت الدولتان الحرب واجتاحت الجيوش الروسية شمال بلغاريا وصربيا والجبل الأسود ، واحتلت النمسا والمجر البوسنه والهرسك . انتهت الغزوة الروسية النمساوية ، بعقد معـــاهدة "سان ستيفانو " عام ١٨٧٨م واستولت روسيا بمقتضاها على ولايات فى الأناضول وإلـــزام العـــثمانيين بدفع مبلغ ٤٠٠ مليون روبل كتعويض . وقد اضطر السلطان للإذعان لمطـــالب الـــروس . لكـــن الإنجليز اتفقوا مع السلطان سرًا على منحهم جزيرة قبرص مقابل التدخل لايقاف شروط تلك المعاهدة الجائرة .

واستطاع دزرائيلى دعوة الدول الأوروبية إلى مؤتمر برلين حيث أسفر عن :

- إعلان استقلال رومانيا – صربيا – الجبل الأسود .

- احتلال النمسا والمجر للبوسنة والهرسك .

- تقســـيم بـــلغاريا بإنشـــاء إمارة مستقلة فى صوفيا – ووضع باقى الولايات تحت الوصاية العثمانية مع منحها استقلالا ذاتيا .

وهكـــذا فقدت الإمبراطورية العثمانية على مدى العشرين سنة كل أراضيها الأوروبية دفعة واحدة وانكمشت حدودها الأوروبية فى اسطنبول وما حولها وحسب(١٤) .

وعـــلى الجبهة الداخلية ، فإن الدونما العثمانية لم تتأخر فى إشعالها فى ذات الوقت الذى تتلقى فيه تلك الإمبراطورية المتهالكة الضربات من كل اتجاه يحيط بها . قامت فى مايو ١٨٧٦ مظاهـــرات الطلـــبة التى اتسعت ونادت بإسقاط شيخ الإسلام ، ونديم باشا الصدر الأعظم ، اللذين اتهمهما الطلبة بمحاباة الروس . واضطر السلطان إلى إقالتهما فى محاولة منه لتهدئة الجبهة الداخلية والتركيز على حروبه . وشكل وزارة جديدة دخلها مدحت باشا بآرائه بوجوب إيجاد دستور للحكم فى الدولة العثمانية أسوة بالدول الأوروبية .

بـــدأت الـــدول الأوروبية – ولكل منها جالية فى الدولة العثمانية – فى إبداء الاهتمام برعاياها ، فعقد مؤتمر اسطنبول عام ١٨٧٦ حضره إلى جانب العثمانين : روسيا – إنجلترا – فرنسا – النمسا – ألمانيا – إيطاليا . وكان الحل هو إعلان مدحت باشا ، وقد أصـــبح صدرا أعظما للدستور يعلن فيه مساواة جميع الرعايا العثمانيين فى الحقوق والواجبات ، أى أنه كان نوعا من التقنين للخط الهمايونى دوليا[١٥] .

كانت تلك الفترة التى بدأت بحرب القرم وانتهت بمؤتمر لندن ، فترة نشاط علنى وخفى لليهود فى الدولة العثمانية، وأصبح لليهود اليد الطولى فى الاقتصاد والمال داخل الإمبراطورية ، وأصـــبح لـــلدونما العـــثمانية اليـــد الطولى فى السياسة والتسلل إلى أروقة السلطان وتجنيد الشخصـــيات الهامـــة فى جيش المحافل الماسونية ، على استعداد كبير لتنفيذ أى مخطط يهودى يطـــلب منهم تنفيذه . ولم يكن الحال وقفا على الدونما ، وإنما ظهرت بعد حرب القرم كتب ألفهـــا : جـــورج إليوت – دانيال دروندا – لازار ليفى – أرنست هاران (الكاتب الخاص لنابليون الثالث) من بينها : (إحياء الأمة اليهودية) و (بعث القومية اليهودية من جديد)[١٦] . تجاوبت تلك الكتب التى صدرت بمختلف اللغات الأوروبية مع دعوة "شبتاى زيفى "اليهودى مبـــتدع "الدونمـــا " الـــذى اسمى نفسه (محمد افندى) ليتمكن هو ومن تبعه من اليهود الخزر الأتـــراك من العبث بدين الإسلام كيف شاءوا ، بدءا بالإمبراطورية العثمانية التى كانت تمثل الخلافة الإسلامية فى العالم ، رمزا لذلك الدين القيّم الذى يحفظه الله بعزته قويا لا يتزعزع أمام كل قوى الشر اليهودية بإذن الله تعالى .

★ ★ ★

جـــثم اليهود بكل ثقلهم الدولى على أنفاس الإمبراطورية العثمانية المتهالكة . وأظهرت انجلترا – القوة الكبرى فى تلك الحقبة من التاريخ – بمن يحكمها ويوجه سياستها من اليهود ، الضغط السياسى والاقتصادى والعسكرى على العثمانيين ومن حولهم ، لإبراز حقيقة واحدة ، أنها تحمى اليهود ولن تتوانى عن ذلك أبدا . وهناك قصة تاريخية توضح مانرمى إليه . فقد نشأ "ديفيـــد باســـيفيكو " اليهودى فى جبل طارق وعمل بالتجارة فى البرتغال وعين قنصلا لها فى المغـــرب ثم قنصلا للبرتغال فى اليونان حتى عام ١٨٤٧ عندما تحول إلى العمل الحر باليونان . وكـــانت عادة المسيحيين الأرثوذكس فى اليونان ، أن يقوموا بحرق تمثال خشبى يمثل "يهوذا " فى عيـــد الفصح . وتصادف وجود أحد أفراد روتشيلد اليهودية باليونان للتفاوض على تقديم

قــرض لحكومتها ، فقررت الحكومة اليونانية منع إجراء ذلك التقليد حتى لاتغضب روتشليد فثار اليونانيون المسيحيون وهاجموا بيت " ديفيد باسيفيكو " اليهودى وأحرقوه . لم يتاخر وزير خارجية إنجلترا فى ذلك الوقت – اليهودى بالمرستون – فى إرسال قوة بحرية إنجليزية إلى ميناء بيريه وحصار اليونان ومصادرة مائتى مركب يونانية وتغريمها مائة وخمسين ألف دراخمه تعويضا لذلك اليهودى الإنجليزى البرتغالى(١٧) .

تــرنح "الرجل المريض " ورأت الدول الأوروبية ، وهى فى أوج عهد الاستعمار العالمى لــدول القارتين الأفريقية والأسيوية ، أنها أحق بوراثة الإمبراطورية العثمانية التى لم يصبح لها حــول ولا طــول . غارقــة فى مشاكلها الداخلية التى لعبت فيها الدونما دور بطل المسرحية الهزلية .

غرق السلطان فى مشاكل الحفاظ على "كرسى السلطان " ومواجهة المؤامرات التى تحاك حوله ، وغرقت الحكومه فى دوامة إثارة الفتن الدينية وإثارة العصبية القومية وتحرك الشعوب الأوروبيــة والعربية على التمرد والثورة . وكل رجال الحكومة غارقون فى الرشوة والفساد ، كــل مــنهم طــبقا لمركــزه ومهارته ،من السلطان إلى الوزراء إلى حكام الأقاليم والمديرين والموظفين، أما رجال الدين ، فالقليل منهم تمسك بدينه وبكرامته ، فلقى الاضطهاد والإبعاد ، وحظى بالقرب والنفوذ لفيف من المنافقين والمشعوذين (١٨) .

زادت مخاوف السلطان على عرشه ، وزاد عجز الحكومة سياسيا وعسكريا عن مواجهة الاضــطرابات المندلعة فى أرجاء الدولة ، فازداد البطش والإرهاب الذى شمل كل أفراد الملل ســوى اليهــود فى الدولة العثمانية . ووقعت المذابح التى لطخت صورة تركيا بأبشع وأقبح صــورة فى مختلف أنحاء العالم . ولقد أسهمت أجهزة الاعلام الأوروبية بل والأمريكية فى إبراز تلك المذابح ضد الأرمن والأكراد وتشويه صورة تركيا والسلطان عالميا . تستثير المشاعر ضد الدولة العثمانية تمهيدا لسنوات قادمة يضرب فيها اليهود ضربتهم الكبرى . ويرجع الكثير من الكتاب ، تلك الحملة الشعواء التى قامت بها وسائل الإعلام الغربية المملوكة لليهود ، بأنه الرد على رفض السلطان العثمانى عبد الحميد منح بيت المقدس لليهود . فلقد سعى هيرتزل إلى لقاء السلطان وطلب منه منح اليهود فلسطين ليقموا فيها داخل نطاق الإمبراطورية العثمانية فقال لــه السلطان : " اقترح إى مكان آخر فى الإمبراطورية غير فلسطين لإقامة دولة اليهود التى تفكــر فيها . أما فلسطين فلا أستطيع فهى ليست ملكا لى ، إنها وفيها القدس ملك للمسلمين جميعا "(١٩) .

لم يعـــارض السلطان العثمانى إقامة الدولة اليهودية فى أى مكان من أملاكها الأخرى ، لكـــنه عارض وجودها فى القدس خوفا من إثارة مشاعر المسلمين فى كل أنحاء الدنيا ، وكانت المشاعر تلك تموج بالغضب ، لايحتاج السلطان إلى المزيد منها . استطاعت "الدونما " العثمانية بـــنفوذها أن تـــرغم السلطان عبد الحميد على استقبال ذلك الصحفى النمســـاوى "تيودور هيرتزل " للاستماع إليه وما يطلبه فى شأن الوطن القومى لليهود على أرض فلسطين . وعندما تيقن هيرتزل من الرفض البات للسلطان لمطلب اليهود ، بدأت الحملة الإعلامية الدولية ضد السلطان وضد دولته ، وتم فضح النظام العثمانى بما لدى "الدونما " العثمانية من معلومات تمس شرف كل المسئولين فيها ، قاموا بالإعداد لها مسبقا .



يعتـــبر الدكـــتور تيـــودور هيرتزل ، هو مؤسس حركة الصهيونية السياسية فى عصرها الحديث التى يمكن تعريفها بأنها فكرة لإنشاء دولة يهودية فى فلسطين . وهو نفس المبدأ الذى خطط له " شبتاى زيفى " مؤسس الدونما العثمانية ، أو (محمد أفندى) بعدما طبّق النظام الذى ابتدعه متظاهرا بالإسلام . لم يغط هيرتزل يهوديته ، بل جاهر بها فى عصر ، استولى اليهود فيه على مقدرات الدول الأوروبية الكبرى وعلى رأسها : انجلترا وفرنسا وألمانيا وروسيا .

بـــدأ هيرتـــزل نشاطه عام ١٩٨٥ وهو فى سن الخامسة والثلاثين من عمره ، وكان قد درس الحقـــوق وحصل على درجة الدكتوراه من فينا مسقط رأسه ، وعمل بالصحافه وأرسل إلى بـــاريس مراسلا لصحيفة (الجريدة الحرة الجديدة) حيث بدأ منها اتصالاته من أجل تحقيق فكرة الوطن القومى لليهود فى فلسطين . ولقد كتب هيرتزل مذكراته كاملة خلال الفترة من ١٨٩٥ وحتى مات عام ١٩٠٤ فى ألفى صفحة محفوظة فى سجلات المركز الصهيونى بالقدس ومدوّن فيها يومياته الخاصة بالمراسلات والمباحثات والمقترحات التى قدمها و النتائج التى حصل عليها مع رجال الدولة فى روسيا وألمانيا والنمسا وانجلترا وفرنسا وإيطاليا وتركيا[٢٠] .

أضاف الكاتب التركى " د. ياشار قوطلى آى " فى كتابه (الصهيونية وتركيا) – والذى قتل بعد نشره واختفت كل طبعاته التركية ، إلى معرفة من قرأ الكتاب ، بالحقائق التى أخفاها اليهـــود "الدونما " لسنوات طويلة عن أحداث الاتصالات والرشاوى التى جرت بينهم وبين الحـــركة الصـــهيونية العالميـــة حتى استطاعوا إقناع السلطان عن طريق حاشيته من عملائهم باســـتقبال ذلـــك الصحفى النمساوى ، الذى يمكنه باتصالاته من تدبير مبالغ طائلة يقرضونها

للعـــثمانيين للتغـــلب عـــلى الأزمة المالية المدمرة التى أحاطت بها من جراء الحروب الخارجية والاضطرابات الداخلية .

وتشمل خطابات هيرتزل ومذكراته[٢١] :

- اتصالاته باليهودى النمساوى الغنى "جودمان " ، والذى كان رفيقا لكبير حاخامات اليهود، وعرض هيرتزل فكرته بإنشاء الوطن القومى لليهود وطلب من "جودمان " أن يوافيه بتقرير عن اليهود فى النمسا والمجر وألمانيا وروسيا ورومانيا . وطلب منه أيضا الحفاظ على سرية الأمـــر بيـــنهما . ولقـــد أصبح "جودمان " من مروّجى الحركة الصهيونية ومن مساعدى هيرتزل .

- بعـــث هيرتـــزل بخطابـــات إلى الحاخامـــات وأصـــحاب مناجم الفحم وملاك الصحف والدبلوماســـيين والضباط من اليهود يقول لهم " إن تركيا فى اضطراب من أمرها . يا ترى الا يمكـــن أن يرتبط حل المسألة الشرقية بتقسيم تركيا ؟ فقد نتمكن من أخذ قطعة أرض محـــايدة لنا . " وينقل لهم على لسان "السير صمويل مونتاجو " صاحب البنوك الإنجليزية بأنه يشعر انه إسرائيلى أكثر من اى شخص إنجليزى ، وأنه يريد أن يسكن فى فلسطين مع جميع عائلته ، فلسطين أكبر مما كانت عليه فى العصور القديمة .

- وبعث بخطاب إلى مساعده "جودمان " يشرح له مقابلته مع " ألباى جولد سميث " الإنجليزى الـــثرى الذى استعمل لفظ "إسرائيلى " بدلا من "يهودى" لأنها تعنى كل القبائل اليهودية واقتناع الإنجليزى بإنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين وضمان مساعدة كل الإنجليز لهم .

- اتصالاته مع " نيولنسكى " البولندى الأصل المجرى الجنسية ، الدبلوماسى فى سفارة النمسا والمجرباســـطنبول وصديق السلطان عبد الحميد . وكذلك اتصالاته مع "وليم هكلر" قس الســـفارة الإنجـــليزية فى النمسا ومستشار قيصر ألمانيا، الذى رتب لهيرتزل مقابلة القيصر الألمانى .

- زيـــارة "ديونـــس روزنفليد " رئيس تحرير جريدة (البريد العثمانى) لهيرتزل فى بودابست وإخطاره بالصداقة المتينه التى تربطه بعزت بك أحد ندماء السلطان عبد الحميد .

- لقائه مع "جاويد بك " ابن الصدر الأعظم خليل رفعت باشا .

- مقابلات هيرتزل مع "عزت بك " ومع سفير تركيا فى فينا ، ومع "ليوبولد لاندو " الطبيب الألمانى والأستاذ فى كلية طب برلين ومن كبار الصهاينة الألمان .

- خطابـــات متواصلة عن اتصالاته بشأن تقديم القروض اليهودية أو المساعدات إلى السلطان مقابل أرض فلسطين ورفض السلطان للأمر .

- ويحدد هيرتزل فى كتاب له عن محادثاته مع عضو لجنة العمل "ماكس بودنهايمر " ، أن المنطقة الـــتى يـــريدونها وطنا لهم : تمتد من الفرات إلى النيل ، وأن يسبق ذلك فترة انتقالية مماثلة للعلاقة القائمة – فى ذلك الوقت – بين مصر والسلطان .

- فرحـــته بأن آل روتشليد اشتروا أربعين ألف دونم فى فلسطين ، وأن تلك المساحة ستزداد تدريجيا .

- تفاصـــيل حديث "نورى بك " الكاتب العام بوزارة الخارجية التركية مع هيرتزل واقتراح التركى "الدونما " تأليف جمعية تعمل فى قصر السلطان ، واقتراحه المطالبه "بحلب " ثم شراء أراضـــى حول بيروت ثم يتوسع من هناك وطلب فلسطين ، "عندما تحس أنهم فى حاجة إلى مساعدتكم " .

- وخطاب آخر من هيرتزل لصديقه يخبره فيه أن "نورى بك " أرسل له قائمة مع أحد أعضاء جمعيـــتهم بشـــفرة خاصـــة بأسمـــاء ومراكز المسئولين الأتراك لذكرها – دون الأسماء – فى مراسلاتهم .

- يـــتحدث عن "رشيد أفندى " – أحد رجال الدونما . كان أرمنيوس فامبرى يهودى مجرى اهتم بالدراسات الشرقية وبقى فى اسطنبول عام ١٨٥٧ م وعمل كاتبا لفؤاد باشا ثم أظهر إسلامه . عاد إلى بودابست وارتد ، وصار أستاذا فى جامعتها وعمل لحساب هرتزل .

وكان ذلك اليهودى المجرى على علاقة مباشرة مع السلطان عبد الحميد .

- وكتب هـــيرتزل إلى صديقه "جودمان " من اسطنبول فى مايو ١٩٠١م بالشـــفرة يقول له " قـــال السلطان لى : أظهرت صداقتى لليهود منذ زمن بعيد . إننى اعتمد على المسلمين واليهـــود فقط ، ولا أثق نفس الثقة بأحد آخر من تبعيتى فى أى وقت من الأوقات . لقد حرصـــت دائما علىأن يبقى باب الإمبراطورية مفتوحا أمام المهاجرين اليهود لكى يكون ملجأ لهم " .

كان اللقاء الأخير لهيرتزل مع بابا روما فى ٢٦ يناير ١٩٠٤م للتباحث معه فى مشروع استيطان اليهود فى فلسطين وطلب موافقة البابا زعيم المسيحيين . قال له البابا : " إننى أعرف أن الأراضى المقدسة ليست على مايرام فى يد الأتراك ، لكنى لاأطلب أو حتى أفكر فى أن تكون فى يد اليهود . يريد اليهود أن يذهبوا إلى هناك لانتظار المسيح الذى جاء قبل قرون ، أو يكونوا بلا دين . وفى كلتا الحالتين لاأوافق على ذلك . لاأفكر فى ذلك بالنسبة للقدس والأماكن المقدسة فقط ، بل بالنسبة لفلسطين كلها . إن يرد اليهود أن يتخلصوا من الطرد والمذلة ، فعليهم أن يرجعوا إلى الدين الصحيح إلى المسيحية ويعمّدوا بالماء المقدس " .

ولم يتحمل هيرتزل حديث بابا الكاثوليك ، فمات كمدا وغيظا بعد عدة شهور أمضاها فى مرض مستمر ، لكن ذلك الداعية اليهودى استطاع بمؤتمر بازل عام ١٨٩٨م أن يضع بذرة الوطن اليهودى فى فلسطين ، تاركا المسيرة بعده إلى ناحوم جولدمان .

★ ★ ★

نشر أحد الكتاب السلافيين – جريجوى بوستونيش – كتابا بعنوان (حقيقة بروتوكولات صهيون) وصور الصهاينة فى صورة أفعى شيطانية ، وقد أحاطت بأوروبا . فرأسها فى أوروبا ونظرها إلى القسطنطينية جنوبا . ويقول الكاتب إن نجاح حركة الأفعى الشيطانية لم يكن بسبب أن تركيا يحكمها العثمانيون ، وإنما يعود الفضل إلى نجاحها للديكتاتور الفعلى لتركيا مصطفى كمال اليهودى المغولى[٢٣] .

يعتبر مصطفى كمال الذى أطلق عليه اسم أتاتورك فعرف به ، لغزا فى نظر الكثيرين من المؤرخين ، لكنهم اتفقوا بشكل أو آخر على أنه من طبقة "الدونما" ، يهود تركيا المتظاهرين بالإسلام . وحتى اليوم ومنذ وفاة أتاتورك عام ١٩٣٨ ، لم تجرؤ صحيفة تركية على كتابة مقال واحد يتعرض لأتاتورك وحكمه المطلق بالنقد ، ولم يصدر فى تركيا كتاب واحد يهاجم ذلك الرجل . السبب بسيط جدا ، فلقد أصدرت الحكومة التركية قانونا يعاقب بالسجن لمدة طويلة كل من يتعرض لسيرة أتاتورك وحكمه بالنقد . فإن حدث ووجد المرء كتابا يهاجم أتاتورك – مثل كتاب الصنم – فاعلم أن مؤلفه التركى لايعيش فى تركيا ، بل لاجئا فى بلد أخرى[٢٤] .

يعتبر فشل هيرتزل فى الفوز بفلسطين لقمة سائغة يأخذها بفرمان من السلطان العثمانى نظير إقالة عثرته المالية ، بداية التنظيم المحكم اليهودى لتحطيم تلك الإمبراطورية المتهالكة

هـدف أخير هو أخذ فلسطين وطنا قوميا لليهود . لعبت " الأرملة السوداء " دورها داخل تركيا بصبر وترتيب وتخطيط ، تساعدها على الصعيد الخارجى دول أوروبا المتعطشة إلى التهام المستعمرات الإسلامية ، يخطط لتلك الدول الكبرى رؤساء وزارات ورجال مال وساسة من اليهود ، سواء فى انجلترا - صاحبة اليد الطولى فى البحار - أو فى فرنسا التى تحكمها الماسونية العالمية التى تحركها أيدى آل روتشيلد ، أو فى روسيا التى يسيطر على مقدراتها اليهود الخزر الذين تملكوا القصر الإمبراطورى ، وعلى جانب الغرب من العثمانيين ، النمسا التى تعج باليهود هى وألمانيا - بروسيا فى تلك الحقبة من التاريخ - وفى اليونان جالية يهودية كبيرة تحتكر المال والأعمال . وفى كل الولايات العثمانية ذات الأغلبية غير المسلمة كالبلقان والبلغار والرومان والألبان ، والأقاليم التركية المحيطة ببحرى قزوين والأسود ، جاليات يهودية تنفخ الهواء لإثارة الرماد المسيحى ضد الإسلام وجعله حرائق تلتهم أصحاب الديانتين .

جرّ اليهود المسيطرون على مقدرات الدول الأوروبية ، الإمبراطورية العثمانية إلى سلسلة من الحروب الإقليمية ، فاستطاعت تلك الدول وخاصة روسيا تقليم الأظافر العثمانية وقطع سيطرتها على أقاليم الأناضول الشمالية وضمتها إلى ملكها . واستطاعت الدول الأوروبية أيضا أن توقد النار فى صدور المسيحيين من أبناء الأقاليم العثمانية الأوروبية . لم يكن الحلم الروسى بابتلاع الأراضى العثمانية مجرد حلم ، بل كان ضرورة له دوافعه من أجل الثروة والسيطرة بعد أن استطاع أن يتوسع شرقا فى الأراضى الآسيوية حتى وصل إلى المحيط الهادى فى عهد إيفان الرابع .

تفجّر الزيت فى أرض عبدان تفجرا طبيعيا ، وكانت "الزرادشتيه " - عبدة النار - يوقدون شعلة يبقونها متقدة يتبعون تقليد تمجيد النار فى إبقاء ضياء الشعلة الخالدة رمزا لعقيدتهم الوثنية .

وقد أيقن القيصر الروسى بطرس الأكبر عام ١٧٢٣ فائدة ذلك الزيت الاقتصادية فبدأ فى استغلال حقول باكو . كان البترول ، والتدافع الدولى لامتلاكه هوالذى أفرز وضعا سياسيا فى المنطقة(٢٥) ، فاتجهت انظار أوروبا التى تريد دفع عجلة نهضتها الصناعية تطالب بتوفير حاجتها من الطاقة . فإذا التقى المال والسيطرة ظهر اليهود . المال والثروة فى الأراضى الخاضعة للإمبراطورية العثمانية وفى إيران المجاورة ، وكلتا هما تدين بالإسلام . والإسلام ، بالنسبة لما يصوره اليهود للمسيحيين ، يجب الثأر منه ومن معتنقيه الذين احتلوا الأراضى المسيحية

فى أوروبا والذين هزموا المسيحيين فى بيزنطة واستعبدوهم فى نطاق الإمبراطورية العثمانية . كل العـلل والأسـباب جاهزة لدى اليهود ، لكى يتبناها اليهود الذين يحكمون الدول المسيحية الأوروبيـة ، ليـنفذ المسيحيون مايريده اليهود . والثمن : وطن قومى صغير من أملاك تلك الإمبراطورية العثمانية المسلمة .



تحركت الدونما طبقا لخطة موضوعة . تهيئة الساحة العثمانية الداخلية للثورة عن طريق : إثارة الفتنه الطائفية بين الأرمن المسيحيين والمسلمين ، لإذكاء النار التى تعتمل فى نفوس أتباع السيد المسيح خوفا على أبناء ملتهم من السفاحين المسلمين . العمل على إفقار الخزانه العثمانية وإفلاسـها ودفعهـا إلى الاقتراض وما ينتج عنه من تغلغل للنفوذ الأجنبى من جهة ، وارتفاع الأسـعار وانتشـار الفقـر من جهة أخرى ، وكانت الطريقة المثلى التى أملتها الدونما على العثمانيين هى ضرورة البدء فى عملية الإصلاح الاجتماعى وماتطلبه الأمر من الإنفاق السريع والكـبيرالذى أودى بكـل ثـروتها ، بعلة الإسراع فى التحديث ومواكبة التقدم الأوروبى . والهـدف الأكبر وراء ذلك كان إيجاد نوع من التذمر الداخلى فى أرجاء الإمبراطورية بسبب التخلى عن أعراف إسلامية سادت وحكمت ولايات تلك الإمبراطورية الشاسعة .

ولـدت حـركة (تـركيا الفتاة) عام ١٨٨٩ ، فى ذكرى مرور مائة عام على الثورة الفرنسـية ، التى نادت بالحرية والإخاء والمساواة ، تلك الشعارات الزائفة التى جمعت حولها الغوغـاء الفرنسـيس يأخذون من معنى الحرية : حرية القتل ، ومن معنى الإخاء : السلب ، والـنهب ، ومن معنى المساواة : سيادة السفلة على النبلاء . ولاتزال أحداث الثورة الفرنسية التى مضى عليها قرنان من الزمان ، محل جدال بين المؤرخين ، لكنهم يتفقون جميعاعلى أن الذى ركـب أعلى موجاتها "روبسبير" اليهودى ، الذى كان كبير خطباء نادى اليعاقبة[٢٦] ، وكان كـل أعضـاء مدبـرّى الثورة من الماسونيين ، وأن هدف الثورة الأول ، كان هو إلغاء نفوذ الكنيسة الكاثوليكية ، وتمكن اليهود عن طريق مذهب "اليعاقبة " أن يظهروا المسيحية فى ثوب جديـد يخفى تحت طياته اليهودية السافرة ، حتى لايصدم المسيحيون الفرنسيس الذين كانت الكنيسة هى محور حياتهم قبل الثورة .

لقد كان تحت تصرف الثورة الفرنسية أموال ومنظمون وغلاة ومتطرفون وتحولت رئاسة الثورة الفرنسية وتخطيط مستقبلها إلى نادى اليعاقبه الذى أصبح خلال وقت وجيز هو الحاكم الحقيقـــى لفرنسا[٢٧] ، فأخضع رجال الدين المسيحى لدستور مدنى وصادر أملاكها ، وجعل انـــتخاب القساوســـة من ناخبى المديريات بواسطة أشخاص علمانيين وبروتستانت أو حتى مـــلحدين [٢٨] ولا أدل على ماسونية نابليون بونابرت ، من أنه عندما اجتاح فلسطين بجيشه من مصر واتخذ دير الناصره مقرا له ، جمع ضباطه وقرأ عليهم التوراة ويقول لهم إنه كان لابد من استرجاع فلسطين من الأتراك[٢٩] .

كانت الثورة الفرنسية إذن هى ملهم مؤسس حركة (تركيا الفتاة) التى بدأت بعدد من طلاب مدرسة الطب العسكرى باسطنبول ، فشكلوا جماعة سرية معارضة لنظام السلطان عبد الحميد وأطلقوا عليها اسم الاتحاد العثمانى ، وأنشأت خلايا لدعوتهم بين الطلاب فى الجامعات العســكرية وتجنيد أعضاء من الضباط العاملين . كانت تلك الحركة هى الشرارة التى ولدت نوعـــا من العصيان المدنى والمظاهرات المنادية بعودة الدستور ، ووجدت الحركة أنصارا لها فى القاهـــرة ورومانيا ولندن وجنيف ، لكن التأييد الأكبر جاءها من فرنسا[٣٠] ، وتزعم الدعوة لتـــلك الحركة " أحمد رضا " أحد تلاميذ ليسيه أسطنبول الذى سافر إلى فرنسا وأصبح مديرا للتعليم العام ثم سافر إلى باريس مع بداية الاضطرابات وأصدر صحيفة بها تؤيد العصيان ضد الســـلطان . وكـــان الثانى " مراد ميزانجى " وكان أصله من روسيا وعمل كأستاذ للتاريخ ، ثم فـــرّ إلى القاهرة وأصدر بها جريدة "ميزان " ، لكن السلطان رشاه وأعاده إلى تركيا وأصبح فى خدمة السلطان[٣١] . وسافر" أحمد رضا " إلى القاهرة عام ١٨٩٩ بعد خمود الحركة وأصدر كـــتابا (الواجـــب والمسئولية : الجندى) يحث الضباط فى تركيا على الثورة واستبدال حركة (تركيا الفتاة) التى تمارس نشاطها من المنفى بحركة مماثلة تعمل من تركيا[٣٢] .

لم تكن الدعوة الإعلامية الصادرة من مصر ضد السلطان العثمانى قد جاءت اعتباطا ، بل لأن القاهـــرة والإسكندرية ، كانتا هما مأوى الحركة اليهودية العالمية . كان "يعقوب صنوع " يصـــدر جـــريدته (أبو نظارة زرقاء) وأسس اليهود جمعية سرية فى الإسكندرية تصدر جريدة (مصر الفتاة) لمهاجمة الخديوى إسماعيل وحتى تولى توفيق حكم مصر . وإلى قيام الحرب العالمية الأولى كان اليهود يتظاهرون بتأييد الدولة العثمانية – فقد كانوا ممثلين فى جمعية الاتحاد والترقى – ومـــن خلال هذا التأييد نجحوا فى مضاعفة عمليات شراء الأراضى فى فلسطين ، واستقبال أعداد كبيرة من اليهود المهاجرين من روسيا وشرق أوروبا[٣٣] .

★ ★ ★

إزداد الوضع الداخلى سوءا فى الإمبراطورية العثمانية ، بحوادث الاغتيالات ، وكانت أشدها وطأة محاولة شاب أرمنى اغتيال السلطان ، عام ١٩٠٥ ، وقبلها كانت حرب البلقان عندما عجزت الحكومة العثمانية على حل المشكلة المقدونية . كانت تلك الحرب فرصة لتبادل الضباط الأتراك التصريح بتزايد السخط الشعبى التركى على السلطان . وقد انبثقت عن الضباط العثمانيين عام ١٩٠٦ ، جمعية سرية من الضباط الشبان فى سوريا ، فكونوا (لجنة الوطن والحرية) . كان من بينهم شاب يدعى مصطفى كمال . ملازم حديث التخرج أوضح لهم أن له صلات قوية مع المعارضين فى سالونيك مسقط رأسه[٣٤] .

"كانت المحافل الماسونية فى سالونيك هى القناة الأكثر فعالية لترويج إيديولجية حركة (تركيا الفتاة) وكان بعض أعضاء اللجنة أنفسهم منتمين إلى الماسونية . كانت المحافل تتيح شبكة مأمونه لأعضاء اللجنة الذين يمكنهم العمل هناك فى مأمن . وهكذا يمكن الحديث بشكل أكبر عن استخدام المحافل من جانب المنتمين إلى حركة (تركيا الفتاة) للتغلغل فى الوسط السالونيكى . كانت اللجنة عبر المحافل ذات الانتماء الفرنسى على اتصال بالبرجوازية اليهودية . وقد اتخذت لجنة سالونيك اسم الاتحاد والترقى "[٣٥] .

سرت فى المدن الكبرى بالإمبراطورية العثمانية حركات متتالية من الاضطرابات والمظاهرات تطالب بإلغاء الضرائب وإعادة العمل بالدستور وجاء شتاء ١٩٠٦ قارسا وارتفعت الأسعار وخرجت النساء فى الشوارع تطالب بالخبز . وواكب تلك الفترة العصيبة من التارخ التركى ، عقد اجتماع سرى عام ١٩٠٧ بين الإنجليز والروس - بين نيقولا الثانى وإدوارد السابع - وفضح الألمان ذلك الاجتماع وأنه كان يهدف إلى تقسيم الإمبراطورية العثمانية .

قام نيازى بك فى أوائل عام ١٩٠٨ أحد قادة الجيش وصعد برجاله إلى الجبال ، فى تمرد ضد السلطان ، وتبعه فى الانضمام إلى ذلك التمرد البكباشى أنور ، أحد قادة (تركيا الفتاة) ، وهو مايعرف بتمرد مقدونيا ، فأرسل السلطان عبد الحميد قوة عسكرية لإخماد ذلك العصيان، فانضمت القوة إلى المتمردين . بدأت حركة لاغتيال رجال القصر ومظاهرات تطالب بإعادة الدستور ، وركبت لجنة الاتحاد والترقى الموجة وتزعمت حركة العصيان ضد السلطان .

على الرغم من نجاح الحركة فى فرض شروطها على السلطان واختيار الصدر الأعظم - رئيس الوزراء - إلا أن لجنة الاتحاد والترقى ظلت سرية فى سالونيك ، تشكل جماعة ضغط

ســرية ، وتفــوض ممثليها فى الولايات وترسل الوفود إلى السلطان أو الصدر الأعظم لعرض وجهــة نظــرها ثم فرضها[٣٦] . ويذكر التاريخ[٣٧] أنه " تم فى سالونيك إنشاء الاتحاد العمالى الاشــتراكي الذى سعى وهو تحت هيمنة عناصر يهودية أساسا إلى تكوين وعى طبقى يتجاوز التباينات الدينية والعرقية بين صفوف عمال سالونيك " .

عندما تمكنت حركة الاتحاد والترقى من الحكم فى اسطنبول وفرضت سيطرتها على كل أركانهــا الــتركية ، أعيد نيازى باشا إلى ثكناته وأرسل أنور باشا إلى ألمانيا ملحقا عسكريا . وتم اختيار "جاويد بك " – اليهودى – وزير للمالية . كانت سياسة "جاويد بك "ودعوته هى تجهيــز البلاد بالطرق والسكك الحديدية تمهيدا للتخطيط المتقن إلى جر العثمانيين إلى خندق الديون والإفلاس . "وهكذا فإن لجنة الاتحاد والترقى تمثل منظمة مركّبة تنتمى فى آن واحد إلى المحفــل الماســونى والخــلية الثورية والحزب السياسى ، كلها وراء نبرة الكلام عن التحررية والديمقراطية "[٣٨] .

عندما تأكدت الدونما من تهيئة الساحة الداخلية العثمانية ، لتقبل التغيير ، والسخط على الســلطان والحكــام ، عقدت لجنة الاتحاد والترقى مؤتمرا فى اسطنبول عام ١٩١٣ وشكلت المؤسســات التى تدير الحركة ، والتى أصبحت كحزب سياسى من مجلس عام ولجنة مركزية وأمانــة عامة . فرضت الحركة على السلطان تعيين طلعت باشا صدرا أعظم وأنور باشا وزيرا لــلحربية ، وجمــال باشا وزيرا للبحرية . كان الثلاثة من المسلمين ، هم ظاهر تلك الحركة الماسونية اليهودية ، لايفكرون إلا فى إنقاذ تركيا مماتردت فيه ، غير مدركين لما يجرى وراءهم فى الخفــاء . وعينت اللجنة مصطفى خيرى بك أورجو يلو ، شيخا للإسلام وكان على دراية بالشئون الدينية ، لكنه بعيد عن الوسط الإسلامى المحافظ .

أما اللجنة المركزية فقد ضمت من بينها ، رجال الدونما العثمانية :

– دكتور ناظم : الموجه الخفى للجنة الاتحاد والترقى ، وهو لن يظهر إلى النور إلا عام ١٩١٨ عندما يتولى وزارة التعليم .

– دكتور بهاء الدين شاكر : وهو يرأس الشعبة السياسية للتنظيم الخاص بالتجسس والدعاية والتحريض .

– ضياء جوقلب : إيديولوجى الحركة .

- مدحت شكرو : مؤسس فرع الجمعية فى سالونيك .

- قره كمال : الذى صار وزيرا للمالية .

- إيمانويل كاراسو : اليهودى السافر ، الذى لعب دورا معينا داخل اللجنة من وراء الكواليس(٣٩) .

لم يظهر مصطفى كمال "أتاتورك " على الساحة العلنية لحركة الاتحاد والترقى ، بل جرى نوع من التصفية بطريقة أو بأخرى لقادة الحركة من المسلمين . فبعد دخول تركيا الحرب إلى جانب ألمانيا وبعد أن تأكدت هزيمتها ، وضع قادة الحركة المسلمين : طلعت وجمال ونيازى على بارجة ألمانية ، كان من المفترض أن يلجأوا إلى ألمانيا .بينما قاد أنور باشا جيشا عثمانيا لمحاربة الروس فى تركستان أبلى فيها بلاء حسنا رغم الثلوج والصقيع وأسره الروس بخدعة ، دبّرت بعناية حيث اختفى بعد ذلك . واستولت روسيا على تركستان بعد مذابح بشعة لسكانها المسلمين ولجيش أنور باشا الذى سقط رجاله الشهداء وهم يرددون : لاإله إلا الله . محمد رسول الله .

وفرضت هدنة مودروس فى عام ١٩١٨ شروطا قاسية على الأتراك ، احتل الإنجليز اسطنبول واحتل الفرنسيون قليقله وتقدم اليونانيون حتى حدود القسطنطنية والتهمت إيطاليا بعض أجزاء ولاية أنطاليا . وانعقد مؤتمر صلح باريس عام ١٩١٩ بالشروط المهينة التى فرضت على تركيا المستسلمة . فعندما دخل الجنرال "فرانشيه ديسبيرى " اسطنبول عام ١٩١٩ راكبا حصانا أبيضا مثلما فعل محمد الفاتح عندما فتح القسطنطينية ، قال : "إن مختلف الأقليات فى الإمبراطورية بعد خمسة قرون ، اعتمادا على الوعود التى قدمت إليها ، تستعد على أية حال لتقسيم عظيم تفكر فيه الدول منذ نحو نصف قرن ، والحدود مرسومة كلها بالفعل فى الأذهان . يونان كبرى تستوعب تراس الشرقية واسطنبول والأناضول الغربية . جمهورية بحر اسود شريط ساحلى كبير ماهول بمسيحى البحر الأسود . دولة أرمينية . كردستان ذات حكم ذاتى ومنتشرة فى قلب آسيا الصغرى . أشور مسيحية تشمل ولايات الموصل وخربوط وديار بكر وأورفا . وطن قومى لليهود فى فلسطين . أراضٍ عربية موضوعة تحت حماية الحلفاء الغيورة "(٤٠) .

حمّل الشعب التركى جماعة الاتحاد والترقى هزيمة بلادهم وذل مؤتمر الصلح الذى جلب المهانه لتلك الأمة ، فثار الأتراك ضدها ، وخاصة عند نزول اليونانيين إلى أزمير واحتلالها طبقا

لشـروط معـاهدة بـاريس . سرت روح الانهزامية بين صفوفهم . وهنا ظهر رجل الدونما : مصـطفى كمـال الشـهير بأتاتورك . كان أول ما فعله ، بعد التمهيد بضرورة الكفاح ضد الاسـتعمار وضـرورة اسـتعادة تركيا لأراضيها فى خطب ومنشورات حماسية ، كانت أولى خطواتـه ، الاتفـاق مـع روسيا البلشفية ، على التنازل لها عن ميناء "باطوم" على البحر الأسود ، مقابل مدّه بالسلاح والمال من أجل الكفاح . والمال الذهب الروسى والسلاح على مصطفى كمال[٤١] ، الذى اتخذ من بلدة " أنقرة ، مقرا لحكومته الثورية ، والتى بدأ منها قتال اليونانيين وطردهم من أزمير .

★ ★ ★

كان ظهور مصطفى كمال فى الأناضول قصة فريدة فى التاريخ العثمانى لايمكن إغفالها . فقد كلفه السلطان محمد السادس فى ١٩ مايو ١٩١٩ بصفته مفتشا للجيش الثالث ، بالتوجه إلى سامسون فى الأناضول لإخماد الثورة والاضطرابات بها ، فما كان من " أتاتورك " إلاالسير حـتى " أنقرة " وتكوين مركز قيادته فيها . استقال من خدمة الحكومة وبدأ حركته ، ورفض كـل الأوامـر التى تصله من السلطان أو الحكومة فى اسطنبول . دعا أتاتورك ممثلى حركته القديمة – الاتحاد والترقى – إلى مؤتمر فى أرضروم ، ثم مؤتمرا ثان لكل مندوبى البلاد التركية ، ليفوز منهم بزعامة الكفاح التركى تحت شعارعدم تقسيم الدولة التركية .

وفى أواخر ١٩١٩ تنظم الحكومة العثمانية انتخابات عامة بأمل سحب البساط من تحت أقـدام أتاتورك ، لكن النتيجة هى فوز أنصار ذلك الرجل فوزا ساحقا . تمكن مصطفى كمال تمامـا مـن القـبض بيد من حديد على الأناضول ، وزادوا فى قتالهم ضد الأوروبيين المحتلين لأراضـيهم ، احتجاجا منهم على معاهدة "سيفر" وشروطها القاسية التى فرضت على تركيا واضـطر السـلطان لتوقيعها . قررت دول أوروبا عقد مؤتمر " لوزان " عام ١٩٢٣، فبعث أتـاتورك بـتابعة المحنك " عصمت إينونو "[٤٢] حيث تفاوض شهورا حتى استطاع ان يحصل مـن الـدول الأوروبيـة على اعتراف بحدود مستقرة لدولة تركيا ، وسيادتها على المضايق ، وتبادل السكان ، وتصفية الدين العثمانى .

عندما تحقق ذلك ، كان الوقت ممهدا لأتاتورك لكى يلغى السلطنة ويعلن قيام الجمهورية فى ٢٩ أكـتوبر ١٩٢٣م وانتخب بالإجماع رئيسا لها . يقول هربرت فيشر فى كتابه (تاريخ أوروبـا الحديث)[٤٣] : " سقطت وزارة لويدجورج ، فثبت سقوطها أركان الفوز التركى ،

وعبر مصطفى كمال فى هدوء شاطىء الدردنيل واحتل القسطنطينية بعد أن خلصته الأقدار من لويد جورج وتولى جلادستون – اليهودى – رئاسة الوزارة البريطانية " .

وقف كمال أتاتورك يخطب فى برلمانه لمدة ستة أيام متواصلة ، يعرض برنامجه بشأن تحديث تركيا بعد أن أعدم الآلاف الذين تجرأوا وعارضوا أو همسوا بالمعارضة لأتاتورك . بدأ أتاتورك حملته بالتمهيد لإزالة الخلافة الإسلامية ، وصوّت مجلس النواب بإلغاء الخلافة الإسلامية فى تركيا ، وألغى أتاتورك الإسلام كدين رسمى للجمهورية التركية ، وترجم القرآن إلى اللغة التركية وكذلك الأذان ، وأصدر قانونا بإلزام المرأة برفع الحجاب ، وألزم الأتراك باستبدال الطربوش بالقبعة " حتى يكره المصليين منهم على ألا تلمس جباههم الأرض خلال الصلاة"(٤٤) وألغى كتابة اللغة التركية بالحروف العربية واستبدلها باللاتينية . وجعل جامع (أياصوفيا) متحفا بعد أن أزال معالم إسلامية كثيرة منه وأعاد إظهار الصور المسيحية على الجدران . والمتصور أن ذلك التصرف الشيطانى كان هدفه واضحا : إثارة المشاعر الدفينة من الحقد ضد المسلمين فى تركيا من جانب المسيحيين ، وخلق مشاعر كراهية من جانب المسلمين الأتراك للمسيحية . لجح رجل الدونما أتاتورك ، فى تحقيق أسمى غايات اليهود فى كل مكان ، تأجيج النار فى صدور المسيحيين والمسلمين ، كل منهما ضد الآخرين .

★ ★ ★

هوامش الفصل الثامن

(١) انظر كتاب (الصهيونية وتركيا) د. ياشار قوطلى آى :ترجمة – د.أحمد فؤاد متولى ص٢٩/٣٣

(٢) انظر كتاب (حكومة العالم الخفية) شيريب سبيريدوفيتش :ص٩٢إلى ٩٨

(٣) انظـــر كـــتاب (الصهيونية وتركيا) ص٣٠ – ويمكن أن نتأكد ، من أن غزو نابليون لمصر لم يكن تنويرا لمصـــر كمـــا يدعـــى البعض ممن أرادوا إحياء الذكرى المائتين لبدء العلاقات الثقافية المصرية الفرنسية . ولم يكن بهدف قطع طريق الهند على الإنجليز . فما فعله جيش نابليون فى مصر من تقتيل وتذبيح وانتهاك لحـــرمة المساجد ودخولها بالخيل وقتل المصلين بسنابك الخيل ليس من أعمال أتباع السيد المسيح ابن مريم عـــليه السلام أبدا . وقد يفسر اصطحاب نابليون لليهود معه فى جيشه ، وإصراره على فتح الشام ، هو التمهيد لإبقاء اليهود بها . ولولا بسالة جند عكا وفشل نابليون فى اقتحام الحصن ، لبقى اليهود بالمنطقة . ومن يدرى ، فلعل الكثير من يهود جيش نابليون قد بقى فى تلك الأرض بعد انسحاب الفرنسيس منها . أو أن نابـــليون أدرك خطـــر اليهود فى فرنسا فأراد أن يستبعدهم عنها ونقلهم إلى أرض المسلمين . لعل المؤرخين يقتحمون هذا القبو المظلم فى تلك الحقبة من التاريخ .

(٤) الأرملة السوداء : اسم يطلق على نوع من العناكب سمه زعاف يقتل لساعته .

(٥) انظر كتاب (الصهيونية وتركيا) د. ياشار قوطلى آى – ص٣٠ .

(٦) انظـــر كـــتاب (حكومـــة العالم الخفية) ص١٩٣ – ويقول الكاتب شيريب سبيريدوفيتش : القول بأن دزرائيلى نهض بانجلترا إلى أرقى المراكز رفعة ، قول سخيف لأنه لم يكن إلا مجرد أداة لليد الخفية – عائلة روتشيلد – التى كانت فى تلك اللحظة تخطط لسلسلة كاملة من الحروب بما فيها الحرب الكونية الأخيرة بهدف القضاء على المسيحيين وإسقاط الكنيسة والسيطرة على كل الممالك . اعتمد دزرائيلى على إجادته للكـــتابه فـــألف عدة روايات ، من أهمها كتاب كونينجسبى –CONINGSBY – الذى يتخيلُ نفسه ويقـــول على لسانه : " يحكم العالم بأشخاص مختلفين اختلافا شديدا عمن يتخيلهم الناس الذين لايعلمون بواطن الأمور " . وقال عن ثورة ١٨٤٨فى ألمانيا : " إن هذه الثورة المجيدة التى تخطط الآن فى ألمانيا والتى لم يعرف الكثير عنها بعد ، تتطور برعاية اليهود الذين يحتكرون كراسى الأستاذية فى الجامعات الألمانية " .

(٧) انظر كتاب (حكومة العالم الخفية) نقلا عن كتاب دوبنو (تاريخ اليهود فى روسيا وبولندا) حيث يقول : " ولكم كانت آلام القيصر شديدة عندما تنبهت السلطة الروسية إلى نشاط مجموعة مسيحية كبيرة متبنّية لعقيدة مشابهة لليهودية " .

(٨) تـــرجع كـــلمة " روتشـــليد " إلى الـــلغة الألمانية بمعنى (الدرع الأحمر) الذى كان يزين واجهة حانوت فى فـــرانكفورت لبيع الأشياء القديمة يمتلكه اليهودى " أمشيل ماير " وزوجته اليهودية " جونا شنابر " ،

فى شـــارع "جودنجاسا " - جيتوفرانكفورت . واكتسب أمشيل وأبناؤه الخمسة اسم روتشيلد من ذلك المحل الذى عرف باسم الدرع الأحمر . كان الرجل حاخاما وتلقى تعاليم التلمود الحاضة على كراهية كل ما هو مسيحى . ولد له خمسة ذكور وخمس بنات . عمل أمشيل فى مصرف "أوبنهايم " واستطاع التوصل إلى معـــرفة أمير ألمانيا فريدريك وأزاد ثروة الأمير الجشع إلى مائة مليون فلورينا فاستطاع أن يستولى على عقـــل الأمير الألمانى . توفى أمشيل عام ١٨١٢ وقد قسم العالم بين أبنائه الخمسة فأرسل كل واحد منهم إلى : ألمانيا والنمسا وبريطانيا وإيطاليا وفرنسا وأرسل أحد احفاده إلى الولايات المتحدة " شونبرج " الذى اتخذ له اسم "بيلمونت " بدلا من روتشيلد لأن العداء المسيحى الأمريكى لليهود كان قد بدأ فى البزوغ . بين " أمشيل ماير " لابنائه وأحفاده وهو يموت فلسفة " شهوة القتل " اليهودية التلمودية وكيف يكسبون الأمـــوال بـــنهب الـــناس وســـلبهم ، وعـــلمهم كـــل البرامج الشيطانية التى تعرف بـــ (بروتوكلات حكماء صهيون) وكذلك علمهم " القبلا نية " ، مذهب الباطنية اليهودية . انظر (حكومة العالم الخفية) ص٤٧ - ٥٢ .

(٩) انظر (تاريخ أوروبا فى العصر الحديث) هربرت فيشر - ترجمة أحمد نجيب هاشم ووديع الضبع ص٥ .

(١٠) انظر (الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية) روجيه جارودى - ترجمة محمد هشام ص٣١٥ ويوضح الكـــاتب الفرنســـى الذى اتهم بمعاداة السامية النفوذ الذى يمثله آل روتشيلد الفرنسيين ومدى ارتباطهم بالصهيونية فيذكر أسماءهم ووظائفهم الصهيونية :

- جى روتشيلد : رئيس الصندوق الاجتماعى اليهودى الموحد - رئيس الجمعية المتحدة ليهود فرنسا .
- دافيد روتشيلد : أمين الصندوق الاجتماعى اليهودى الموحد - ممثل فرنسا فى الوكالة اليهودية .
- ألان روتشيلد : رئيس المجمع الدينى الأسرائيلى المركزى .
- إيلى روتشيلد : رئيس اللجنة التنفيذية للصندوق الأجتماعى اليهودى الموحد .
- أدموند روتشيلد : رئيس اللجنة الأوربية لسندات إسرائيل .

(١١) انظـــر (تـــاريخ أوروبا فى العصر الحديث) ص٢٦١ وانظر أيضا فى هذا الشأن (تاريخ الإمبراطورية العثمانية) ج٢ من ص٥ إلى ص٦٢ .

(١٢) انظر (حكومة العالم الخفية) ص١٣٧ - محفل كاتا لونيا الماسونى .

(١٣) راجع فى هذا الشأن (تاريخ الدولة العثمانية) ج٢ ص١٣٢ إلى ص١٣٩ - و (تاريخ أوروبا فى العصر الحديث) ص٢٦١ إلى ٣٧٥ .

(١٤) انظر (تاريخ الدولة العثمانية) ج٢ من ص١٣٢ إلى ص١٦٠ .

(١٥) المصدر السابق .

(١٦) انظر (الصهيونية وتركيا) د. ياشار قوطلى آى - ص٣٢ .

(١٧) انظر كتاب (اليد الخفية) د. عبد الوهاب المسيرى – ص٦٢/٦١ .

(١٨) انظر كتاب (حكاية أتاتورك والإسلام) عبد الحميد الكاتب ص٦٤ إلى ٧١ .

(١٩) المصدر السابق .

(٢٠) انظر كتاب (الصهيونية وتركيا) د.ياشار قوطلى آى ــ ص٣٩/٣٦ .

(٢١) المرجع السابق

(٢٢) المرجع السابق – خطابات ومقابلات هيرتزل ص٤١إلى ٨٣ .

(٢٣) انظر كتاب (حكومة العالم الخفية) شيريب سيبريدوفيش ص٤٥/٤٤ .

(٢٤) انظر كتاب (حكاية أتاتورك والإسلام) عبد الحميد الكاتب ص١٠/٩ .

(٢٥) انظر كتاب (مختصر دراسة التاريخ) أرنولد توينبى – ج٣ص٣٠٧ .

(٢٦) اليعاقبة : مذهب الكنيسة السريانية الكاثوليكية التى أنشئت فى القرن السابع عشر . وأصل المذهب يرجع إلى يعقوب البرادعى أسقف "الرها " الذى أسس هذا المذهب فنسب إليه عام ٥٤١م – وقد تفرع عنه المذهب المارونى فى القرن الخامس الميلادى ثم اليعاقبة الأرثوذكس فى القرن السادس الميلادى – انظر (المنجد فى اللغة والأعلام) ج٣ ص ٢٩٩وص٦٢٠ ومن الجدير بالذكر أن نعيد ما سبق بيانه أن الصليبيين البولنديين الذين امتلأ جيشهم باليهود الخزر ، استطاعوا احتلال "الرها " عام ١٠٩٧م وظلوا بها حتى عام ١١٤٤م عندما استطاع عماد الدين الزنكى تحريرها كآخر معقل صليبى على الأرض المسلمة . ويذكر التاريخ الإسلامى أن عماد الدين الزنكى قد اغتيل على يد الباطنية عام ١١٤٦م ، فخلفه ابنه نور الدين محمود . انظر (مجلة الوعى الإسلامى) العدد ٣٩٧ ديسمبر ١٩٩٨.

(٢٧) انظر كتاب (تاريخ أوروبا الحديث) هربرت فيشر ص٥ إلى ص١٨ .

(٢٨) المصدر السابق .

(٢٩) المصدر السابق ص٥٥ .

(٣٠) انظر (تاريخ الدولة العثمانية) ج٢ص٢٢٨ إلى ص٢٣١ .

(٣١) المصدر السابق ص٢٣٢

(٣٢) المصدر السابق ص٢٣٣

(٣٣) انظر كتاب (اليهود تاريخاوعقيدة) د. كامل سعفان ص٤٢ إلى ص٥٦ – من المفيد للقارىء الرجوع إلى هذا المصدر ، ليدرك بنفسه مدى التغلغل اليهودى فى مصر . ومن بين ما ذكره المرجع ، أن جوزيف ماركو باروخ وصل إلى القاهرة من بلغاريا سنة ١٨٩٦م وشرع فى تأسيس هيئة صهيونية ونجح فى إنشائها باسم (باركوخابا) واتصلت بهيرتزل ، وقد ورثت تلك الهيئة جمعية (بنى صهيون) بالإسكندرية عام ١٩٠٨م ثم اندمجت مع جمعية (زئيرزيون) التى تأسست بالإسكندرية من اليهود ذوى الأصول الروسية .

وكـــان فى مـــنطقة (القبارى) معسكرا يضم ١٦٠٠ شخص يهودى يتكلمون أربع عشرة لغة وتتفاهم بالعـــبرية ، وكان رئيسهم إدجار ساويرس . ولقد أسس يهود الإسكندرية فرقة تضم ألف يهودى خدمت مـــع الجيش الإنجليزى فى حملة غاليبولى . كانت تلك الفرقة ، هى نواة (الفيلق اليهودى) الذى تكون فى لندن وسافر إلى فلسطين من الإسكندرية . وكان يوسف قطاوى باشا – اليهودى – هو وزير مالية مصر من (١٩١٧ إلى ١٩٣٦م) وشهدت مصر إنشاء المحافل اليهودية لمساعدة المهاجرين اليهود .

(٣٤) انظر كتاب (تاريخ الدولة العثمانية) ج٢ ص٢٣٤

(٣٥) المصدر السابق ج٢ ص٢٣٥إلى ص٢٣٧

(٣٦) المصدر السابق ج٢ ص٢٤٥إلى ص٢٤٩

(٣٧) المصدر السابق ج٢ ص٢٥٩

(٣٨) المصـــدر الســـابق ص٢٦٩ ويضـــيف هذا المصدر فى ص٣٢٤ – " أن أحد أكثر دعاة النزعة القومية الـــتركية حماسا هو موييز كوهين وهو عثمانى إسرائيلى العقيدة ، أكثر شهرة تحت اسم (تيكين ألب) " . ودعا ذلك اليهودى إلى الاعتماد التركى على مواردها الاقتصادية الخاصة ونزع نير الرأسمالية الأوروبية . هكـــذا يكـــتب المؤرخ الفرنسى عنه وكأنه يصور بطلا تركيا يعمل لمصلحة تركيا المحطمة . والحقيقة أن الدعوة ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب باستيلاء اليهود على مقدرات تركيا الاقتصادية لتنفيذ مآربها .

(٣٩) المصدر السابق ج٢ ص٣٠١/٣٠٢

(٤٠) مـــن المفيـــد للقارىء الاطلاع على الصفحات الخاصة بهذه الحقبة من التاريخ من كتاب (تاريخ الدولة العـــثمانية) ج٢ من ص٢٤٣ إلى ص٣٤٨ – وكذلك ما كتبه هربرت فيشر فى (تاريخ أوروبا الحديث) – الحـــرب العالميـــة الأولى ومـــا قبـــلها ص٤٥٠ إلى ص٥٨٥ . وعلى الرغم من أن المؤرخين الفرنسى والإنجـــليزى تـــناولا بحذر كل ما يتعلق باليهود ، إلا أن هناك علامات بارزة على الأصابع اليهودية التى حـــاكت المؤامرات فى تلك الإمبراطورية وأنشأت بيتا للعنكبوت ، أسقط فى خيوطه إمبراطورية إسلامية كبيرة ، فتتها ، والتهمها العنكبوت السام "الأرملة السوداء " .

(٤١) (تاريخ الدولة العثمانية) ج٢ ص٣٠٣ .

(٤٢) اكتسب عصمت اسم "اينونو" من شجاعته فى معركة بلدة "إينونو " التى حقق فيها انتصارا كبيرا على اليونانيين

(٤٣) (تاريخ أوروبا الحديث) ص٥٨٤ .

(٤٤) المصدر السابق ص٥٨٥ – انظر ما فعله أتاتورك بالإسلام فى تركيا فى (حكاية أتاتورك والإسلام) لعبد الحميد الكاتب ، و (تاريخ الدولة العثمانية) لروبير مانتران .

الفصل التاسع

اليهود والسيطرة على أوروبا

مقــدرة اليهــود على تزييف الحقائق والتاريخ مقدرة فائقة . فكما استطاعت الدعاية اليهودية أن تجعل من حرق اليهود فى المانيا النازية أسطورة، تضع لها الأرقام المخيفة لمن أحرقوا، فمّــرة يقولــون إنهم أربعة ملايين وأخرى يقدرونهم بستة ملايين يهودى . استطاعوا أيضا ، كمؤرخــين يــنقل عــنهم مؤرخون يهود أو مردّدون ، كيف عذّب المسيحيون اليهود على مرّ العصور . لاشك أن اليهود أثاروا السخط فى المجتمعات التى تقوقعوا فيها تحت صدفة تسمى "جيتو " ، واكتسبوا العداء من جانب المسيحيين الفقراء الذين أحسوا باستغلال اليهود لهم ، ولمسوا فى تعاملهم معهم بأنهم من طينة مخالفة لطينتهم فكرهوا وجود اليهود بينهم ، وانتهزوا كل فرصة مواتية للتعبيرعن تلك الكراهية ، إما بالمطاردة وإما بالإهانة أو السباب .

ونســتطيع أن نــلمس هــذه الحقيقة ، من أن مؤججى الكراهية ضد اليهود ، كانوا مــن اليهود ، لسبب لايمكن إرجاعه إلا لغرض وحيد ، هو خلق نوع من المشاعر المعادية ضد المسيحيين فى أوروبا ، يستطيع من يخطط لها من أساتذة "التلمود" استغلالها فى تحقيق أغراضهم الــنهائية من جمع شتات هؤلاء اليهود ، والتفافهم حول فكرة وحيدة هى تكوين وطن قومى لــليهود ، وتحطيم المسيحية والإسلام . كانت قمة تلك الإثارة اليهودية ، متمثلة عام ١٧١٦ فى الكتاب الذى نشره اليهودى "سيرا فينوفيتش " فى كتاب (فضائح الشعائر اليهودية) والذى اتهــم فيه اليهود باستعمال دماء المسيحيين لشتى الأغراض السحرية ، ولصناعة الفطير الذى يأكلونه فى الفصح[1] ، وذلك بعد أن أعلن عن تنصره وتبرئه من اليهودية ، فهاج المسيحيون ضد اليهود .

وقصة المحارق النازية ، أو ما يطلق عليها اليهود الإبادة الجماعية ، أو "الهولوكوست " ، شــىء مضــحك حقيقــة ، يثبت مانقوله عن المقدرة اليهودية الفذة على استغلال كل شىء لمصــلحة فكــرة واحدة . اصدر هتلر أوامره فى مايو عام ١٩٤٤ ، بنقل مائتى ألف يهودى

للعمل فى مصانع السلاح الألمانى . على أن يتولى حراستهم عشرة الآف جندى من جنود الأمن الخـــاص النازى . وكانت ظروف العمل مروّعة ، بعد أن قاست ألمانيا من الفقر و ندرة اليد العاملة الألمانية ، التى ذهبت للحرب فى سنتها الأخيرة . قاسى العمال من الجوع وقلة الظروف الصـــحية – ألمـــان ويهود سواء – فتفشى وباء التيفوس بينهم الذى ادى إلى وفاة عشرات الآلاف مـــن الأشـــخاص مما استدعى بناء أفران خصصت لحرق جثث الموتى لإيقاف انتشار الوباء [٢] . استطاع اليهود استغلال ذلك الحدث استغلالا لا مثيل له فى ابتزاز العالم الأوروبى والمانيـــا . يقول "ناحوم جولد مان " فى كتابه سيرة ذاتية إن إسرائيل تلقت من ألمانيا خمسمائة مليون دولار كتعويضات وأن ألمانيا لو لم تلتزم بتعهداها فما كان لخطوط الهاتف ونظم الرى والموانى وقطاعات بأكملها فى الصناعة والزراعة أن تصل إلى ما هى علية حاليا .وذهب خليفة هيرتـــزوج إلى النمسا يهددها بعرض فيلم دخول هتلر إلى فينا وكيف استقبل زعيم النازى فى النمسا ، إذا لم تدفع النمسا لإسرائيل ثلاثين مليون دولار كتعويض ، وعادت إسرائيل تطلب ثلاثـــين أخرى ، ثم ثالثة . كان التهديد بسبب إنكار النمسا أها نازية ، لكن اليهود جاهزون دائما بالبدائل لاستلاب ما يريدونه[٣] .

يـــرى المؤرخ الأمريكى هوفمان[٤] : " أن هتلر برغبته فى إحياء المدنية الغربية فى العقود الوســـطى للقرن العشرين ، عمل على عزل وإبعاد ، وإذا لزم الأمر تدمير العالم اليهودى من أجـــل إنقاذ الثقافة الألمانية والأوروبية ، لكن إلى حد كبير ، فإن جهود هتلر أدت إلى أنه كان هو المؤسس الحقيقى لدولة إسرائيل بدفعة لليهود الخزر أساتذة إثبات الإحساس بالذنب على الغير ، إلى إنشاء دولة لهم . " ويقول نفس الكاتب إن هتلر اكتشف مدى سذاجته وكأنه احد الـــتلاميذ عـــندما تصـــور أن الرغبة فى عمل الخير ، من جانب " الحكومة اليهودية الماسونية الإنجليزية والجيتو اليهودى بالفاتيكان ، لم تكن إلا تحقيقا لرغبة اليمين الأوروبى " . ويستطرد ذلك المؤرخ فيقول إن حكومة هتلر امتلأت بالجواسيس والخونة من اليهود وعلى رأسهم قائد ســـلاح الطيران الألمانى " جورنج " ، وأن النازية الجديدة فى عالم اليوم ، يقودها اليهود الذين يدفعون الشباب الثائر والغاضب على كل شىء إلى العنف والتخريب .

ويكشـــف هوفمان ، نقلا عن "هربرت ميتجانج " فى مقال له نشرته (نيويورك تايمز ٦ نوفمبر ١٩٩١) أن تشرسل قام عام ١٩٥٦ بإخطار الرئيس الأمريكى أيزنهاور : " أنا بالطبع صـــهيونى وكنت كذلك منذ إعلان بالفور " . وينقل عن الحاخام ا . شوارتز (نيويورك تايمز ١٨ مايو ١٩٩٣) قوله : " لتحقيق أهـــدافهم لإنشـــاء دولة ، قام الصهيونيون عمدا بإثارة

معـاداة السامية . لم يكن اهتمامهم هو إنقاذ اليهود ، بل على العكس ، إراقة الدماء اليهودية لأنها سوف تقوى من طلباتهم من الدول لإنشاء دولتهم[٥] .

★ ★ ★

شهد القرن الثالث عشر عملية خروج اليهود من شبة الجزيرة الأيبيرية ، برغبة من يريد منهم ، وبقاء من يريد ، شريطة التحول إلى المسيحية . وقد تحول الكثير من اليهود الأسبان والبرتغاليين إلى المسيحية ظاهريا ، مبقين بينهم العادات اليهودية سرا . وعلى الرغم من إجبارهم على اتخاذ أسماء مسيحية فإنهم تحايلوا على ذلك بإضافة : "ابن " أو " مكان " أو "لون "، إلى الأسماء الأسبانية المعروفة للمسيحيين . وكما سبق وأن بينا فى غير هذا المكان ، الدور الذى لعبه اليهود فى جلب المسلمين إلى أيبيريا ، وفى الدور الذى لعبوه فى القضاء عليهم وطردهم منها، فكانت مكافأة الأسبان لليهود ، هى منحهم الفرصة للخروج من شبة الجزيرة الأيبيرية سالمين أو تغيير دينهم اليهودى والتنصّر ، فتنصّر منهم أعداد كثيرة .

بدأت تلك الأعداد الكبيرة من أولئك اليهود المتنصرين الذين يطلق عليهم اسم (مارانوس) ، الخروج من شبة الجزيرة الأيبيرية فى العقد الأخير من القرن السادس عشر وأوائل السابع عشر. كان خروجهم أساسا إلى مدينة أمستردام الهولندية ، حيث اليهود الأغنياء الذين يستوطنون تلك المدينة . وقام الحاخام "يورى هاليفى " - من الخزر الإشكناز - ببناء أول معبد " سيناجوج " لأولئك القادمين عام ١٥٩٥م فى أمستردام ، وقام بإجراء عمليات الختان للذكور من المتحولين إلى اليهودية من المارانوس . قبض على ذلك الحاخام بتهمة إجراء عمليات الختان ، لكن النفوذ اليهودى استطاع إخراجه من السجن ومنحه تصريح ممارسة عملية الختان كما تقضى بذلك شريعة اليهود[٦] .

تدفقت هجرة البرتغاليين والأسبان المارانوس فى أوائل القرن السابع عشر على أمستردام، وقام أحدهم ويدعى " إسحاق بينتو " ببناء معبد خاص لليهود القادمين من أيبيريا ، ومدارس لتعليمهم الدين واللغة العبرية وعادات اليهود وأسرار عملهم وغرس الكراهية فى نفوسهم المشبعة أصلا بكراهية المسيحية والإسلام معا . شكل التدفق اليهودى على أمستردام وعلى اليهود فيها ، عبئا ماليا كبيرا لإعالة وتعليم تلك الموجات اليهودية القادمة من البرتغال وأسبانيا ، فبدأت عملية إعادة تهجير اليهود الجدد القادمين لأمستردام ، إلى الإمبراطورية العثمانية وإيطاليا ، وإرسال البعض منهم إلى الدنيا الجديدة أمريكا. وبحلول عام ١٦٣٠م ،

كـــان لهؤلاء اليهود أحبارهم ومدارسهم ، واستطاعت الجالية اليهودية فى أمستردام أن تسهم بإيجابية شديدة فى النشاط الدينى اليهودى ومعرفة التقاليد اليهودية[٧] .

حرص يهود أمستردام أشد الحرص على عدم إزعاج أسبانيا والبرتغال بتشجيع التهود ، أو إعـــادة تهويـــد " المارانوس " علنا ، وذلك بهدف حماية اليهود المقيمين على أراضى هاتين الدولتين . فقد كان يهود أمستردام من المتحولين ، مشغولين بشدة فى امتلاك السفن التجارية ، وتجـــارة المـــاس والـــتوابل وأنشطة أخرى تمت إلى التجارة بصلة مع الإمبراطوريتين الأسبانية والبرتغالية[٨] . وعلى الرغم من أن يهود أمستردام لم يساعدوا يهود أيبيريا المتخفين فيها علنا ، لكـــن هـــناك دلائـــل على أن الكثير من كتب الصلاة اليهودية طبعت بالأسبانية والبرتغالية فى أمستردام وأرسلت إلى الدولتين أو إلى مستعمراتهما فى أفريقيا . كما توجد أدلة أيضا على أن يهود أمستردام المتحولين ، شجعوا أصدقائهم وأقاربهم فى شبة الجزيرة الأيبيرية على مغادرتها قبل أن يتم اكتشاف حقيقتهم اليهودية[٩] .

أنشـــأ اليهود فى إسرائيل معهدا خاصا لدراسات المارانوس ، يصدر أبحاثا ونشرات عن أولـــئك اليهـــود الذين أخرجوا من البرتغال ، ويضعوها بأسلوب رائع وخيال يستدر العطف والشـــفقة ، ويزرع الكراهية فى قلوب اليهود تجاه المسيحية – الموجودة أصلا –[١٠] . يقول بحـــث يهودى إن ملك البرتغال مانويل ، احتاج إلى تمويل برنامجه الاستعمارى ففرض ضرائب رأس باهظـــه على اليهود فى البرتغال ، ولم يعطهم الوقت الكافى لجمعها . أراد الملك البرتغالى عام ١٤٩٦م استعمار جزيرتى ساوتومى وبرنسيب المواجهتين لغينيا على ساحل أفريقيا الغربى، ورفـــض البرتغاليون الإقامة فيهما للأمراض ووجود التماسيح بها فقرر الملك ارسال الفين من أطفال اليهود الذين لم يجمعوا له ضريبة الرأس ، وأرسلهم كعبيد إلى الجزيرتين . وتنقل الباحثة عن كتاب (تجميع قبائل إسرائيل) أن آباء أولئك الأطفال أوصوا أولادهم بإبقاء قوانين موسى – عـــليه الســـلام – بيـــنهم ، والتزواج من بعضهم البعض . وتستمر الرومانسية القصصية فى اســـتدرار الشفقة على أولئك الأطفال الذين مات منهم الكثير وبقى ستمائة فقط على قيد الحيـــاة ، الذين احتكرت سلالاتهم تجارة الكاكاو والسكر اللذين تنتجهما الجزيرتان . وتختتم الرومانسية اليهودية البحث ، بأن أول سفير لإسرائيل بالجزيرتين اكتشف أن هناك عددا كبيرا من اليهود بالجزيرة من سلالة هؤلاء الأطفال اليهود الذين أرسلوا إلى الجزيرتين .

ومن الجدير بالذكر ، أن البرتغال ، اكتشفت غينيا علم ١٤٧٥م بناء على اتفاق خاص عقـــده ملك البرتغال مع أحد التجار ويدعى – فناوجوميز – يعطيه الحق فى التجارة مع جميع المـــناطق الأفريقية التى تقع جنوب مدينة " أرجوين "[١١] لمدة خمس سنوات مقابل دفع مبالغ سنوية للملك والتزامه باستكشاف مائه فرسخ[١٢] سنويا من السواحل الأفريقية الواقعة جنوب أرجوين[١٣] .

لم تنته قصة " المارانوس " حتى العصر الحديث ، فقد قام (أرتور كارلوس داباروس باستو) عام ١٩٢٦م ، وهو أحد اليهود المارانوس ، وكان يخدم فى الجيش البرتغالى برتبة كابتن خلال الحـــرب العالميـــة الأولى ، ببدء حركة لتجميع اليهود المارانوس الذى كانوا يعيشون فى أنحاء البرتغال ، واستطاع الحصول على مساعدات اليهود المادية من أوروبا ، وقام ببناء معبد كبير فى بـــلدته " أوبورتـــو " الـــبرتغالية ، لإعادة إظهار يهوديتهم . وقامت سلطات البرتغال عام ١٩٣٧ بطرد "باروس " من الجيش واقمته بالشذوذ الجنسى وممارسته مع طلبة المدرسة العبرية التى انشأها . لكن حركة تجميع اليهود المارانوس فى البرتغال استمرت بعد ذلك[١٤] .

تمكـــن اليهود من هولندا وثروتها . وبعثوا باليهود إلى الدولة العثمانية وإلى إيطاليا وإلى أمريكا ونزح الكثير منهم إلى انجلترا . وظل المارانوس اليهود المتخفين فى أسبانيا والبرتغال – شـــبكة يهوديـــة محكمة تسيطر على تلك الممالك ، تعمل على جمع المال والثروات ، وتوجه السياســـات فيها بماأصبح لها من نفوذ جبار مسيطر . ومن الجدير بالذكر أن هولندا بأسطولها القـــوى ، اســـتطاعت عام ١٦٣٧م أن تستولى على كل المستعمرات البرتغالية ، وتم استبعاد الـــبرتغال مـــن عمليات تجارة الذهب فى غرب أفريقيا[١٥] . هل يستطيع أى محلل سياسى أن يتنصل من الربط بين دوراليهود المارانوس فى هولندا وانتقامهم من البرتغال طالما أن "الذهب" هو قبلة اليهودى ؟

ولايمكـــن لـــنا أن نغفـــل أن تلك الفترة من التاريخ قد شهدت انتشارا مدمرا للأفكار اليهودية المخربة بين اليهود أنفسهم ، ثم انتقالها إلى المسيحيين بعد ذلك ، بانتشار الكتب الخفية اليهوديـــة التى يطلق عليها (أبو كريف) ثم التلمود بتعليماته اليهودية الخارجه عن كل شريعة أخلاقية ، ثم انتشار (القبالاه) حول السحر والتنجيم اليهودى ، والذى اعتنقه الطبيب اليهودى الفرنســـى (ميشـــيل دى نوسترادام) المسمى " أوسترادامو‌س" والذى كتب شعرا يتنبأ فيه بما

ســوف يحدث للأمم والشعوب وكلها أفكار يمكن أن تنطبق على الكثير من البشر ، وكلهافى النهاية تخدم عقيدة الشر اليهودية ضد الإنسانية كلها ممثلة فى المسيحيين والمسلمين[١٦] .

★ ★ ★

استطاع اليهودى " أمشيل ماير " مؤسس أسرة الروتشيلديين ، أن ينشر ذريته فى أنحاء أوروبــا ، وكـــان التركيز اليهودى على القوتين الكبرتين فى ذلك الوقت : فرنسا وانجلترا . وتمكن اليهود من إثارة الغوغاء ضد لويس السادس عشر وقتله بعد قيام الثورة الفرنسية التى دبرها اليهود ونفذوها باقتدار . فلقد نشرت جريدة (مولتير) الناطقة بلسان الحكومة الفرنسية يــوم ٢٢ مــايو ١٧٩٩ إبان حملة نابليون على فلسطين ، بيانا تقول فيه : " لقد أمر نابليون بإصدار منشور يدعو فيه جميع يهود آسيا وأفريقيا إلى الانضمام إلى جيشه من أجل بناء القدس القديمة ، وقد جند فى جيشه عددا كبيرا منهم وهاهى كتائبهم تهدد مدينة حلب[١٧] .

سبق الحديث عن قيام الثورة الفرنسية تحت شعار : الحرية والإخاء والمساواة .

وكيف فشل ملك فرنسا لويس السادس عشر فى كبح جماحها فى الوقت المناسب بسبب الفوضى التى عمت فرنسا وكان وراءها نادى اليعاقبة[١٨] . كان رجل الثورة الفرنسية الأول هــو"روبســبير" المحامى القادم من الألزاس ، الذى دخل لجنة الأمن العام فى يولية ١٧٩٣م واستمر لمدة عام واحد يحكم فرنسا حكما مطلقا حتى نال رصاصة فى فكه أعجزته عن الكلام، ثم ســيق إلى المقصــلة ليعدم ، كما أعدم هو من قبل الآلاف من أبناء فرنسا . ويقول المؤرخ فيشــر : "إن عــام روبسبير هذا ، يمتاز ببلوغ إرهاب اليعاقبة ذروته . كان الرجل من طراز لينين ، مؤمنا بالغ الغلو فى إيمانه بالجيل موحى به إليه "[١٩] .

تؤكد المصادر التاريخية أن روبسبير كان يهوديا ماسونيا، دفع به إلى قمة الثورة الفرنسية، فيقــول لــورد أكتون فى كتابه (محاضرات فى الثورة الفرنسية) إن الثورة الفرنسية ضحت بالحرية، ولم تحقق المساواة واستبدلوا حكم الملك بحكم الجمعية الوطنية المطلق . وكانت الجمعية نفســها رهن إشارة الإمبراطور اليهودى السرى ، ولم يكن الهجوم على الكنيسة خطأ فادحا لا حاجــة له ، وإنما كان هدفا أساسيا لكل ثورة . فالثورة هى إحدى وسائل اليهود لتحطيم العالم المسيحى[٢٠] .

ولقد انتهى دور روبسبير بالنسبة لليهود بعد استعادة فرنسا للأراضى التى فقدتها فى بلجيكا ومن أرضها خلال السنوات الأولى للثورة ، بعد طمع الدول الأوروبية فى تلك الأراضى وسلبها من فرنسا مستغلين ثورتها الداخلية . لم يستطع روبسبير أن يخفى غيرته من تدفق اليهود الأجانب الذى دفع بهم روتشيلد إلى الصف الأول بالجمعية الوطنية فأصبحوا حكام باريس الحقيقيين ، فقال فى آخر خطاب له يوم ٢٦ يولية ١٧٩٤ إن الثورة الفرنسية مثل كل الثورات لم تكن فرنسية وإنما كانت من صنع العملاء الأجانب . كان خطاب روبسبير بمثابة صدور الحكم بإعدامه حيث سيق إلى المقصلة .

وكما سبق أن بينا أن الهدف الأول لليهود فى إشعال الثورة الفرنسية كان هو قتل أكبر عدد من المسيحيين فوقع اختيار اليهود على نابليون الذى انضم إلى الحركة الماسونية وبلغ الدرجة الثانية والثلاثين فيها ، وكان ضابطا دمويا على استعداد لقتل أى عدد من البشر حربا أو سلما . أعطى روتشيلد أوامره فى الأقطار الأوروبية الخمسة التى أورثها لأبنائه من بعده ، إلى أصحاب البنوك اليهود وكل الجمعيات السرية لمساعدة نابليون بشتى الوسائل ، فأصبح تدمير الكنيسة المسيحية العالمية وإذلال البابا بواسطة نابليون ، رغبة ملحة عند كل اليهود فى كل الأقطار[٢١] .

تيقن نابليون بعد أن ثبت أركان حكمه وفتح أوروبا وسيطر عليها أنه لابد أن يعيد إلى الكنيسة فى فرنسا هيبتها فجعل البابا هو الرئيس الأعلى للمجلس الإمبراطورى . لم يتعرض الكثير من المؤرخين لهذه الفترة من تاريخ نابليون ، ولا للسبب الذى دعاه إلى عقد مؤتمر دولى فى ٣٠ مايو ١٨٠٦ ضم يهود فرنسا وإيطاليا وأوضح فيه أنه لن يتبع نصائح الماسونية الخاضعة لسيطرة اليهود فى مخططاتها المعادية للمسيحية ، ثم عدّد جرائم اليهود فى المجلس الإمبراطورى وكان مما قاله : " يجب أن لاننظر إلى اليهود كعنصر متميز بل كغرباء وسيكون إذلالا مرا لنا أن نحكم بهؤلاء وهم أذل شعب على وجه الأرض " وكتب إلى أخيه جيروم ، ملك وستفاليا : " ما من عمل أكثر خسة يمكنك فعله أكثر من استقبالك لليهود . لقد فعلت كل ما يمكن أن يبرهن عن احتقارى لأحط شعب على الأرض "[٢٣] .

كان هجوم نابليون على اليهود علانية وعودته إلى إرضاء المسيحية ، سببا كافيا للحكم عليه بالنهاية ، وكانت حملته على روسيا ووصوله إلى موسكو عام ١٨١٢ هى البداية ، فقد جاءت هزيمة نابليون بسبب نقص الإمدادات فى الطعام والملابس والدواء ، وتلقى اليهود

فى جيــش نابــليون الأوامــر بقتل الجرحى وكل متذمر من الصقيع ، ففقد الجيش الفرنسى المســيحى مئات آالاف من القتلى . وكانت الطامة الكبرى لنابليون ، عندما قام أحد عملاء روتشــيلد – قــائد نابليون " رادية " – اليهودى الماسونى ، باعتقال البابا دون أوامر مباشرة من نابليون ، فنشر البابا صك حرمان نابليون .

وقصـــة القضـــاء على نابليون فى معركة واترلو تستحق وقفة . فلقد تولى قيادة جيش نابــليون – الذى مرض فجأة – الجنرال اليهودى " سولت " . وكان من المفروض أن يساند جيش " سولت "، جيش فرنسى آخر يقوده "جروشى" . سافر ناتان روتشيلد من انجلترا إلى بــلجيكا واســتطاع رشوة "جروشى" ليتأخر وصوله لمدة ٢٤ ساعة فقط عن الموعد المحدد لوصــوله ، وجــاء جيش بروسيا ليساند جيش الإنجليز فى المعركة . وضح مع بداية المعركة الــتفوق الإنجليزى الكاسح ، فاستأجر روتشيلد مركبا وعاد به إلى لندن مغامرا بركوب الماء فى بحر المانش الثائر . أذاع الثعلب اليهودى أن الإنجليز قد اندحروا فى المعركة وهو واقف امام البورصة ، يبيع أسهمه ويشتريها أهله ، فانهارت البورصة الإنجليزية واشترى اليهود الأسهم . جــاء اليــوم التالى ووصلت أنباء انتصار الإنجليز فى معركة واترلو فارتفعت الأسعار وكسب ناتان روتشيلد زعيم اليهود خمسة ملايين جنية فى أقل من يوم ، مكنته من السيطرة على بنك انجلترا[٢٤] .

ولاشك أن ديجول ، كان هو أشجع الرجال الفرنسيين فى العصر الحديث ، الذى لم يخش اليهــود ونفوذهم فى بلده وقال : " فى فرنسا جماعة ضغط قوية موالية لإسرائيل وهى تمارس نفوذها فى وسائل الإعلام على وجه الخصوص[٢٥] .

★ ★ ★

لم تختلف باقى دول أوروبا ذات الثقل فى العلاقات الدولية عن فرنسا وانجلترا ، فسيطر اليهود على مقدراتها السياسية والمالية ، ولايمكن بحال من الأحوال حصر اليهود فى تلك الدول ولا تــاريخهم الأســود ، بــل يكفى أن نشير إلى أن دزرائيلى ، وهربرت صمويل ، يهوديان من المارانوس ، توليا رئاسة وزراء بريطانيا ومعهما بالمرستون وغيرهم من اليهود ذوى الجنسية الإنجــليزية . عمل دزرائيلى كل ما فى وسعه لتحقيق أغراض اليهود ، مستعينا بنفوذ جيمس روتشــيلد ، ممثل الروتشيلديين فى انجلترا بعد أبيه ، فكون مع دزرائيلى عام ١٨٦٠م الاتحاد العــالمى اليهــودى لتجميع يهود العالم تحت زعامة محفل الشرق الأعظم الماسونى فى فرنسا[٢٦]

وهكـــذا يمكـــنا البرهنة على أن الصيحة الأولى للتجمع اليهودى جاءت من انجلترا الخاضعة للنفوذ اليهودى الماسونى وبمساندة فرنسا الرازحة تحت السيطرة الماسونية اليهودية[٢٧] .

وبالمـــثل ، فكما كان راسبوتين – كاجليوسترو – يهوديا ، فإن الرؤوس المسيطرة على الروســـيا كـــانت مـــن اليهود ، وكانت الشيوعية نفسها نتاج عمل كارل ماركس اليهودى الألمـــانى ، الذى تلقفها لينين وطبقها على روسيا وتخلصوا من حكم أسرة رومانوف المسيحية شديدة التمسك بدينها . ففى زمن لينين عام ١٩١٨ تألفت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى من تروتسكى (برونشتاين) – زينوفييف (ابفلبوم) – لارين (لورى) – أوريتسكى – فولودارســـكى – كامينيف (روزبنفيلدت) – سفيرد لوف (يانكل) – سيتكلوف (ناخا مكـــى) – وهـــم تسعة يهود من مجموع اللجنة ذات الاثنى عشر عضوا . وكان لينين نفسه يهوديـــا مـــن أمه ومتزوج من يهودية[٢٨] . أما عهد ستالين ، فقد تألفت اللجنة المركزية عام ١٩٣٦ مـــن تسعة وخمسين عضوا منهم ستة وخمسون عضوا يهوديا والثلاثة الآخرون كانوا متزوجين من يهوديات وعلى رأسهم ستالين نفسه[٢٩] .

ولم تســـلم بروسيا ، الأراضى الألمانية ، من السيطرة اليهودية ممثلة فى رجلها الحديدى بســـمارك . كان ذلك الطاغية يهوديا ، عبدا للنفوذ اليهودى المستشرى فى الأراضى الألمانية كـــلها. وكذلك النمسا التى خضعت للنفوذ اليهودى الممتد إليها أساسا من المجر ذات الكثافة اليهودية الخزرية المستشرية فيها[٣٠] .

هكذا أطبق الأخطبوط اليهودى على القارة الأوروبية ، معقل القوة فى عالم ذلك الزمان. أمســـك اليهـــود بها سياسيا عن طريق تولى اليهود فى تلك الدول كل المناصب القيادية ذات الـــتأثير على دوائر اتخاذ القرار فى دولهم ، وسيطروا عليها اقتصاديا ، عن طريق تملك البنوك والشركات المالية التى يمكنها التحكم فى مصائر تلك الدول . ولقد غلف اليهود سيطرتهم على تـــلك الـــدول بدعوى مواطنة اليهود فى كل دولة ، بلا إفصاح عن أهداف هويتهم اليهودية المدمـــرة الهادفة إلى تحقيق حلم الوطن اليهودى . كانت تحركاتهم الظاهرية كمواطنين فى تلك الدول الأوروبية ، وكأنها تهدف إلى مصلحة تلك الدول أولا وأخيرا .

★ ★ ★

أعد اليهود " الذبيحة العثمانية " ، وبدأت الدول الأوروبية – التى يوجه سياساتها اليهود فيها ، إلى التهام أطرافها ، فى سلسلة من الحروب أو ما أطلق عليه الاستعمار الغربى . و كما

سبق القول ، كان التهام تلك الأطراف الإسلامية عن طريق انجلترا وفرنسا أساسا ثم انضمت لهمـا إيطاليـا وروسيا . وعندما كانت " الذبيحة " جاهزة لسكين اليهود المشحوذة ، دفعت تركيا إلى دخول الحرب العالمية الأولى فى جانب ألمانيا . وتفسير المؤرخين لهذا الانضمام ينحصر فى أن الألمان عاونوا تركيا فى تدريب جيشها ، وأن العداء التركى للحلفاء – بريطانيا وفرنسا – دفعها إلى الانضمام إلى ألمانيا فى تلك الحرب . لم يسلط الضوء بالطبع على الدور اليهودى فى دفع تركيا إلى أخذ الجانب الألمانى فى الحرب ، فى الوقت الذى تعلم فيه تركيا ، أن انجلترا وفرنسـا تتربصان بتركيا ، وتقفان بجيوشهما فى مصر والعراق ودول الخليج – وكلها كانت ولايـات عثمانية – وكانت فرنسا بقواتها فى الجزائر وتونس وبالشام على شاطىء المتوسط . ألم يكن من الأولى مهادنة هاتين القوتين ؟ لازال الغموض حتى اليوم يحيط بدفع تركيا إلى محاربة الحـلفاء ، ولازال الغموض يحيط بتأخر قرار انسحاب تركيا من الحرب حتى أيامها الأخيرة ، عندما تمكن الانجليز والفرنسيس من التهام كل الأرض الإسلامية الخاضعة للخلافة الإسلامية العثمانية وتقسيمها بينهما فى أخس معاهدة واتفاق عرفته البشرية فى تاريخها . اتفاقية سايكس / بيكو عام ١٩١٦ .

والمتتبع لسير أحداث الحرب العالمية الأولى ، يعجب للخطة التى وضعت باقتدار لتمزيق المسـلمين شر ممزق ، وقتل ملايين المسيحيين ، فى آن واحد فقد نزح إلى تركيا ، كاتب ألمانى يهودى يدعى " ألكس إسرائيل هيلفاند " وهو المعروف باسم "بارفوس " ، وبدأ دعوته " بأن الحرب تشكل الوسيلة الوحيدة التى يملكها العثمانيون لنزع نير الإمبريالية الأوروبية التى لم تعد الدولة العثمانية تتحملها ، وأن تركيا لن تفشل بمساعدة ألمانيا من الخروج ظافرة من الاختبار فتسـتعيد فى آن واحـد الأراضى والثروات التى جردت منها ومن كل عظمتها السابقة " . واقتنع السلطان العثمانى بالرأى اليهودى ، فكانت رغبته الملحة فى استعادة ولايات الأناضول الشـرقية التى سلبتها روسيا من الإمبراطورية عام ١٨٧٨م وكذلك استعادة جزر بحر إيجه فى الـبحر المتوسـط . واقتنع السلطان كذلك بأن الحرب مع الألمان هى خير وسيلة لرفع الظلم السياسى والمالى الذى تفرضه عليه دول الغرب .

وكانت رغبة ألمانيا فى جر تركيا لدخول الحرب إلى صفها هدفه الوحيد هو تخفيف ضغط الروس على شرق أوروبا واضطرارها إلى تحريك قواتها إلى القوقاز لمواجهة الأتراك ، وكذلك تكـثيف بـريطانيا لقواتهـا فى ممتلكاتها بمصر والهند مما يخفف الضغط على الجبهة الأوروبية ، ليتمكن الألمان من اجتياح أوروبا .

دخــلت تركيا الحرب حليفة لألمانيا وتدفق الذهب والسلاح الألمانى على تركيا وهجم الترك على القوقاز فهلك معظم جيشهم تحت ثلوج القوقاز وتوغل الروس فى الأرض المسلمة واحتــلوها وضموها إليهم . واجتاح الإنجليز البصرة والزحف تجاه الموصل للوصول إلى آبار البترول .

كانت تركيا عام ١٩١٥ ، وأتون الحــرب مشتعل ، تحت سيطرة جماعة الاتحاد والترقى – أداة الدونما اليهودية – فدبر الأرمن بالاتفاق مع الروس مذبحة رهيبة للمسلمين فى ولاية " فان "، فيتم طرد الأرمن خارج تركيا ، ودارت المذابح بين المسلمين بلا رحمة ، وكان من نتيجة ذلــك المذابــح – فى رأينا – دعوة شريف مكة للعرب فى كل مكان إلى الثورة على سيطرة السلطان العثمانى على المسلمين . كان ذلك الإعلان فى شهر يونية ١٩١٦ ، بعد أن وقع مع الإنجليز معاهدة فى يناير من ذلك العام تتعهد فيه حكومة لندن بالاعتراف باستقلال جزء كبير من البلدان العربية من حدود سوريا الشمالية إلى الخليج العربى شرقا ، والبحر المتوسط غربا – باستثناء شريط ساحلى طويل ممتد على الساحل السورى (فلسيطين) ، وشبة جزيرة العرب فى الجنوب (عدن)[٣١] .

وقعــت بــريطانيا الاتفاقيــة مع شريف مكه فى يناير ١٩١٦ ، وكان مارك سايكس اليهــودى الإنجليزى ، وجورج بيكو اليهودى الفرنسى ، يوقعان فى مايو ١٩١٦ اتفاقا سريا لتقســيم أرض المسلمين بين الدولتين على النسق التالى : تتولى فرنسا أمر الساحل السسورى وبقية سوريا وشمال العراق ، فى حين تتولى بريطانيا السيطرة على موانىء حيفا وعكا والعراق وفلســطين حــتى الحدود الإيرانية . ولم ينس اليهوديان ، إخوتهم اليهود الروس ، فوافقا على إعطــاء الــروس ولايــات أرضرروم وطرابزون وأراضى أخرى من الأرض المسلمة ، ونحتوا للإيطــاليين مــنطقة فى الأناضول الغربية – أزمير وقونية وأنطاليا – عام ١٩١٧ بعد معرفتها بالاتفاق السرى الأنجلو فرنسى .

خــرجت روسيا من الحرب عام ١٩١٧ بعد نشوب الثورة الشيوعية وأعادت روسيا إلى تــركيا الأراضــى الــتى كانت قد اغتصبتها منها عام ١٨٧٦ ، فحاولت تركيا الوصول إلى أذربــيجان وحقــول بترول باكو ، لكن ألمانيا ، سارعت إلى عقد معاهدة مع روسيا عام ١٩١٨ ، تضــمن فيها عدم تدخل تركيا فى أراضى روسيا مقابل مدّ ألمانيا بشحنات بترولية روسية من حقول باكو[٣٢] .

كـــان ساســـة اوروبا اليهود يخططون للدول التى يمثلونها ، خطوات جيوشها فى احتلال أرض المسلمين ، وتقوم الدونما اليهودية من داخل الدولة العثمانية بتمهيد الأرض لضرباتهم . ودخـــلت الـــدول الأوروبيـــة بثقلها فى تركيا ، وكما نشرت جريدة " لاكسيون فرانسيز " فى ذلـــك الوقـــت تقـــول : " إن ما يجرى فى الواقع تحت مسمى المسائل الاقتصادية ومسائل السكك الحديدية ، هو تقسيم حقيقى لتركيا الآسيوية إلى مناطق نفوذ "(٣٣) .

★ ★ ★

لم يكـــن الـــتخطيط اليهودى لضرب الإسلام والمسيحية منصبا على الأرض واغتصاب الـــثروات وحسب ، بل لعب اليهود دورا مخربا فى العقائد الدينية للإسلام والمسيحية . ولقد أوجـــزنا ما فعله اليهود فى المسلمين عن طريق الباطنية وطرائقها المختلفة ، وكيف استطاعوا استغلال الهرطقة فى شق الصف الإسلامى بطرق شتى ، نسأل الله العلى القدير أن يعيد للإسلام – ديـــن الله الذى ارتضاه عز وجل – أصوله التى نخر فيها اليهود ، انتقاما من محمد صلى الله عليه وسلم وكل من اتبع سنّته وسار على طريق هديه . أما المسيحية الحقة والهداية التى نزلت عـــلى يـــدى عيسى ابن مريم عليه السلام من لدن الله العزيز الحكيم ، فقد عاث فيها اليهود إفسادا من قديم الزمن وحاولوا قتل عليه السلام مستعينين بخيانة أحد الحواريين اليهود .

لم يترك اليهود طريقة ولا وسيلة إلا اتبعوها مع أتباع السيد المسيح عليه السلام . فمع تقدم القرن التاسع عشر ، حدث تحول جوهرى فى الأفكار والمعتقدات داخل المجتمع الأوروبى وأصبح كل شىء فى حاله تبدل وتعديل .

وبدأت الفاتيكان فى التصدى للمذاهب الاشتراكية والشيوعية وجمعيات التوراة واتهمتها بالإلحـــاد والكفر . أما الأقطار البروتستانتينية من أوروبا ، فإن المتعقدات الدينية بها تشكلت وفـــق الأسفار المقدسة اليهودية ، وغدت التوراة وكأنها كتابا عاديا لا سفرا مقدسا له مكانته الخاصة .

جاءت فكرة نقد التوراة على يد اسبينوزا، الفليسوف اليهودى الهولندى عام ١٦٧٠م ، بنـــتائج عديـــدة حـــازت قـــبولا فى ألمانيا ، وأثرت فى الفكر البروتستانتى ، فاشتطت الآراء البروتســـتانتينية كثيرا إلى حد إثارة الريبة فى حقيقة السيد المسيح عليه السلام ، مثل " داود شتراوس " الذى وصف السيد المسيح عليه السلام بأنه فيلسوف مثل سقراط ، وذلك فى كتابه " حيـــاة يســـوع " الذى ظهر عام ١٨٣٥(٣٤) . وكانت آراء " تشارلس داروين " فى كتابه

(أصـــل الأنـــواع بواسطة الانتقاء الطبيعى) الذى صدر عام ١٨٥٩م ، سببا مباشرا فى هزّ العقيدة الدينية بالشك فيما ورد بالكتب المقدسة . كما أن السياسة قد تأثرت أيضا بنظريات داروين الـتى نـادى السياسيون بأن واجبهم يدعوهم إلى تشجيع السلالات القوية وتثبيط السلالات الضعيفة . وترتب على ذلك أن على المجتمع الذى يريد أن يبقى قويا ، أن يتعاون – إمـا عن طريق القانون وإما عن طريق العرف – مع الطبيعة على إبادة غير الصالح . وكانت هـذه النظرية البيولوجية الجديدة ، أسرع شيوعا فى انجلترا منها فى أى بلد آخر ، وذلك لأنها تـتلاءم مـع نزعة قوية من روح الفردية تغلب على أفكار الانجليز ومعاملاتهم . ولقد أسهم كـتاب " آدم سميـث " (ثـروة الأمم) فى تزويد المخططين الإنجليز بفلسفة تلائم حاجياتها ، فاعتـنقت الطوائـف البروتستانتينية المنشقة الآراء المنادية بالرخاء والثروات الجديدة ورجال الأعمال الجدد والمكافآت للطموحين[٣٥] .

كـان رؤساء الوزارات الإنجليزية فى ذلك العصر من اليهود : بالمرستون " ١٨٥٥ – ١٨٥٨ ومـن ١٨٥٩ إلى ١٨٦٥م ثم بـنيامين دزرائيـلى مـن ١٨٦٨إلى ١٨٨٠ ثم ولـيم جلادستون من ١٨٨٠ إلى ١٨٨٥ ثم عام ١٨٨٦ ثم من ١٨٩٢ حتى ١٨٩٤م . ولابـد من الربط بين الأفكار التى اجتاحت بريطانيا – سيدة البحار وأقوى دولة فى عالم تلك الفترة – وبين مخططى سياساتها من اليهود ، وهو ما يتجنب أى مؤرخ غربى التعرض له بالمرة .

ولأن الـتاريخ لا ينسـى مهما طال الزمن ، فلقد تكشف مؤخرا ، عن طريق صحيفة (صـنداى تليجراف) البريطانية ، سر ظل محفوظا منذ عام ١٩١٧ حول وعد بلفور . فلقد تقـدم " ليوبولد إيمرى " ، مساعد وزير الخارجية البريطانية فى ذلك الوقت ،بصياغة الوعد لـليهود بمسـاعدة بـريطانيا لإنشاء وطن قومى لهم فى فلسطين والذى يعتبر ميثاقا تأسست بمقتضـاه دولة إسرائيل . كان ليوبولد إيمرى يخفى يهوديته وأصله المجرى ، حتى كشف ذلك السـر ، ولـيم روبنشتاين[٣٦] أستاذ التاريخ الحديث فى جامعة ويلز مؤخرا . ولقد قام ذلك اليهـودى فى الفـترة مـن ١٩٢٥ إلى ١٩٢٩ وهو فى منصب وزير المستعمرات البريطانية بالاهـتمام بالجاليـات اليهوديـة التى شهدت أكثر الفترات أمنا فى تاريخها ، وكشف اليهود المـتخفين عن هويتهم ومارسوا طقوسهم فى رعاية اليهودى البريطانى . ومن سخريات القدر ، أن ابـن ليوبولـد إيمرى – جون إيمرى – هرب إلى ألمانيا النازية خلال الحرب العالمية الثانية وتعاون معها ، فحوكم بعد الحرب بتهمة الخيانة العظمى وأعدم . ويحاول المؤرخ الذى كشف سـرّ "ليوبولد إيمرى" أن يجد المبررات التى دعته إلى إخفاء يهوديته ، بأسباب واهية ، ويذكر

فى نهايتها احتمال أنه كان حريصا على ألا يقع تحت وطأة ضغوط الجالية اليهودية عليه لمطالبته بإعطائهم امتيازات[٣٧] .

لم يكن احتلال بريطانيا لمصر عام ١٨٨٢م مصادفة أبدا بدعوى حماية طرق الإمبراطورية البريطانية وأملاكها فى الهند . لم يكن شراء بنيامين دزرائيلى رئيس وزراء بريطانيا لأسهم قناة السويس المصرية[٣٨] ، مصادفة أيضا ، ولم يكن وعد بلفور وتمزيق الدولة العثمانية واحتلال الإنجليز لفلسطين مصادفة أخرى . كانت كلها خطوات مدروسة للسيطرة اليهودية على فلسطين والقدس وما حولها من أراضٍ للمسلمين والمسيحيين[٣٩] . ولقد عالج الدكتور جمال حمدان فى كتابه (شخصية مصر)[٤٠] ، أسباب إقامة إسرائيل على يد الاستعمار القديم ، فذكر أنها علاقة محدّدة ومحسوبة منذ البداية ، موضحا أنها مرتبطة بقناة السويس على وجه التحديد ثم بالبترول عموما فيما بعد . ويذكر المؤرخ المصرى أن زرع إسرائيل فى فلسطين كان بمثابة وضع (كلب حراسة) يؤمن القناة للاستعمارفى المنطقة حين يغادر أرض مصر . وأن البترول هو أداة الاستعمار فى المنطقة ، تستطيع إسرائيل أن تهدده وتضمن احتكاره وتدفقه لتلك القوى الاستعمارية . وكان أجدر بمؤرخ مصر الحديثة أن يستبدل كلمة (الاستعمار) بلفظ (اليهود) إذا ما كان قد توصل – وهو بلا شك قد فطن إلى الحقائق ولم يمهله القدر أن يكتب ما توصل إليه – إلى أن الاستعمار الأوروبى كان لعبة يهودية من ألفها إلى يائها ، هدفه تطويق الإسلام والمسلمين من كل اتجاه ووقف انتشاره، باستخدام المسيحية – عدو اليهود الأول – ، ومصورين ذلك الحصار للإسلام بأنه عداء أزلى بين المسلمين ، أتباع محمد صلى الله عليه وسلم، والنصارى أتباع عيسى ابن مريم عليه السلام . وما دينهما إلا السلام ولاتجمعهما إلا المودة ، كما قال رب العزّة ، ولا مغير لكلمات الله أبدا ولو كره الكافرون[٤١] .

★ ★ ★

الحصار اليهودى للمسلمين ، حقيقة تاريخية نغفل عنها ، فضحتها أعمال اليهود على مرّ الزمن . كانت كلمات اليهود المعبّرين عن نياهم تؤخذ باستهانة من جانبنا، لكنهم – أى اليهود – لايقولونها هباء ، وإنما عن اقتناع ويقين . ويسوق لنا روجيه جارودى أمثلة على ذلك[٤٢] وبما كتبه بن جوريون فى يومياته فى ٢١ مايو عام ١٩٤٨ فذكر : " إن أضعف عنصر فى التماسك العربى هو لبنان . فسيادة المسلمين فى هذا البلد سيادة مصطنعه ويمكن تغييرها بسهولة ، ولهذا يجب إنشاء دولة مسيحية فى هذا البلد على أن يكون حدّها الجنوبى هو

نهر الليطانى . "[43] ويقول موشى ديان فى ١٦ مايو عام ١٩٦٧ : " لم يبق أمامنا سوى العثور على ضابط حتى ولو كان برتبة ملازم ، واستمالته وشرائه لكى يعلن نفسه منقذا للسكان المارونيين ، وعندئذ يدخل الجيش الإسرائيلى لبنان ويحتل جزءاً من أراضيه ويقيم عليه نظاما مسيحيا مواليا لإسرائيل، وبعد ذلك ستسير الأمور على خير ما يرام ، فيتم ضم جنوب لبنان بأكمله لإسرائيل "[44] .

هكذا فكر اليهود فى كيفية احتلال جنوب لبنان . لعل المؤرخين من الساسة العرب يدركون الآن ، كيف أعدت إسرائيل الساحة اللبنانية لتكون أرضا ممهدة لتنفيذ ما رآه وما خطط له بن جوريون وموشى ديان ، منذ قيام الدولة اليهودية على الأرض الفلسطينية ، وكيف يجب علينا كمسلمين أن نحلل ونفند كل كلمة ينطق بها اليهودى الإشكنازى الخزرى .

★ ★ ★

هوامش الفصل التاسع

(١) انظر كتاب (اليهود تاريخا وعقيدة) د. كامل سعفان ص٦٥ .

(٢) انظر كتاب (الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية) روجيه جارودى ص٣٣٨ .

(٣) المصدر السابق ص٣٠٥ .

(٤) انظر كتاب : THE JEWISH MENTALITY

MICHEAL HOFFMAN II IDAHO U.S.A.

(٥) المصدر السابق . إن ذلك الأمر ليس بمستغرب عن اليهود أبدا . قال الله سبحانه وتعالى فى سورة الحشر :
١٤ ﴿ لاَ يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَ يَعْقِلُونَ ﴾ . صدق الله العظيم .

(٦) انظر كتاب :

- HEBREWS OF THE PORTUGESE NATION - CONVERSOS AND COMMUNITY IN AMESTERDAM : BODIAN MIRIAM . BLOOMINGTON-INDIANA-U. S.A

(٧) المصدر السابق – ويهمنا هنا التذكير بالدور الذى لعبه اليهود المارانوس فى الإمبراطورية العثمانية . حيث استقرت الهجرات اليهودية فى مدينتى سالونيك وفالونا ، وتقع المدينة الأخيرة فى البانيا الحالية وفى مواجهة إيطاليا . وقد سبق تبيان أثر اليهود فى الفصول السابقة ودورهم التخريبى فى الإمبراطورية العثمانية .

(٨) المصدر السابق ص ١٩٩ – ويهمنا فى هذا المجال التأكيد على عبارة " وأنشطة أخرى تمت إلى التجارة بصلة " تلك التجارة كانت بلا شك (تجارة الرقيق) التى يتجنب اليهود ، وخاصة من يتعرضون للتأريخ منهم ، الزج بدور اليهود المشين فى تلك التجارة ، التى سوف نفرد لها فى هذا الكتاب بإذن الله تعالى ، شرحا تفصيليا عن ذلك الدور الذى لعبه أولئك اليهود .

(٩) المصدر السابق .

(١٠) نشرة (معهد دراسات المارانوس) – جان يافناه – إسرائيل – جلوريا موند بحث عن (استمرار البحث اليهودى فى جزر ساوتومى وبرنسيب) بالإنجليزية . وكاتبة البحث منحتها جامعات جلاسكو وأوكسفورد وكمبردج بانجلترا درجة الأستاذة لتحاضر عن المارانوس واكتشافاتها ، كما أنها أستاذة زائرة فى معظم الجامعات الأمريكية ، وهى تتولى إدارة معهد الدراسات للمارانوس فى إسرائيل .

(١١) مدينة أرجوين : تقع فى موريتانيا الحالية

(١٢) الفرسخ = ٣ اميال بحرية

(١٣) انظر (أطلس تاريخ أفريقيا) كولين ماكيفيدى ص١١٣/١١٤

(١٤) انظر فى هذا الشأن :

- THE RESCUE OF THE PORTOGUESE MARRANOS : DAVID AUGUSTO CANELO BELMONT PORTUGAL

وانظر أيضا :

- A BIOGRAPHY OF CAPTAIN BARROS BASTO THE APOSTLE OF THE MARRANOS : BENROSH- PORTO- PORTUGAL

(١٥) انظر (أطلس التاريخ الأفريقى) كولين ماكيفيدى ص١٢٩ .

(١٦) انظر كتاب (اليد الخفية) د. عبد الوهاب المسيرى ص٩٣ إلى ص٩٩ .

(١٧) انظر كتاب (اليهود تاريخا وعقيدة) ص٧٧ . ويقول منشور نابليون المشار إليه : (من نابليون القائد الأعلى للقوات المسلحة للجمهورية الفرنسية فى أفريقيا وآسيا ، إلى ورثة فلسطين الشرعيين . أيها الإسرائيليون . أيها الشعب الفريد الذى لم تستطع قوى الفتح والطغيان أن تسلبه اسمه ووجوده القومى ، وإن كانت قد سلبته أرض الأجداد . إن الجيش الذى أرسلتنى العناية الإلهية به ، والذى يقوده العدل ، ويواكبه النصر ، جعل القدس مقرا لقيادتى وخلال بضعة أيام سينتقل إلى دمشق المجاورة التى لم تعد ترهب مدينة داود . يا ورثة فلسطين الشرعيين إن الأمة التى لاتتاجر بالرجال والأوطان تدعوكم للاستيلاء على إرثكم ، بل لأخذ ما تم فتحه والاحتفاظ به ضد كل الدخلاء . سارعوا فإن هذه اللحظه المناسبة قد لاتتكرر لآلاف السنين ، للمطالبة باستعادة حقوقكم ومكانتكم بين شعوب العالم ، تلك الحقوق التى سلبت منكم لآلاف السنين وهى وجودكم السياسى كافة بين الأمم وحقكم الطبيعى المطلق فى عبادة يهوه طبقا لعقيدتكم علنا وإلى الأبد) . يقول " موسى هس " أحد آباء الصهيونية فى كتابه (روما والقدس) : يبدو أن الفرنسيين واليهود قد خلق كل منهما للآخر فى كل شىء . ووصف وايزمان نابليون بأنه : أول الصهيونين الحديثين غير اليهود . ويفسر ما سبق لماذا دخل جنود نابليون صحن الأزهر الشريف بخيولهم يقتلون المصلين تحت سنابك الخيل ، ولماذا اتبع نابليون وجنده الوحشية فى مصر والقتل والحرق لشعبها (لعل القارىء يطلع على كتاب تاريخ الحركة القومية المصرية) للرافعى ، وكذلك الجبرتى عن الفترة التى غزا فيها ذلك الماسونى مصر بجيش أغلبه من اليهود ، وكيف عاثوا فسادا فى الأرض) .

(١٨) انظر كتاب (تاريخ أوروبا فى العصر الحديث) هربرت فيشر من ص٥ إلى ص٣٨

(١٩) المصدر السابق ص٣٩

(٢٠) انظر (حكومة العالم الخفية) شيريب سبيريدوفيتش ص٨١ إلى ص٩١

(٢١) المصدر السابق ص٩٢ /٩٣

(٢٢) المصدر السابق ص٩٨ - نقلا عن كتاب : LA VIEILLE FRANCE

(٢٣) المصدر السابق - عن خطابات نابليون - ليسستر - خطاب رقم ٢٣٧ فى ٦مارس

(٢٤) انظر (حكومة العالم الخفية) ص٤٩ إلى ص٦٤

(٢٥) انظـر كتاب (الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية) روجيه جارودى ص٢٨٣ /٢٨٤ ، نقلا عن : فيليب الكسندر فى مقال بعنوان الانحياز لإسرائيل نشرته صحيفة لوباريزيان ليبريه فى ١٩٨٨/٢/٢٩

(٢٦) انظـر كتاب (حكومة العالم الخفية) ص١٦٧/١٦٨ - ومن المفيد للقارىء لكى يدرك أبعاد الماسونية اليهودية أن يطلع على مقتطفات من البيان الذى صدر عن ذلك (الاتحاد العالمى اليهودى) والذى أعادت جـريدة (المورنيـنج نيوز) اللندنية نشره وجاء فيه : " إن الاتحاد الذى ننوى تأليفه ليس باتحاد فرنسى أو انجـليزى أو إيرلـندى أو المانى إنما هو يهودى عالمى . فالشعوب الأخرى مقسمة إلى قوميات إلا نحن فـلا مواطـنون لـنا وإنما لنا أخوة فى الدين فقط لن يكون اليهودى تحت اى ظرف صديقا للمسيحى أو مسـلما قبل أن تحين اللحظة التى يشعّ منها نور الإيمان اليهودى على العالم ، فهو الدين الوحيد المبنى على العقل وبتصرفنا بين الأمم إنما ترغب أن نظل يهودا . فقوميتنا دين أجدادنا ولانعرف قومية غير ذلك. إنـنا نعيـش فى أراض أجنبية وليس بمقدورنا أن نهتم بمصالح القطار غريبة عنا . ينبغى أن تنتشر التعاليم اليهوديـة فى العالم بأجمعه وكيفما قادنا القدر وبالرغم من تشتت شملنا فى جميع انحاء الأرض يجب أن نعتبر أنفسـنا العنصر المختار . إن هدفنا عظيم ومقدس ونجاحه مؤكد . فالكاثوليكيةْ عدونا الدائم ، مطروحة أرضا وإصابة زعامتها مميته ، والشبكة التى ألقاها اليهود على الأرض تتسع وتنتشر يوميا . لقد حان وقت جعـل بيـت المقدس مكان عبادة لكل الأمم والشعوب وسترتفع راية التوحيد اليهودى خفاقة فى أكثر الشواطىء بعدا . إن اليوم الذى يمتلك فيه أبناء اسرائيل كل ثروات العالم وموارده ليس ببعيد " .

(٢٧) هناك الكثير من الكتاب - يعلم الله سريرتهم - يشككون فى صلة اليهود بالماسونية ، واكتب هنا خبرا نشرته مجلة القوات المسلحة فى القاهرة (العدد رقم ٤٢١ سنة ١٩٦٤) ذكرت فيه ما يلى : " احتفل فى فلسـطين المحتلة بوضع الحجر الأساسى لأكبر محفل ماسونى فى العالم . وقد تحدث فى هذه المناسبة الحاخام الإسـرائيلى فقـال بالحرف الواحد : أيها الإخوة الماسون من كل بلاد العالم . نحتفل اليوم بوضع الحجر الأساسـى لأكبر محفل ماسونى فى العالم . وسيضئ الطريق أمام الماسونية لتحقيق أهدافها . إننا جميعا نعمل من أجل هدف واحد ، هو العودة بكل الشعوب إلى أول دين محترم أنزله على هذه الأرض وما عدا ذلك فهى أديان باطله . أديان أوجدت الفرقه بين أهل البلد الواحد وبين أى شعب وآخر . ونتيجة لمجهوداتكم سـيأتى يـوم يتحطم فيه الدين المسيحى والدين الإسلامى ويتخلص المسلمون والمسيحيون من معتقداتهم الباطـلة المتعفنه ويصل جميع البشر إلى نور الحق والحقيقة . أيها الإخوة الماسون فلتجعلوا من هذا المحفل قبلة لمحافلكم . قبلة تتجهون فى صلواتكم إليها إذا أردتم الخير لهذا العالم وإذا أردتم الخير لأنفسكم " .

(٢٨) (حكومة اليد الخفية) ص٣٢ نقلا عن كتاب (أيام رومانوف الأخيرة) – روبير ويلتون مراسل جريدة التايمز اللندنية فى روسيا ص١٣٦– ١٣٨ من الطبعة الفرنسية الأصلية .

(٢٩) المصدر السابق ص٣٣ ، نقلا عن كتاب (حكام روسيا) للكاهن دانيس فاهى .

(٣٠) مــن المعروف تاريخيا أن المجر هى الأرض التى استوطنها الكثير من الخزر المتهودين وتداخلوا مع قبائل الهــون . بالمجــر واحــدة من أكبر مدارس تخريج حاخامات اليهود ، وأكبر المتاحف اليهودية فى العالم ، ويســيطر اليهــود المجريون على كل المراكز الإعلانية فيها ، ويتولون مناصب أساتذة الجامعات المجرية . وقد اظهر اليهود أنفسهم فى المجر منذ عام ١٩٩٠ مع انهيار الشيوعية بها .

(٣١) انظر كتاب (تاريخ الدولة العثمانية) روبير مالتران – ج٢ من ص ٣٠٥ إلى ص٣٢٤ .

(٣٢) المصدر السابق ج٢ ص٣٢٤ إلى ص٣٢٧ .

(٣٣) المصدر السابق – ج٢ ص٢٩٩ – وانظر أيضا كتاب (تاريخ أوروبا فى العصر الحديث) هربرت فيشر – عن تطورات الحرب العالمية الأولى .

(٣٤) انظر كتاب (تاريخ أوروبا فى العصر الحديث) هربرت فيشر ص٣٢٢ .

(٣٥) المــرجع الســابق من ص٣٢٤ إلى ص٣٢٧ لم يوضح المؤرخ ديانة أولئك الكتاب مثل داروين وآدم سميث ، وإنما من المؤكد أنها أفكار يهودية صرفة تخدم مخططاتهم التى عملوا على بثها خدمة للهدف النهائى الــذى يــرمون إليه . تحطيم الدينين المسيحى والإسلامى وتجميع اليهود فى فلسطين . أما دافيد شتراوس فهو يهودى نمساوى يعرّف نفسه بأنه لاهوتى ويصف التوراة بأنها روائية لايعتد بها فى التشريع .

(٣٦) روبنشــتاين : اسم يهودى . ولعل فضح هذا السر بواسطة أحد اليهود بعد تثبيت أرجل اليهود – إلى حــين إن شــاء الله – فى القــدس ، يعطيهم نوعا من الفخر باليهودية وقوتها . ومن المعروف أن كراسى أستاذية التاريخ فى معظم الجامعات الأوروبية والأمريكية يحتلها اليهود .

(٣٧) انظــر (جــريدة الأهرام) – القاهرة بتاريخ ١٦ يناير ١٩٩٩ نقلا عن صحيفة (صنداى تليجراف) الــبريطانية . ولايتسع المجال للتحدث عن صدور وعد بلفور ، فلقد كتب عنه ما يزيد عن الحاجة ، وعن دور الإنجليز فى إصداره ثم تنفيذه ، والذى أصبح الآن جزءا من التاريخ ينعم به اليهود ، ويتجرعه العرب سمًا زعافًا .

(٣٨) لابــد لكل قارىء أن يطلع على كتاب عبد الرحمن الرافعى (عصر إسماعيل) – ليعرف كيف تم إغراق مصــر فى الديــون ومــا حملها الإنجليز من أموال فى حفر قناة السويس التى تخص مصر ، فأصبحت قناة الســويس فى أرض مصــر ويملكها يهود الإنجليز والفرنسيين . وإن كان المؤرخ العظيم الرافعى لم يتعرض فى كــتابه لــدور اليهود ، وخاصة دور أولئك الذين كانوا يعيشون على أرض مصر من اليهود وينهبون ثرواتها فى ظل حماية الإسلام والمسلمين الغافلين آنذاك عن دورهم المتآمر .

(٣٩) كـان اللورد " موين " يشغل منصب المعتمد البريطاني في القاهرة ودعى لإلقاء خطاب في مجلس اللوردات البريطاني في يوم ٩ يونية ١٩٤٢ فقال : " إن اليهود المعاصرين لا ينحدرون من نسل العبرانيين القدامى ، وليس لهم أى حق مشروع في الأراضي المقدسة " . وكان ذلك الحديث بمناسبة مطالبته بالحد من الهجرة اليهودية إلى فلسطين أثناء الانتداب البريطاني على فلسطين . واتهم اليهود اللورد موين بأنه " عدو حاقد للاستقلال العبرى " وقام يهوديان من جماعة "شتيرن " الإرهابية التي تزعمها (إسحاق شامير) باغتيال اللورد موين في القاهرة يوم ٦ نوفمبر ١٩٤٤ . وقد تم القبض على القاتلين وأعدما ، وتسلمت إسرائيل جثتيهما مقابل الإفراج عن عشرين معتقلا عربيا . وتم دفن القاتلان في ساحة (النصب التذكارى للأبطال اليهود) في القدس . انظر كتاب (الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية) روجيه جارودى ص ٢٣١ - ٢٣٢ .

(٤٠) انظر كتاب (شخصية مصر) للدكتور جمال حمدان ـــ ج٢ ص٨٠٥ .

(٤١) يقول عز من قائل في سورة المائدة : ٨٥/٨٢ ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣) وَمَا لَنَا لاَ نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (٨٤) فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ صدق الله العظيم .

(٤٢) انظر كتاب (الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية) روجيه جارودى ص٣٣٢ .

(٤٣) المصدر السابق - نقلا عن كتاب (بن جوريون النبي المسلح) للكاتب اليهودى ميخائيل بارزوهار - ص١٣٩ .

(٤٤) المصدر السابق - نقلا عن (يوميات موشى شاريت) رئيس وزراء إسرائيل الأسبق عام ١٩٧٩ .

الفصل العاشر

اليهود والعالم الجديد

انتقل الثقل اليهودى إلى الولايات المتحدة منذ قرون، أفرز فى عصرنا الحالى نفوذا جبارا، فى دولـــة أصبحت هى القوة الوحيدة فى عالم اليوم . يسيطر اليهود على مقدراتها وأقدارها ، اقتصـــاديا وعســكريا وسياسيا . يوجّه اليهود كل الموارد المالية والعسكرية والسياسية ناحية القـــدس، فبـــلة اليهود التى تحتلها دولة إسرائيل بالنفوذ والقوة ، المستمدة من القوة والنفوذ الأمـــريكى الغاشـــم الـــذى استطاع بمساعدة يهود الاتحاد السوفيتى ودول المعسكر الشرقى السابقين ، فى تفتيت وإنهاء وجود عسكرى موازن للقوة الأمريكية ، كامتداد للنفوذ الموروث من انجلترا وفرنسا عندما كانتا القوة الدولية التى يسيّر دفة سياستيهما اليهود .

لم يكـــن استيطان اليهود فى الأرض الجديدة وليد الصدفة ، بل عن طريق تواجد اليهود ضـــمن بحـــارة السفن البرتغالية التى جابت البحار ، سواء من اليهود المتحولين إلى المسيحية (المارانوس) أو من غيرهم ممن عاشوا فى البرتغال أو أسبانيا ، صاحبتى الأساطيل الماخرة لعباب الـــبحار . كان العالم الجديد وسواحل أفريقيا المكتشفة وما تحتويه من كنوز بكر ، تعنى الغنى والذهب ، هى الأمل اليهودى الأكبر فى الهروب من هاتين الدولتين . ولاننسى أبدا ، ولايجب علينـــا أن نتناسى بأى حال من الأحوال ، أن لليهود منذ قديم الزمن ، شبكة من المعلومات، تغذى بعضها البعض بمصادر وأماكن الثروة واحتمالاتها المستقبلية .

كـــان اليهود الذين يعيشون فى شبه الجزيرة الأيبيرية خلال الحكم الإسلامى فى حالة من الرضـــا ، ولم يحدث قط ان تعرضوا فى العالم الإسلامى لأى شكل من أشكال الاضطهاد التى عرفها اليهود فى أوروبا المسيحية . وازدهرت حياة اليهود فى العالم الإسلامى بأسبانيا – واسمها بالعـــبرية (ســـفارد) خلال العصر الذهبى الإسلامى تحت حكم الأمويين (٧٥٥ – ١٠٣١) فســـمح لـــليهود بالمشاركة الكاملة فى الحياة العامة بأسبانيا واحتفظوا باستقلاليه مجتمعاتهم . وأنجب اليهود السفارديم نخبة لامعه من الشعراء وعلماء الدين والموسيقى والعلماء وجنرالات

الجيـــش ورئيسا للوزراء أيضا . كان ربع يهود العالم ، الذى بلغ عددهم نحو مليونين فى ذلك الوقت ، يعيشون فى أسبانيا[1] .

زحف المدّ المسيحى إلى أشبيلية بدءا من عام ١٣٩١ وأثار العداء ضد اليهود ، واضطر نحـــو مائـــتين وخمسين ألف يهودى - نصف يهود أسبانيا - إلى قبول اعتناق المسيحية ، لكن كـــثيرين اســـتمروا فى ممارسة الشعائر اليهودية سرا ، رغم أن انكشاف أمرهم كان يعنى لهم المـــوت . وجاءت المعاهدة التى منحت اليهود ثلاثة أشهر لمغادرة أسبانيا والبرتغال أوالتنصر . وكمـــا ســـبق وأن بيّنا فى الفصل السابق ، فإن اليهود السفارديم ، استطاعوا التسلل على مرّ القـــرون إلى هولـــندا برعاية يهودها هناك ، ثم الهجرة من هولندا إلى بريطانيا وألمانيا والدولة العثمانية .

ظهـــر العالم الجديد على خريطة الدنيا ، أرضا عريضة وخضرة وماء وثروات تستقطب المغامـــرين والباحثين عن الذهب فى الأرض والجبال والتجارة . كانت عيون اليهود على هذا العالم الجديد ، فوصل أول قارب يحمل يهود هولندا عام ١٦٥٤م وحط مرساته فى ميناء (نيو أوف أمستردام) الذى أصبح يعرف الآن بنيويورك . وتبع تلك الموجة اليهودية الأولى ، قارب آخر أبحر من لندن عام ١٧٣١م يحمل اليهود ، ورمى مرساته فى ولاية جورجيا ، وتبعه قارب ثالث يحمل يهود البرتغال مبحرا من لشبونة عام ١٧٥٨م ، وتركز يهود ذلك القارب فى رود أيلاند .

كانت حياتهم تبدأ فى المعبد وتنتهى كذلك . لديهم جزار يهودى يقدم لحم " الكوشير " ويدير مدرسة لتعليم الحساب والإنجليزية والعبرية والأسبانية ، ويقوم بعملية ختان الذكور[2] . كـــانت المعابد التى أقاموها ، خاصة باليهود السفارديم الفارين من شبه الجزيرة الأيبيرية سواء مباشرة أو عن طريق هولندا وبريطانيا .

جـــاءت هزيمة واترلو عام ١٨١٥م فسافر يهود فرنسا إلى أمريكا ، وجاء فشل الثورة الألمانيـــة الديموقراطية عام ١٨٤٨م ، فنزح اليهود الألمان إلى العالم الجديد ، وهم من اليهود الإشـــكناز ، الذين بنوا معابدهم الخاصة فى الأماكن التى توطنوا بها . وعندما اغتيل إسكندر الثانى قيصر روسيا بواسطة أحد اليهود ، بدا تيار المهاجرين اليهود الروس عام ١٨٨١م يندفع تجـــاه العالم الجديد ، والذين وصل عدد من هاجر منهم إلى أمريكا نحو مليونى يهودى روسى ، كـــانت أفكار البعض منهم ثورية واشتراكية ، وأغلبهم من الصهاينة ذوى الأفكار الرومانسية

الـتى تطمـح إلى نقل يهود العالم إلى فلسطين[٣] . وهى نفس الأفكار التى حلم بها اليهودى الخـزرى ابـن الروحى أو – داود آل روى – ثم شبتاى زيفى اليهودى الخزرى مبتدع مبدأ الدونمـا التركى . إذن فقد انتقل إلى الأجيال الجديدة من يهود الخزر فكر أجدادهم – نسل يأجوج وماجوج – اليهود الخزريون ، الذى يطلق عليهم اسم اليهود الإشكناز .

★ ★ ★

عـندما دارت المناقشـات لوضـع دستور الولايات المتحدة عام ١٧٨٩م بعد حرب الاستقلال ، وقف بنيامين فرانكلين ، يقول فى خطاب له[٤] : هناك خطر عظيم يتهدد الولايات المـتحدة الأمريكية. ذلك الخطر العظيم هو خطر اليهود . أيها السادة : فى كل أرض حل بها اليهـود أطاحوا بالمستوى الخلقى وأفسدوا الذمة التجارية فيها ، ولم يزالوا منعزلين لايندمجون بغيرهم وقد أدى بهم الاضطهاد إلى العمل على خنق الشعوب ماليا كما هى الحال فى البرتغال وأسـبانيا . منذ اكثر من ألف وسبعمائة سنة واليهود يندبون حظهم العاثر ويعنون بذلك أنهم طـردوا مـن ديار آبائهم ، ولكن أيها السادة ، لن يلبثوا إذا أعطتهم الدول المتحضرة اليوم فلسطين أن يجدوا أسبابا تحملهم على ألا يعودوا إليها . لماذا ؟ لأنهم طفيليات ، لايعيش بعضهم على بعض ، ولابد لهم من العيش بين المسيحيين وغيرهم ممن لاينتمون إلى عرقهم . إذا لم يبعد هؤلاء من الولايات المتحدة بنص دستورها فإن سيلهم سيتدفق إلى الولايات المتحدة فى غضون مائة سنة إلى حد يقدرون معه على أن يحكموا شعبنا ويدمروه ويغيروا شكل الحكم الذى بذلنا فى سـبيله دمـاءنا وضحينا له بأرواحنا وممتلكاتنا وحرياتنا الفـردية . ولن تمضى مائتا سنة حتى يكون مصير أحفادنا أن يعملوا فى الحقول لإطعام اليهود ، فى حين يظل اليهود فى البيوتات المالية، يفركون أيديهم مغتبطين . إننى أحذركم أيها السادة . أنكم إن لم تبعدوا اليهود نهائيا ، فلسوف يلعنكم أبناؤكم وأحفادكم فى قبورهم إن اليهود لن يتخذوا مثلنا العليا ولو عاشوا بين ظهرانينا عشرة أجيال ، فإن الفهد لايستطيع إبدال جلده الأرقط . إن اليهود خطر على هذه الـبلاد إذا ما سمح لهم بحرية الدخول . إنهم سيقضون على مؤسساتنا وعلى ذلك لابد من أن يستبعدوا بنص الدستور " .

وعـلى الـرغم من تلك الكلمات التى صدرت عن زعيم أمريكى يحذر أبناء بلده عام ١٧٨٩م فإن اليهود الروس تدفقوا على الولايات المتحدة منذ ١٨٨١ ، وقبل مرور مائة سنة على تحذير فرانكلين ، فاجتاحوا أراضيها واستطاعوا باتباع كل الطرق الملتوية ، السيطرة على الولايات المتحدة .

لم يكن لليهودية الأرثوذكسية أية جذور فى أمريكا ، حتى وصل مهاجرو أوروبا الشرقية ذوى الآراء الصـــهيونية والعلمانية ، الذين مزجوا الالتزام بقواعد الدين فى الطعام وعطلة يوم السبت ، بإهمال بعض الطقوس الأخرى وارتداء الأزياء الحديثة بدلا من لبسهم ، ودخولهم فى حوارات مع الأديان الأخرى تحت شعار (التوراة والعلم)(٥) وممارسة النشاط السياسى . كان أبرزهم ، (إبراهام أيزاك هاكوهين كوك) البولندى الأصل الذى تولى منصب كبير حاخامات إســـرائيل فى الثلاثيـــنيات ، وتولى بعده ابنه الحاخام زيفى يهودا كوك ، وهو مؤسس حركة (جـــوش أمونـــيم) أو كتلة الإيمان ، وأول من بدأ فى بناء المستوطنات اليهودية على الأرض الفلســـطينية بالقوة . مبدؤهم بعد عام ١٩٦٧ ، هو أنه لم يتبق شىء لنقترب من آخر الزمان وظهور المسيح الذى يعيد بناء الهيكل الثالث . ويعنى هذا عدم أحقية القيادة العلمانية للدولة اليهودية فى إغضاب الله وإفساد عمله بالتنازل عن أجزاء من الأراضى المقدسة .

اســـتطاع اليهـــود فى الولايات المتحدة عام ١٧٩٠ بعد عام واحد من انتخاب جورج واشـــنطن رئيســـا لأمريكا أن يحققوا أهدافا سعوا إليها ، عن طريق قيامهم – رغم اختلافات وجهات نظرهم – بإرسال خطابات إلى واشنطن لكى لا تفرض الحكومة الأمريكية أية عقوبات على المتعصبين لدينهم . وقد استجاب الرئيس الأمريكى لمطلبهم بالوعد بأن الولايات المتحدة لـــن تفرض أية عقوبات على المتعصبين لدينهم ولن تساعد على استمرار الاضطهاد ، وتطلب من هؤلاء الذين يعيشون تحت حمايتها أن يكونوا مواطنين صالحين يتمتعون بتأييدها ودعمها فى كـــل الظـــروف . هكذا نال اليهود حرية العمل فى أمريكا . وتضمن الدستور الأمريكى نصا بذلك المعنى لايمنع اليهود من تأدية طقوس عبادتهم . أصبحت المعابد اليهودية فى أمريكا ثلاثة آلاف معـــبد يهودى تمتد فى كل أنحائها وحتى هاواى بعد أن كانت خمسة فقط متمركزة على الســـاحل الشرقى الأمريكى ، وقامت فى أمريكا أكثر من ثلاثمائة منظمة يهودية تعمل فى كل المجالات(٦) .

أدرك اليهود بما بلغوه من نفوذ وقوة فى أمريكا ، متمثلة أساسا فى السيطرة على الثروة الأمـــريكية فى الـــبيوتات الماليـــة والبنوك والاستثمارات ، أن على كل من يريد تأييد أمريكا لبـــلده ، فعليه أن يخطب ود اليهود الأمريكيين أولا . ويصور " أبى فوكسمان " مدير المنظمة الصـــهيونية فى الولايـــات المـــتحدة هذا الاتجاه بقوله : " معظم العالم غير اليهودى يعتقد إلى حـــد كبير فى صحة بروتوكلات حكماء صهيون . كما أننا نحن اليهود ، لم نتنصل منها تماما

إلى درجة ما . فعندما يأتى أى مسئول رسمى أو رئيس دولة لمقابلتى ، فإننى أعلم تماما أن هناك من أخبره بأن المجتمع اليهودى فى أمريكا قوى وذو نفوذ "(٧) .

★ ★ ★

عندما تأسس حلف بغداد ، وبدأت الحرب الباردة تشتد بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى فى منتصف الخمسينيات ، وحدثت حرب ١٩٥٦ ، خافت الولايات المتحدة على مركزها العالمى ، خاصة مع بروز أهم نتائج تلك الحرب باندحار الآمال البريطانية والفرنسية فى احتلال مصر وقناة السويس مرة أخرى ووقوف الاتحاد السوفيتى كند للقوة الغربية . رسم نيكسون ، رئيس أمريكا استراتيجية جديدة للمنطقة ، فأعلن " أن إسرائيل تعتبر مصدر قوة استراتجية بالنسبة لأمريكا فى زمن الحرب الباردة " . وظهر ذلك الدعم فى المساعدات الضخمة التى تلقتها إسرائيل من أمريكا . كانت وجهة نظر يهود الولايات المتحدة التى يمثلها فى ذلك الوقت :

- مؤتمر الزعماء اليهود ، المعبر عن تأييد جموع يهود أمريكا لإسرائيل ، وترأسته شوشانا كاردين .
- منظمة " إيباك " : لجنة العلاقات الأمريكية الإسرائيلية - وهى جماعة الضغط اليهودى .
- اتحاد مجالس اليهود الأرثوذكس فى أمريكا - ورأسه دافيد لاشيتز .

أن على الولايات المتحدة أن تتحالف استراتيجيا مع إسرائيل من أجل موازنة سياسات الحرب الباردة والتغلغل السوفيتى الذى حل محل الإنجليز والفرنسيس فى أفريقيا وآسيا ، ومن أجل اتخاذ إسرائيل كقاعدة استراتيجية لأمريكا تهدد بها الشرق الأوسط الذى يمتلك قناة السويس ومصادر الطاقة البترولية - الساعيه إليها بشدة ، الآمال السوفيتية المتمثل فى المد الشيوعى بالدول العربية المحيطة بإسرائيل .

ولقد افرز التسلط اليهودى على الولايات المتحدة ، تدفق الأموال الأمريكية على إسرائيل لبناء دولتها لتحقيق تلك الاستراتيجية ، فثبت أن متوسط ما ترسله المنظمات اليهودية الأمريكية إلى اسرائيل سنويا ، مليار دولار ، كتبرعات خيرية يخصمها اليهود فى أمريكا من وعائهم الضريبى . أما الحكومة الأمريكية ، فإنها تخصص أكثر من ثلاثة مليارات دولار سنويا لإسرائيل، نصفها كهبة والباقى كقروض سرعان ما تنسى . ويقول روجيه جارودى(٨)

إن مساعدات الولايات المتحدة إلى إسرائيل ، تصل الأن إلى نحو عشرين مليار دولار من الأسلحة ، يحرص الكونجرس على تجنب الإعلان عنها .

وكعادة اليهود الطفيلية منذ الأزل ، حينما التصقوا بالمسيحيين فشتتوهم ، فتقوقعوا حول العرب الوثنيين فطردوهم بعد الإسلام ،فنزحوا إلى الخزر يستغلوهم حتى تشتتوا فى أنحاء شرق أوروبا ، ثم إلى أسبانيا مع المسلمين حتى فرقهم المسيحيون ، ووزعوهم على الدول القوية ، ثم فى فرنسا وانجلترا والدولة العثمانية ، وسيطرتهم على كل مقدرات تلك الأراضى التى بنوا فيها ثرواتهم التى يشترون بها الذمم ، استطاع اليهود التغلغل فى الأرض الجديدة . ومع انتشار ذوبان اليهود فى المجتمع الأمريكى ككل واهتمام اليهود بأن يعيشوا حياتهم كأفراد ، إلا أنهم اختلفوا عن باقى الأمريكيين فى درجة مشاركتهم فى العمل السياسى العام . فجل همهم هو يهود إسرائيل ومحاربة المسيحية والإسلام .

وما يعضد هذا الرأى ، هو خطاب (إدجار برونفمان) رئيس المؤتمر اليهودى العالمى فى اجتماع المؤتمر عام ١٩٩٤م يحذر فيه أن المجتمع اليهودى أصبح على شفا الانهيار ، لأنه مجتمع يولى اهتماما كبيرا للوقوف ضد الأعداء ، ولايهتم كثيرا بالبحث عن جوهر وروح اليهودية . " فعلى مدى الجيلين الماضيين ، كنا نعبر عن هويتنا اليهودية بتكريس أنفسنا من أجل إسرائيل ، لكنها الآن تتجه إلى السلام مع جيرانها ولن تحظى باهتمامنا السابق ، والتحدى الذى يواجهه اليهود الآن هو البحث عن وسيلة لزرع الروح اليهودية فى نفوس أبنائنا وهى مهمة تجاهلها الأجداد منذ قرن من الزمان "[٩] .

ويفضح الكاتب اليهودى " جوناثان جولد نبرج " خطط يهود أمريكا فى كتابه بالقول إن أزمة المجتمع اليهودى الأمريكى تعكس الشكوك الخطيرة التى تواجه النظم السياسية اليوم ، حيث يستعد العالم لدخول القرن الحادى والعشرين وهو لازال متعلقا بالخرائط القديمة التى رسمت فى العشرينيات من القرن الحالى . ويتفاخر الكاتب بأن اليهود ، " كانوا هم أول جماعة عرقية أو دينية تحقق القوة والنفوذ بين مجتمع أكبر عن طريق العزف على أوتار الضعف وسقوط الضحايا" ، وقاد اليهود الأمريكيون الدعوة إلى بلقنة النظام الأمريكى ومحاولة تفكيكه عن طريق ابتكارهم فن عمل جماعات المصالح التى نظمت المظاهرات وجمعت التبرعات وأبرمت الصفقات من أجل أهداف خاصة[١٠] .

★ ★ ★

والسؤال الذى يطرحه ماسبق على الفكر الإنسانى هو : كيف يقوم اليهود بمحاولة تفكيك النظام الأمريكى ، وما هى الأهداف الخاصة ؟ والإجابة تبدأ بالرد على الأهداف الخاصة لليهود : تحطيم المسيحية والإسلام ، وسيادة الديانة اليهودية ، أو تحكم اليهود فى الآخرين على اختلاف مللهم ومعتقداتهم انطلاقا من عقيدتهم الزائفة بأنهم شعب الله المختار . ولايبقى إذن سوى الشطر الأول من السؤال . كيف يفكر اليهود فى بلقنة الولايات المتحدة وتفكيكها فكريا واجتماعيا ؟

جاء (سايروس إنجيرزون سكوفيلد) الإنجليزى اليهودى ، ووضع مع (جون نلسون داربى) الأيرلندى ، الذى كان قسّا ثم انسحب من الكنيسة عام ١٨٧٥ ، نظاما دينيا يقوم على أساس أنه مخطط الله على الأرض من أجل إسرائيل وخلاص المسيحيين . وقد طبعت تلك الآراء فى كتاب عام ١٩٠٩م كأول مرجع إنجيلى ، يوضح آراء " سكوفيلد " الشخصية فى الأنجيل ، ويفند فيه أراء معارضيه إلى الدرجة التى أصبح بها العامة من المسيحيين لايستطيعون التمييز بين كلمات "سكوفيلد " وكلمات "الروح القدس "(١١) .

بنى ذلك الكاتب " سكوفيلد " الذى يدعى المسيحية ، نظريته على "هرمجدون " وهى بلدة تقع غرب الأردن بين الجليل والضفة الغربية فى سهل " جزريل " يتصور أن حربا ذرية سوف تدور رحاها فى تلك البلدة تنهى الحياة على الأرض باستثناء المسيحيين المخلصين الذين وعدهم المسيح بسماء جديدة وأرض جديدة فليس على المخلصين أن يقلقوا حول مصير الأرض ، وليذهب العالم كله إلى الجحيم ليحقق المسيح للقلة المختارة سماء وأرضا جديدين .

ولقد أفرزت تلك النظرية الخيالية هرمجدّون ، إيمان أكثر من أربعين مليون مؤيد أمريكى لها على رأسهم رؤساء الولايات المتحدة : ريجان وكارتر ، ثم كلينتون . إن نظام إيمانهم بتلك النظرية يقتضى الحاجة إلى تدمير الصروح الإسلامية المقدسة فى القدس . وتقول مؤلفة كتاب (النبوءة والسياسة) إن أحد مؤيدى النظرية من الإنجيليين ، أخبرها فى القدس أن النبوءة الإنجيلية، تقتضى من اليهود تدمير هذا الصرح وبناء هيكل يهودى مكانه ، وأن الإرهابيين اليهود الذين يحاولون نسف الصرح هم أبطال فى نظر الكثيرين ويمدونهم بالمساعدات .

امتلكت الكنيسة الإنجيلية ، أربعمائة محطه راديو وتلفاز أهمها CBN ، تقوم من خلالها ببث تلك الدعوة ، التى تنادى بأنه لن يكون هناك سلام حتى يعود المسيح وأن كل تبشير بالسلام قبل هذه العودة هو هرطقة . فهو ضد كلمة الله . إنه ضد المسيح . ولقد استطاعت

تـــلك المحطات بما تذيعه على مدار أربعة وعشرين ساعة ، من خلق شعور بين الأمريكيين عامة بصدق ما يدعونه من أكاذيب ، ساهمت حرب ١٩٦٧ وما حققته إسرائيل من انتصار سريع حاسم على مصر وسوريا والأردن ، واحتلالها لسيناء والضفة الغربية ومرتفعات الجولان ، أن تثبّت فى العقول الأمريكية والغربية البروتستانتية والإنجيلية على وجه الخصوص ، أن ما يقوله اليهـــود حول اقتراب موعد هرمجدّون هو شىء حقيقى ، يقتضى أولا الاستيلاء على القدس كلها ثم هدم الصروح الإسلامية لبناء الهيكل استعدادا لعودة المسيح المخلص . والسيد المسيح عـــليه السلام عند المسيحيين والمسلمين ، هو غيره عند اليهود كما سبق وأن بينا فى غير هذا المكـــان ، إنمـــا اســـتغلال اســـم رسول الله عيسى ابن مريم بواسطة اليهود ، وجد صداه عند المسيحيين البسطاء . ومن المؤسف والمؤلم لأى مؤمن ، مسلم أو مسيحى ، أن يرى تفشى تـــلك الهـــرطقة تسرى فى أدمغة الأمريكيين المؤمنين بتلك النظرية اليهودية التى تقول إنه بعد معركة هرمجدون لن يتبقى على وجه الأرض سوى ١٤٤ ألف يهودى يتحولون إلى المسيحية ، الذين سيصبحون شعب الله المختار .

★ ★ ★

أوجدت نظرية هرمجدون ، هلوسة بين الإنجيليين والأمريكيين ، تزعمها اثنان هما علامة فى ذلك الفكر المريض :

- هال ليند ساى .
- جيرى فالويل .

فـــالأول يدعو إلى أن جيل عام ١٩٤٨م فى اسرائيل سوف يشهد عودة المسيح ، ولكن بعد أن يخوض العالم حربين . الأولى ضد يأجوج ومأجوج ، والثانية فى هرمجدون ، ويصور بداية المأساة على أنها تحالف كل العرب مع السوفييت لمهاجمة إسرائيل . ويقول ذلك المخرّف ، أن مائتى مليون جندى من الشرق الأوسط مع ملايين من قوات الغرب يقودها أعداء المسيح من الإمبراطورية الرومانية المستحدثه – أوروبا الغربية – سوف يهجمون على إسرائيل وأن عيسى المســـيح سوف يضرب أولا أولئك الذين دنسوا مدينة القدس ، ثم يضرب الجيوش المحتشدة فى هرمجدون لإبادتهم إبادة شاملة لايتبقى بعدها إلا شعب الله المختار[١٢] .

والثانى – فالويل – فهو يتحدث عن نصوص من الأناجيل حول مهاجمة مناطق لإسرائيل، ويقرب الأسماء الواردة فى قصة حزقيال – عليه السلام – إلى مدن حديثة فى الاتحاد السوفيتى، وأسمــى حلفاء السوفيت بدول إيران وليبيا وأوروبا وأثيوبيا . ويصل فى هلوساته الهادفة ، إلى أن السلام لن يتحقق إلا بجلوس المسيح على عرش داود فى القدس . ثم يطوع نظريته سياسيا بــأن روسيا بسبب حاجتها إلى النفط ستهاجم إسرائيل بسبب كراهيتها لليهود . وقد تلقف رئيــس أمــريكا ريجــان هذه الآراء ودفعه إيمانه بقصة " هرمجدون " اليهودية إلى البرود تجاه محادثات نزع السلاح النووى إيمانا منه بأنه لن تحدث معركة هرمجدون إذا لم يكن هناك سلاح نووى . ولم يخف ريجان أيضًا سعادته عندما أسقط الشيوعيون فى أثيوبيا هيلاسلاسى ونظامه . أمــا العداء الأمريكى الحالى لكل من إيران وليبيا ، فهو شىء غير خاف على أى قارىء[١٣] . ويــردد فلويل دائما عبارة يحفظها : " لأن الكتاب المقدس يقول إن الذين يباركون إسرائيل يباركهم الله وإن الذين يلعنون إسرائيل يلعنهم الله " .

أصــبح الانجيــليون ، يفســرون كل عمل يهودى بما يتفق وإيمانهم بما أدخله اليهود فى عقولهــم ، فقد أوضح احدهم بعد غزو إسرائيل للجنوب اللبنانى : (أن غزو لبنان كان عملا من إرادة الله . لقد كانت حربا مقدسة . إننى أعتقد أن الغزو كان رائعا لأنه كان منسجما مع العهد القديم ، ولأنه يؤكد النبوءة التوراتية – الإنجيلية ، وهذا يعنى أننا نقترب من هرمجدون) ويقول مخرف ثان من تلك الفئة : (إن خلق إسرائيل جديدة مع عودة اليهود إلى الأرض التى وعدهم الله بها يعطينا دليلا لا يناقش على أن خطة الله المباركة هى موضع التنفيذ ، وأن العودة الثانية لمخلصنا قد تأكدت . إن خلق دولة إسرائيل هو أهم حدث فى التاريخ المعاصر . الخطوة الأولى نحو بداية نهاية الزمن .

وتعــلق مؤلفه الكتاب (النبوءة والسياسة) – الإنجيلية السابقة – على آراء " فولويل " قائله : " إن المسيحيين الصهاينة يفسدون تعاليم المسيح . إن صهيونية فولويل ، سياسة لاعلاقة لها بالأخلاق أو القيم أو بمواجهة المشاكل الحقيقية . إنه يدعو أتباعه إلى تاييد إسرائيل ويطلب مــن دافــع الضــرائب الأمريكى أن يقدم خمسة بلايين دولار فى السنة ، مؤكدا لأتباعه أنهم كمؤيدين للصهيونية ، فهم على الطريق الرابح والناجح "[١٤] .

★ ★ ★

والسؤال الثانى الذى يطرح نفسه فى هذا السياق الذى نعالجه : ماهو شأن ذلك الاتجاه المنادى بالمسيحية الصهيونية ؟ وتقتضى الإجابة على هذا السؤال العودة بنا إلى القرن السادس

عشـــر ، وتدخل اليهود فى الدين المسيحى لشق صفه – كهدف سامٍ من أهداف اليهود منذ أرســـل السيد المسيح عليه السلام ، إلى بنى اسرائيل – فبدأ الاتجاه البروتستانتى باتخاذ اليهود موقعـــا متميزا فى تفكيرهم البروتستانتى ، وأدى مع بدء عمليات الإصلاح الاجتماعى وتطوير القانون الأوروبى ، إلى تغيير مسار الاتجاه لناحيتهم ، الذى قاد إلى المزيد من المرونة مع اليهود بسبب اتساع الدور الاقتصادى اليهودى فى التجارة العالمية .

وبـــرز دور القوى اليهودية ذات النفوذ ، من خلال الكنائس البروتستانتية الإنجليزية ، فتقـــبل البروتســـتانت بعض التقاليد اليهودية مثل توقع عودة المسيح ، والألفية – أى حكم الســـلام لمـــدة ألف عام على الأرض ثم تطوّر الأمر بينهم إلى أن فلسطين هى أرض اليهود . والأيـــدى اليهودية الإنجليزية فى المأساة الفلسطينية غير خافية . فلقد أوضح أوليفر كرومويل عـــام ١٦٠٠م ، وهو راعى الكومنولث البريطانى ، أن الوجود اليهودى فى فلسطين هو الذى يمهد للمجيىء الثانى للمسيح .

وصـــرح اللورد " أشلى كوبر " عام ١٨٣٩م بأنه يحث اليهود على الهجرة إلى فلسطين لأنهـــم يلعبون دورا هاما حول المجيىء الثانى للمسيح ، وأن عليه أن يساعد الله لتحقيق الخطة الإلهية بنقل اليهود جميعا إلى فلسطين تمهيدا للعودة . واستعمل العبارة المشهورة (فلسطين أرض بـــلا شـــعب لشعب بلا أرض) وقام وزير الخارجية البريطاني " بالمرستون عام ١٨٣٩م بفتح قنصلية بريطانية فى القدس لحماية اليهود بها ، الذين بلغ عددهم فى ذلك الوقت ٩٦٩يهوديا وأجنبيا .

وعلى مدى مائة وخمسين عاما ، كان البروتستانت فى بريطانيا ثم بدرجة كبيرة فى أمريكا، هم الذين يدافعون عن الصهيونية ، وكان رأيهم وحدهم : أن فلسطين تخصّ اليهود . وفى هذا المجـــال ، فإن بنيامين ناتنياهو قال عام ١٩٨٥ وكان سفيرا لإسرائيل فى الأمم المتحدة ، " لقد كان هناك شوق قديم فى تقاليدنا اليهودية للعودة إلى أرض إسرائيل ، وهذا الحلم الذى يراودنا منذ ألفى سنة تفجر من خلال المسيحيين الصهيونيين "(١٥) .

عمـــل اليهود إذن على تجذير الدعم المسيحى للصهيونية المتمثلة فى دولة إسرائيل بشتى الطرق محققين من ذلك عدة مكاسب تتمثل فى :

١– تدفق المال على إسرائيل من الحكومة والشعب الأمريكى .

٢ – السيطرة على الكونجرس الأمريكى وجعله مجرد خاتم للموافقة على كل أهداف اليهود .

٣– الدعم المسيحى لإمكان السيطرة المنفردة والتامة على مدينة القدس .

والمعـــتقد أن الأسباب السابقة يمكن أن يصل إليها أى محلل سياسى أو محايد بعد معاينته لمـــدى الـــتأثير اليهودى على العقل البروتستانتى الإنجيلى الذى أصبح يضم فى أمريكا مائتين وخمسين مجموعة مسيحية صهيونية . لكن الفكر الإسلامى ، يستطيع أن يلمس بسهولة تامة ، مـــدى مـــا خلقـــته تـــلك المجموعات من عداء أصيل تجاه الإسلام والمسلمين فى كل العالم ، واســـتخدام نظـــرية هرمجدّون ، فى تأصيل العداء ضد المسلمين بكل الوسائل ، فيضع مؤلفو " مســـرحية هـــرمجدّون " سيناريو إضافيًا إلى مسرحيتهم الأصلية ، فيوضحون أن المسيحيين سوف يتعرضون للاضطهاد الإسلامى وإبعادهم عن الشرق الأوسط . ونحن نرى الآن فى نهاية القـــرن العشـــرين الأصـــابع الـــتى تحاول إثبات ذلك عن طريق الاتهامات الموجهة إلى مصر والسودان وباقى الدول الإسلامية العربية من اضطهاد المسيحيين بها . نفس المخطط اليهودى الذى اتبع مع الدولة العثمانية من قبل فى اضطهاد الأرمن واليونانيين المسيحيين وما حدث فيه مـــن عمليات اغتيال أدت إلى فتنة عظيمة، أطاحت برقاب الملايين من المسلمين والمسيحيين . ولقد ساند الكونجرس الأمريكى – خاتم اليهود المضمون – ذلك الاتجاه بإقراره قانونا جديدا بفرض عقوبات على الدولة التى يثبت أنها تمارس الاضطهاد الدينى ضد المسيحيين .

والمشكلة الشائكة الثانية التى يرفع لواءها المسيحيون الصهاينة من الإنجيليين العسكريين ، موضـــوع القدس . فهم يكتلون كل الجهود المادية والمعنوية ، لجعلها – وهى مدينة الإسلام والمســـيحية – عاصـــمة موحدة لليهود . وهذه القضية ، هى عنصر هام وأساسى من عناصر سيناريو هرمجدون ، استعـــدادا لهدم المسجد الأقصى وإقامة معـــبد داود أو هيكل سليـــمان – عليهما السلام – فهل يتحقق ذلك ؟

لقـــد حشد اليهود عندما كانت انجلترا تحكم العالم ، كل قوتها فى تولى اليهود أمور تلك الإمـــبراطورية لـــتحقيق أغراضهم بخلق الكيان اليهودى وسط العالم العربى . والآن ، فى هذا الوقت ، فإن اليهود تمكنوا من حشو الإدارة الأمريكية باليهود : وزيرة الخارجية أولبرايت ، الـــتى تفاخـــرت بـــإعلان يهوديتها ، وكوهين وزير الحرب الأمريكى ، ومستشارى الرئيس كلينـــتون ، وغيرهم من اليهود الذين يمسكون برقاب مئات الملايين من المسيحيين فى أمريكا . ومن المؤسف أن المسيحيين الأمريكيين ، يؤمنون بالدعاية اليهودية ، فيساعدونهم عن جهل على

تحقيـــق مخططاتهم وأولهم إنهاء المسيحية والإسلام ، أملا وسرابا . وقبل ذلك ، الاستيلاء تماما على القدس وجعلها عاصمة لليهودية لبناء المعبد الذى سيعيد السلام إلى الأرض بعودة المسيح المخـــلص ، فكـــرة " ابـــن الروحى " الخزرى اليهودى الذى اغتاله حموه ، خوفا من تقليب المسلمين والمسيحيين على اليهود .

لليهود قانون دينى يسمى (هالاشا) ، ينص على أنه لا يسمح لأى يهودى بدخول الجبل المقـــدس إلى أن يأتى المسيح اليهودى . وضع ذلك المبدأ موسى بن ميمون ، الذى أسماه يهود مصر بالربّانى الأعظم ، والذى نشأ فى الأندلس فى القرن الثانى عشر ثم جاء مصر خلال العصر الفاطمى ، فأظهر إسلامه ، ثم ارتد عنه فى أيام الناصر صلاح الدين وعاد إلى يهوديته وأصبح كـــبير حاخامـــات مصر . ولقد حمل تلك الدعوة من بعده " إبراهام كوك " مؤسس " جوش أمونيم " وهم يلتزمون بها ، انتظارا لهدم المسجد الأقصى وإنشاء المعبد ، حلم اليهود ، لكن الله عز وجل هو الغالب على أمره ولو كره الكافرون .

★ ★ ★

هوامش الفصل العاشر

(١) انظر كتاب (قوة اليهود فى أمريكا) – جوناثان جولد نبرج ترجمة نهال الشريف – ص١٠٣ .

(٢) المصدر السابق ص١٠٤ .

(٣) المصدر السابق ص١١١ – المؤلف جولد نبرج يهودى يحمل الجنسية الأمريكية ، وكتابه مجمله عبارات فخر باليهود وكيف أنهم يحكمون الولايات الأمريكية فعلا . لم يشعر الكاتب بأى نقص وهو يسرد أفعال اليهود فى الولايات المتحدة ، وإن كان قد صورها كلها فى صورة إسداء حسن الصنيع متفاخرا بالأيادى البيضاء التى قدمها الأغنياء اليهود إلى رؤساء الولايات المتحدة وتأييدهم لإسرائيل ومناصرة الكثير من المسيحيين الأمريكيين لليهود وحقوقهم فى فلسطين على حساب تحطيم المسجد الأقصى بالقدس الشريف وبناء هيكل داود مكانه حتى تتحقق النبوءات اليهودية المختلفة .

(٤) هذا الخطاب وثيقة رسمية محفوظه فى معهد بنيامين فرانكلين فى فيلادلفيا بولاية بنسلفاليا الأمريكية . نصه الانجليزى منشور فى كتاب (حكومة العالم الخفية) نقلا عن مجلة "المسلمون " العدد السابع عام ١٩٥٥ – ص٢٩/ ٣٠

(٥) انظر كتاب (قوة اليهود فى أمريكا) ص١٥٩ إلى ١٦٣ – والمقصود بالحوار مع الأديان منصب على المسيحيين الأمريكيين الكاثوليك والبروتستانت ، والذى أفرز ما يسمى بالمسيحيين اليهود أو الإنجليكيين الذين يؤيدون إسرائيل واليهود وطرد كل المسلمين من الأراضى العربية وبناء هيكل داود مكان المسجد الأقصى .

(٦) المصدر السابق – ص٩٩ /١٠٠ – ومن المذهل ، أن يعرف الإنسان بعد أكثر من مائة سنة ، أن جورج واشنطن كان أحد أساتذة " الماسونية " وأن تصميم الدولار الأمريكى ، يتخذ من شعار الماسونية علامة له " البناء الأعظم " (وردت هذه المعلومات مؤخرا فى الحلقة الثانية من برنامج (سرى للغاية) الذى أذاعته محطة تلفاز الجزيرة الساعة ٢٤ صباح السبت ١١ سبتمبر ١٩٩٩ .

(٧) انظر (قوة اليهود فى أمريكا) جوناثان جولد نبرج – ص٣٢ .

(٨) انظر كتاب (الاساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية) روجيه جارودى ص٣١٠ – ٣١١ .

(٩) انظر كتاب (قوة اليهود فى أمريكا) جوناثان جولد نبرج – ص٩٢ .

(١٠) المصدر السابق ص٣٥ إلى ٤٥ – ومن الجدير بالذكر أن اليهود تحالفوا مع كل القوى الدولية الخاضعة تحت سيطرتهم – الولايات المتحدة ، روسيا ، ودول أوروبا – لوأد كل النزعات القومية أو الدينية الإسلامية التى جرت فى البوسنة ثم الشيشان ثم كوسوفو ، وأخيرا فى داغستان عندما أعلنت إسرائيل عن مساندتها العسكرية السافرة ضد (الإرهابيين المسلمين الانفصالين) فى ذلك الإقليم المسلم الذى حافظ على دينه قرونا طويلة تحت الحكم الروسى ثم البلشفى ثم الروسى مرة اخرى . والشىء الذى يدعو إلى السخرية والندم ، أن الحكومة الروسية تصدر تحذيرا لأى دولة إسلامية تفكر فى مساعدة المسلمين

فى داغستان ، وتعلن عن امتنانها لإسرائيل التى تمدهم بالمعلومات والمساعدات نفس ما فعله أجداد اليهود عندما اشتركوا مع الفرس والوثنيين فى حروبهم ضد المسلمين أيام فتح فارس وصدق الله العظيم .

ولايمكن أن نتجاهل أيضا دور اليهود الأمريكيين فى موضوعين رئيسيين شغلا العالم - الأزمة الأمريكية - السوفتية حول هجرة اليهود ، والدور الذى لعبه هنرى كيسنجر مستشار الأمن القومى ثم وزير خارجية أمريكا ، عام ١٩٧٢ عندما استطاع إثبات قوة اليهود السياسية فى مجلس الشيوخ ، بإجبار السوفيت على السماح بهجرة اليهود من أراضيها .

- عند قيام الثورة الإسلامية فى إيران عام ١٩٧٩ ، تحرك يهود أمريكا لإخراج ثمانين ألف إيرانى منها هربا عبر الحدود مع تركيا وأفغانستان ، حيث تتلقاهم لجنة التوزيع المشتركة ثم تنقلهم إلى فينا - عاصمة النمسا - حيث يجرى زرعهم فى مجتمعات جديدة .

(١١) انظر كتاب (النبوءة والسياسة - الإنجيليون العسكريون فى الطريق إلى الحرب النووية) - جريس هالسل : ترجمة محمد السماك . هذا المرجع من أهم المراجع التى كتبتها جريس هالسل ، التى كانت إحدى عضوات الكنيسة الإنجيلية وعملت كسكرتيرة بالبيت الأبيض الأمريكي وكصحفية فى عدد من أكبر الصحف الأمريكية ، لكنها اقتنعت بعد عدد من السنوات ببطلان دعاوى اليهود والحركة الإنجيلية العسكرية ، فألفت ذلك المرجع الذى يفضح الدعاية اليهودية وسيطرتها على العقول المسيحية المنغلقة .

(١٢) المصدر السابق ص٤٣ إلى ٤٦ - ونظرة إلى كلام " ليندى ساى " اليهودى نرى أنه جمع بين مسلمى الشرق الوسط ، ومسيحيى أوروبا الغربية أو على حد قوله - الإمبراطورية الرومانية المستحدثه - كأعداء شعب الله المختار. نفس مبادىء اليهود وعقيدتهم فى إبادة المسيحيين والمسلمين . يقول الله عز وجل فى سورة المائدة : ٦٤ ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ صدق الله العظيم .

(١٣) انظر كتاب (النبوءة والسياسة) ص٣٩ إلى ٤٣ .

(١٤) المصدر السابق ص٥١ - ٦٣ - ولايتسع المجال هنا لتوضيح أو تبيان كل الجوانب السياسية والاقتصادية والإعلامية للسيطرة والنفوذ اليهودى فى الولايات المتحدة الأمريكية ، فهى حقائق غير غائبة عن القارىء ولاتحتاج إلى إبراز أو توضيح .

(١٥) المصدر السابق ص٥٩ إلى ١٠٧ - بنيامين نتنياهو هو رئيس وزراء إسرائيل وزعيم حزب الليكود السابق ، الذى أبدى تشددا فى محادثاته مع العرب ينم عن كراهيته المتأصله للسلام وللمسلمين على حد سواء . وهو يهودى إشكنازى متعصب . وقد أدى سقوطه فى انتخابات ١٩٩٩ إلى اعتزاله رئاسة حزب كتلة الليكود وتفرغه لمحاربة أعداء اليهود التقليديين : المسيحيين والمسلمين .

الفصل الحادي عشر

الحصار اليهودى للمسلمين

شـــهدت نهاية القرن الخامس عشر ، هيمنة الحضارة العربية الإسلامية على معظم أنحاء العـــالم القـــديم . فقد كان هناك مجتمعان شقيقان فى دين الإسلام يسدان جميع مسالك وطرق الاتصال بين المجتمعين الغربى والروسى وسائر بقاع العالم القديم . فقد هيمنت الحضارة العربية الإسلامية على الشاطىء الأفريقى المطل على المحيط الأطلسى ، من جبل طارق وحتى السنغال، ووصل العرب والمسلمون إلى الشاطىء الشرقى لأفريقيا وأسسوا المراكز الإسلامية على طول سواحل البحر الأحمر وشواطىء المحيط الهندى ، الذى غدا وكأنه بحيرة عربية إسلامية .

امـــتدت الحضـــارة الإيرانية الإسلامية ، إلى السند والهند والمغول وأجناس الأتراك من الآسيويين، بينما حوّل العثمانيون المسلمون البحر الأسود إلى بحيرة إسلامية ، وقامت الشعوب الإسلامية الأخرى التى تتحدث بالتركية بمد سلطان الإسلام من البحر الأسود حتى وسط نهر الفولجا فى أوروبا . فى حين اتسع العالم الإيرانى الإسلامى ، حتى وصل إلى المقاطعتين الصينيتين "كانصو " و" شنسى " فى شمال غرب الصين ، ثم امتد حتى وصل إلى البنغال .

ولم يقـــف العـــرب المسلمون موقف المتفرج مكتوفى الأيدى ، وهم يرون المد الإسلامى يجتاح العالم ، رافعا راية لا إله إلا الله محمد رسول الله ، بل جابت السفن العربية المحيط الهادى ، ومـــدت طـــرقها البحرية إلى جزر ألدونيسيا وحولت شعوبها الوثنية إلى الإسلام ، ثم امتدت إلى جزر جنوب الفلبين وحولت سكانها من عنصر الملايو ، إلى دين الله الحنيف[1] .

لم يـــتأخر المسلمون العرب فى التوغل داخل أواسط أفريقيا ، ناشرين دين الله الحنيف ، فدخـــلت قـــبائل صنهاجه فى الإسلام الذى وجد صداه فى كل شبر دخل فيه مسلم بأفريقيا ووصل الإسلام حتى مملكة غانا بعد فتح منطقة الفوتاجالون[2] . ومن الجدير بالاهتمام أن نذكر هـــنا قصـــة هامـــة تعكـــس وجهة نظرنا التى تحدثنا عنها مرارا فى شان العلاقة بين المسيحية والإسلام ، صوّرها المؤرخ الفرنسى (شـــارل مونتاى) فى دراسة له عن الإســـلام فى أفريقيا

الغــربية[٣] . ومــلخص القصـــة أن جماعة الدومينيكان المسيحية أرسلت أحد المبشرين ومعه المعــاونين والأمــوال اللازمـــة إلى قــرية صغـــيرة تسمى "باهو " ، غير بعيدة عن الشاطىء فى فوتاجالون ، واستمروا بها ثلاث سنوات ، يبنون كنيسة بها مبشرين بالمسيحية . ونزل القرية ذاتها ، فقيه مسلم جاءها من تمبكتو اسمه حاجى عبد السلام ، فدعا الناس إلى الإسلام ، وتولى القضاء بينهم ، وفى أقل من ستة شهور، كانت القرية كلها وما حولها ، قد دخلت فى الإسلام. كتب المبشر الدومينيكى إلى كنيسته بذلك فأرسلوا له أسقفا ، قال لهم بعد ثلاثة شهور .

– أظن يا أولادى أنه لامستقبل لنا هنا . دعوا كل شىء لأولئك الناس وامضوا عنهم ، فقد تغلب عليكم ذلك الفقية الواحد .

كـــان ذلـــك الســـلام والتسامح المسيحي ، هما المودّة التى ربطت المسيحيين بالمسلمين مصداقا لقول الله عز وجل ، أما ماعداه من حروب شنها المسيحيون على المسلمين على مدى القـــرون الماضية ، فهى طبخ يهـــودى متقن الصنع خطط له بعناية عن طريق من يتحكمون فى مصـــائر المسيحيين ، سواء أكانوا يهودا متظاهرين بالمسيحية ، وعلى رأسهم بالقطع ، طائفة (المارانوس) من البرتغاليين ، الذين انتشروا فى كل دول أوروبا يحملون الحقد ضد المسيحيين والمسلمين معا .

★ ★ ★

ابـــتكر البرتغاليون نوعا جديدا من السفن ذات الأشرعة المتعددة ، التى تتيح لهم الإبحار بأمان فى المحيط الأطلسى ، فتمكنوا من اكتشاف جزر ماديرا عام ١٤٢٠م ثم جزر الأزور عام ١٤٣٢م واســـتطاعوا الـــدوران حول الرأس الأخضر عام ١٤٤٥م وبلوغ خط الاستواء ، وإقامة القلاع على الشاطىء الأفريقى . كانت أولى القلاع التى بناها البرتغاليون على الشاطىء الأفـــريقى ، هى (المينا) عام ١٤٨٢ وتقع جنوب غينيا على شاطىء غرب أفريقيا .واستمر الإبحـــار البرتغالى حول رأس الرجاء الصالح والوصول إلى كلكتا عام ١٤٩٨م ثم وصلوا إلى كانـــتون عـــام ١٥١٦ ثم اليابان ١٥٤٢م فاختطف البرتغاليون السيادة البحرية على المحيط الهندى من العرب المسلمين .

عـــرف اليهود ، كيف استطاع المسلمون الحصول على الثروات من تلك الأراضى التى فـــتحها الإسلام . الذهب والعاج وريش النعام من أفريقيا ، والتوابل من آسيا . عرف اليهود بكـــل الحقـــد الدفـــين كيـــف اســـتطاع المسلمون فتح كل تلك الأراضى وكيف اتسعت

امـــبراطوريتهم هـــذا الاتساع الشاسع والغنى الفاحش فى سنين قليلة ، فبدأوا تخطيطهم الذى لايمكن أن يكون اعتباطيا .

اليهـــود هم سادة التجارة بلا منازع . هى الوسيلة السهلة فى جمع الأموال بأسرع وقت ممكـــن وبأســـهل الطرق . كانت سيطرة اليهود على التجارة فى كل شبر حطوا عليه واضحة لاتحتاج إلى براهين أو إسناد . وكعادة اليهود ، فهم يتخفون تحت عباءة دائما لتحقيق مآربهم : جمع الذهب والفضة .

أصـــبحت البحرية البرتغالية بجبروتها ، هى الوسيلة التى يمكن امتطاؤها لتحقيق أهداف اليهود فى حصار المد الإسلامى فى أفريقيا ، وحصره فى المناطق التى استطاع الوصول إليها بعد خـــط الاســـتواء ، شرقا وغربا . استغل اليهود الحميّة المسيحية البرتغالية فى إقناعها بضرورة الـــتحرك لحصار النفوذ الإسلامى قبل أن يمتد نفوذه إلى أبعد مما وصل إليه ، والاستيلاء على ثـــروات الذهـــب والعاج لتمويل رحلات الاستكشافات البحرية . وبنفس المنطق ، وبأموال الذهب الأفريقى المنهوب ، استمر استكشاف البرتغال لمهد بلاد التوابل فى آسيا كتجارة رابحة للبرتغال ، ونشر للدين المسيحى فى تلك الأراضى الوثنية عن طريق التزاوج وإقامة الكنائس .

وكما سبق وأن ذكرنا فى غير هذا المكان أن اليهود (المارانوس) الذين حطوا فى هولندة ، قد تخصصوا فى بناء السفن الكبيرة الأقوى من البرتغالية ، والتى استطاعت أن تبحر إلى الجزر الأندونيسية ، مهد التوابل – وتستولى عليها وتقيمها مستعمرة هولندية ، محتكرة تجارة التوابل فى العالم الأوروبى .

ليـــس الأمر إذن مصادفة . فمن صنع الأسطول الهولندى كان بلا شك هو الذى طوّر السفن البرتغالية لتبحر كل تلك المسافات ، وهم الذين أرشدوا الأسطول الهولندى إلى مسالك المحيـــط الأطلنطى ثم الهندى حتى أندونسيا . وإذا ما تتبعنا حركة اليهود (المارانوس) وهجرتهم مـــن الـــبرتغال إلى هولندا إلى انجلترا ، والتطور الذى حدث فى صناعة وهندسة بناء السفن ، وتحـــول السيطرة البحرية من البرتغال إلى هولنده ثم إلى انجلترا ، لعرفنا أن اليهود كانوا وراء ذلك التحول ، لأغراض خفية تخدم سياستهم على المدى الطويل ، وأن يجنوا بها الثروات الهائلة على المدى القصير .

استطاعت السياسة اليهودية أن تطوق العالم الإسلامى فى أفريقيا باسم المسيحيين وبغرض استغلال التجارة . يقتل المسلمون والمسيحيون بعضهم البعض ، ويستولى اليهود على الثروات

باســم الــتجارة . ولعل عدم التفات الهولنديين ، عندما احتلوا الجزر الأندونيسية إلى محاربة الإســلام وانتشــاره ، يــرجع إلى أن الأفواج الأولى من الهولنديين كانوا من اليهود ، الذين لا يحــاربون المســلمين ، فقــد تركوا المهمة للمسيحيين ، فكان جل همهم التجارة واستلاب الثروات وحسب[٤] ولم يتمكن اليهود بمساعدة القوى الغربية التى تكالبت على آسيا بأساطيلها من دحر الإسلام الذى توغل فى تلك القارة، بل اكتفى بالحصار حتى لا يمتد إلى مناطق أخرى . وقــد لعبت انجلترا دورا رائدا فى هذا المضمار، بساساتها من اليهود ، بغد احتلال الهند وشبه جزيــرة الملايــو ، وذلك عن طريق الديانة الهندوكية الوثنية ، فألبوا تلك الملايين منهم على المســلمين ، فظــلت العداوة بين الفئتين إلى يومنا هذا . وصدق الله العظيم فى وصف اليهود والذين أشركوا ، بأنهم ألد الأعداء للمسلمين المؤمنين .



أحــس اليهــود بالرضــا ، وهم يؤلبون المسيحيين على المسلمين فى الأراضى الأفريقية والآســيوية ، يقتلون بعضهم البعض ، ويستولى اليهود على الثروات من التجارة . تم حصار الإسلام فى الأراضى التى اجتاحها دين الله الحنيف ، والتى تمثل جنوب الأرض المسلمة وشرقها فالتفت اليهود إلى شمالها وغربها . ولقد رأينا فى الفصول السابقة ، كيف أسهم اليهود الخزر فى إنشــاء دولة السلاجقة التى أفرزت الإمبراطورية العثمانية والتى تحولت إلى الإسلام ، وكيف عاث اليهود فيها فسادا منذ قيامها وحتى تفتيتها .

وتولى الروس ، الذين يحركهم اليهود ، موضوع الاتجاه شرقا فى القارة الآسيوية فى عهد القيصر إيفان الرهيب ، حتى استولوا على القوزاق كله ووصلوا إلى شواطىء المحيط الهادى . وتم لــليهود فى أواخر القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر ، " وضع الطوق حول رقبة الفريسة "[٥] .

وتفجــر الزيت فى أرض إيران تفجرا طبيعيا عام ١٧٢٣م ، وأيقن قيصر روسيا بطرس الأكــبر فائدة ذلك الزيت فى تحديث دولته ، فهجم على أذربيجان واستولى الروس عليها من يــد العــثمانيين لاستغلال حقول بترول باكو ، ثم توالى الاستعمار الروسى للأراضى المسلمة فى القوقــاز كــلها جــريا وراء البترول الذى أضحى مطمع كل الدول ، التى يحرك ساستها وسياساتها اليهود .

استطاع اليهود إذن حصار العالم الإسلامى فى الحدود التى استطاع الوصول إليها ، وبدأ العمل على تفتيت تلك الكتلة القوية التى امتدت لتشمل العالم القديم كله ، وذلك عن طريق التطويق المسيحى له ، بدافع الاستغلال التجارى وجنى الثروات التى تذهب فى آخر الأمر إلى اليهــود . وقاموا بعد استطاعتهم تحقيق ذلك ، وبشكل نموذجى لايظهر دورهم المتخفى تحت العباءة المسيحية المتمثلة فى اليهود الذين وصلوا إلى قمة السلطة فى الدول الأوروبية القديمة ، والتى تحكمت بقوة سلاحها وأساطيلها ومخترعاتها الحديثة فى مقدرات عالم ذلك اليوم . وكما يحــدث فى أيامنا الراهنه عندما استولوا تماما على السلطة فى الولايات المتحدة الأمريكية التى تطلق على نفسها حاليا : عالم القوة الواحدة . أمريكا ذات العصا الغليظة .

وعــلى جــانب آخر من تفتيت العالم الإسلامى وحصاره ، عمل اليهود على بذر بذور الفتنه فى أبناء الديانتين المسيحية والإسلامية ، وكما سبق وشرحنا المذاهب والشيع التى انخرط تحــت لوائهــا أبناء الطائفتين ، لتتبنى نداءات علنية أو خفية بتأييد اليهودية الصهيونية . كان الهــدف هــو تخفيف الاتحاد تحت لواء دين واحد . والإسلام خاصة . ومن ناحية ثالثة ، فإن اليهود ، بثوا عيونهم فى أطراف الأمة الإسلامية ، وخاصة فى أفريقيا ، أرض الثروة . وأورد هنا مــثالاً عن ذلك . فقد وصل إلى مدينة تمبكتو عام ١٨٢٨م من يدعى (رينية كايية) زاعما أنه مصــرى هــارب مــن الفرنسيين الذين دخلوا مصر وأنه يريد العودة إلى بلده الإسكندرية ويستجدى أهل الخير ليطعموه ويرشدوه عن الطريق حتى يعود إلى بلده[٦] .

لم يكــن من قبيل المصادفه ، أن تقوم يهودية تدعى (سامنتا كلاين) كانت تعمل فى قوة السلام الأمريكية بدولة مالى ، بكتابة مقال طويل مؤثر فى جريدة (لوببليكان)[٧] المالية ، تحكى فيهــا مغامــرتها فى زيارة مدينة تمبكتو فى مالى بعد معرفتها بأن هناك نحو ألف يهودى يخفون يهوديتهم تحت عباءة الإسلام ، وأنهم كونوا جمعية تسمى (زاكور) - جمعية تمبكتو للصداقة مع العــالم اليهــودى وذلك بسبب محاولة بعض الصيادين فى نهر النيجر بناء قرية لهم مكان مقابر اليهود هناك . وتحكى اليهودية ، التى استدعت أخاها المصور الصحفى من نيويورك ليرافقها فى رحــلة إلى القرى المتناثرة حول تمبكتو ، والتى يعيش فيها نسل اليهود الذين أقاموها . وتقرّر اليهوديــة الــتى تحمــل الجنسية الأمريكية إنها استعانت بهيئة المساعدات الأمريكية USAID فى بامــاكو - عاصــمة مــالى - وتوجيهات أحد العاملين بها من اليهود (ريتشارد جولد) فى التوصــل إلى أحــد الماليين المجاهرين بأصلهم اليهودى (إسماعيل حيدرا) . ونقلت وكالة

الأنباء الفرنسية فى مارس ١٩٩٦ ماكتبته اليهودية عن رحلتها واكتشاف جذور ألف يهودى هناك يتخذون من نجمة داود – عليه السلام – المسدسة شعارا لهم .

وأصدرت المؤسسة اليهودية (كلنا) بحثا آخرا كتبته كارين بريماك ، حول يهود تمبكتو[٨] وإعادة إظهار الهوية اليهودية ، بالخلفية التاريخية لتواجد السلالة اليهودية فى تمبكتو وما حولها مـــن قـــرى وكيف نزح الآف اليهود وأقاموا فيها من المغرب – التى كانت تعج بهم – ومن النــازحين أيضـــا مـــن الأندلس وأنهم عملوا فى التجارة . ثم يحكى البحث ما كتبته اليهودية الأمريكية، إحدى عضوات قوة السلام الأمريكية فى مالى عن مغامرتها بالسفر إلى تلك القرى وحث من يظنون أنهم كانوا يهودا على إظهار هويتهم مرة أخرى[٩] .

★ ★ ★

مـــا هـــو ســـر تواجد اليهود فى تمبكتو ؟ تلك المدينة التى تفصل بين الصحراء وأفريقيا الخضـــراء ؟ والـــرد بسيط جدا . كانت هذه المدينة هى محط القوافل الآتية من المغرب تحمل الحلىّ والملح والمصنوعات إلى أفريقيا ، وتعود منها بالذهب إلى المغرب ثم إلى كل بقاع الدنيا . نضـــب الذهب من المنطقة مع رواج التجارة ، فأصبحت القوافل تعود بالعبيد والعاج وريش الـــنعام وما تيسر من الذهب القليل . يقول ابن بطوطة فى وصف رحلته إلى غرب أفريقيا عام ١٣٥١م[١٠] عـــن ازدهار ورواج تجارة الرقيق ، أنه عاد إلى موطنه بالمغرب ضمن قافلة تضم ستمائة جارية من النسوة والفتيات أخذن من تمبكتو ليبعن فى أسواق العبيد فى مراكش .

وتقودنـــا هـــذه المقدمة إلى موضوع تجارة العبيد التى ألصقت بالعرب والمسلمين دائما وخاصة خلال فترة استقلال دول القارة الأفريقية ، لدفعها إلى كراهية الإسلام أساسا والعرب سياسة . ويهمنا فى هذا المجال شرح نظام الرق والنخاسة . فيقول المؤرخ هربرت فيشر[١١] : " إن الفصـــل الأول من العار الأوروبى ، هو هجوم فيالق الجمهورية الرومانية وقراصنتها على السكان والأقطار الشرقية غير المحمية لاقتناص العبيد ، وأصبح بحر إيجه ، زاخرا بتجارة الرقيق وعاصـــمته جزيرة ديلوس التى أصبحت ميناء حرا عام ١٤٦ قبل الميلاد وذاع صيتها بصفتها مركزا لتجارة الرق الأوروبية . ويقول المؤرخ الإغريقى سترابو إن ما كان يباع ويشترى فيها من العبيد يصل إلى عشرة آلاف عبد فى اليوم الواحد " .

ونـــنقل عـــن المـــؤرخ جيبون من كتابه (انهيار وسقوط الإمبراطورية الرومانية)[١٢] : " يرجع سقوط الإمبراطورية الرومانية إلى نفوذ اليهود الفاسد وتغلغلهم فى أمور الحياة العامة .

دخـــل اليهود فى المنطقة اليونانية قبل عهد السيد المسيح – عليه السلام – فانتشروا بسرعة هائـــلة فى الإمـــبراطورية الرومانية وأوروبا الوسطى . ظهر التاجر اليهودى والفنان اليهودى وتاجر الرقيق فى الدولة الرومانية ، وازداد مركزهم حتى وقت انهيار الإمبراطورية " .

لم يكـــن العـــرب فى تـــلك الأثناء طرفا فى تجارة العبيد ولا اقتناصهم . بل إن المؤرخين الأوروبين هم الذين يدمغون اليهود بتجارة النخاسة . ويستطرد المؤرخ فيشرالحديث عن تلك التجارة[١٣] فيقول : " الحق أنها لوصمة مروعة وتعقيب شائن على أثر الحضارة المسيحية . أن أطـــول حقبة عرفها التاريخ لنفاق تجارة الرقيق هى التى بدأتها دول أوروبا الغربية : أسبانيا – الـــبرتغال – فرنسا – هولندا – انجلترا بعد أن كان قد مضى اكثر من ألف عام على توطيد دعائم المسيحية فيها . وإنها لوصمة أخطر ولطخة أدنس على المسيحية من الاسترقاق القديم" .

وينقل عن كالنج[١٤] قوله : " لم تكن تحسب لهؤلاء العبيد قيمة أكثر مما تحسب للحيوان الـــذى يقـــاسمهم العمل والتعب " . كما يتحدث المؤرخ الإنجليزى عن اعتقاده بأن المذهب البروتستانتى كان قاصرا عن التخفيف من حدة الآم تلك التجارة الدنيئة . فمن بين جميع تجار الرقيق الأوروبيين، كان التجار البريطانيون أعظمهم نجاحا وتوفيقا وبالتالى أكثرهم إثما وجريرة. فـــلقد جـــلب الإنجـــليز إلى العالم الجديد بين عامى ١٦٨٠ و ١٧٨٦ ما يزيد عن المليونين مـــن العبيد الأفارقة ، وكان من أشد مؤيدى الرق : لورد تشاثم ، ونلسن ، الذى كان يفتخر بالأسطول الإنجليزى الضخم الذى كان ينقل العبيد . ويؤكد المؤرخ الإنجليزى أيضًا ، أن رخاء ميناء ليفربول ، وميناء بريستول البريطانيين ، قام على تجارة الرقيق .

ونتتـــبع سرد المؤرخ الإنجليزى فى ذكر اسماء دول أوروبا التى هجمت على تجارة العبيد فـــنجد أنها أسبانيا والبرتغال ، أول من اكتشف سواحل أفريقيا ، ثم وصل إلى سواحل أمريكا الجنوبية فوجد أن أراضيها خصبة تصلح للمزارع الكبيرة . لم يكن السكان الأصليون فى تلك الأراضى جاهزين للاسترقاق . فبدأت عملية قنص الأفارقة وشحنهم إلى البرازيل وما جاورها . وجـــاءت فرنســـا الـــتى اكتشـــفت الأراضى الاستوائية ، فدخلت عالم قنص العبيد ، وجاء الهولـــنديون الذين اشتد حجم أسطولهم الذى طوره اليهود المارانوس ودخلوا سوق النخاسة تجارا وموردين . ويجيىء الدور الأكبر للإنجليز فى هذا المضمار .

لا يمكـــن لـــنا أن نتجاهل دور اليهود المؤثر فى تلك التجارة ، فهم – باعتراف مؤرخى الغرب الأوروبى ، كانوا أول من مارسها ، ربما كعقده انتقام من سبيهم البابلى أيام بختنصر ،

لكن المال والأرباح التى جنوها من تجارة العبيد تجعل ذلك هو الهدف الأول ، بغض النظر عن عُقد السبى والانتقام من الجنس البشرى غير اليهودى كله – عدا المشركين – .

★ ★ ★

عاش اليهود فى مصر ، فى كنف الدولة العثمانية الحاكمة ، عيشة منعمة ، وتمتعوا خلال احتلال نابليون والفرنسيين لمصر بالإحكام على كل نواحى التجارة فيها . كان الذهب الذى يتم توفيره عن طريق اليهود يسلم كقاعدة إلى دارسك النقود محولا إلى سبائك . وكان اليهود يشترون لحسابهم تراب الذهب الذى كانت تجلبه القوافل القادمة من أفريقيا(١٥) . وكان ريش النعام لايشتريه إلا اليهود الذين يصدرونه كله على وجه التقريب لأوروبا(١٦) . ثم يتحدث واضع كتاب (وصف مصر) فى الجزء الرابع عن التجارة : " معلومات أخرى أكثر اتساعا حصلت عليها فى القاهرة من ذلك الشخص الذى كان مكلفا ببيع العبيد باعتباره العميل الأكبر للجلابة تجار هذه المهنه " . ودونا عن كل أنواع التجارة ، لم يحدد الكاتب هوية ذلك العميل الأكبر ، أو لعل اليهود استطاعوا رفع كلمة " اليهودى " من أصل الكتاب . كان العبيد يصلون إلى مصر من أواسط أفريقيا عن طريقين : أحدهما من دارفور عبر طريق الأربعين حتى إسنا حيث سوق الواردات الأفريقية ومن ضمنها العبيد . والثانى من الحبشه بالنيل حتى نفس المدينة . وكان نصف العبيد من الأحباش يصدر إلى الجزيرة العربية(١٧) .

كانت مصر فى ذلك الوقت مركزا لتصدير العبيد إلى كل أقاليم الإمبراطورية العثمانية ، كما كانت سواحل غرب أفريقيا – وبالتحديد فى غانا والسنغال – مراكز غير آدمية لجمع الرقيق الأفريقى وشحنه إلى العالم الجديد(١٨) . من الذى كان يتولى التجارة فى مصر سوى اليهود ؟ ومن كان يتولى التجارة فى الدول الأوروبية سوى اليهود ؟ سؤال واحد ذو شقين إجابته معروفه .

وعندما فتح إسماعيل باشا السودان كله وأوغندا وأعالى النيل ، أصدر فرمانا عام ١٨٦٣، بتعقب تجار الرقيق وحرقهم وتحرير العبيد من أيديهم وإطلاق سراحهم(١٩) .

وبالطريق العكسى لتجارة العبيد ، فإن مصر والأقاليم التى خضعت للحكم العثمانى وما قبله ، شهدت تدفق العبيد القادمين من القوقاز والأقاليم التى صال فيها الخزر اليهود وجالوا . ولقد حكمت مصر لفترة طويلة من تاريخها هؤلاء العبيد – المماليك – الذين تم تحريرهم بعد ذلك بواسطة ملاكهم ، فتولوا حكم مصر بقوة السلاح . لم يأت المسلمون

بأولـــئك العـــبيد ، بل أصبح العبيد مسلمين . فدين الإسلام يحض على عتق الرقبة ، ولانجد فى القـــرآن الكـــريم آية تتعرض لكفارة شيء إلا ويأتى عتق الرقبة فى المقام الأول قبل الصيام أو الزكاة . حث الله سبحانه وتعالى المؤمنين على تحرير الإنسان من عبودية الإنسان . ذلك هو دين الإسلام .

★ ★ ★

ظهـــر فى الولايـــات المتحدة عام ١٩٩١ ، كتاب بعنوان " العلاقة السرية بين السود واليهود " – الجزء الأول – أصدرته هيئة تدعى : إدارة الأبحاث التاريخية لدولة الإسلام[٢٠] .

ولقـــد تعـــرض أحـــد أساتذة التاريخ الأمريكيين : " تونى مارتن " فى كلية ولسلى عام ١٩٩٣ ، بـــالحديث عن ذلك الكتاب لطلبته ، ذاكرا دور اليهود المؤثر فى تجارة الرقيق عبر المحيط الأطلنطى ، وكيف لعبوا الدور الأعظم فى جلب العبيد الأفارقة إلى الأمريكتين .

اتهـــم أستاذ التاريخ بمعاداة السامية ، واضطر للدفاع عن نفسه بإصدار كتاب عنوانه : (الهجـــوم اليهـــودى الضارى – معركة ولسلى اليائسة) . وأصدر اليهود كتابا عام ١٩٩٥ بعنوان (العبودية واليهود)[٢١]، صبوا فيه جام غضبهم على المؤرخ الأمريكى ، مفندين كتابه ، بإنكـــار كـــل ما كتبه عن ذلك الدور اليهودى ، ويركزون على أن كل ما كتبه الرجل كان اســـتنتاجا وحسب بسبب عدائه للسامية وأن ما ذكره غير موثق بأدلة دامغة . وهاجم اليهود مؤلف الكتاب بأن حواشى ما كتبه كلها استنتاجيه لاتستند على مراجع موثقة .

لكـــن اليهود فى إنكارهم لما كتبه الأمريكى ، ذكروا ما يلى : " إن تجارة العبيد حكمت أولا بالـــبرتغاليين ثم الهولنديين ثم الإنجليز وبدرجة أقل الفرنسيين . وأسباب أهمية دور اليهود فى الســـنوات الأولى لـــتجارة الرقيق ليس من الصعب معرفتها . فإن اليهود فى عصور أوروبا الوسطى استبعدوا من تملك الأراضى والتجارة والمعاملات المالية بواسطة الكنيسة المسيحية .

وخـــلال الفترة من سنوات التوسع الغربى فى المحيطات ، استمر اليهود فى إيجاد الفرص للحصول على الثروات من التجارة والأعمال المالية . وتحت التهديد الشديد ، خلال القرنين الخـــامس عشر والسادس عشر، وجد الكثير من يهود البرتغال وأسبانيا ملجأهم فى هولنده ، تلك البلد التى كانت تعيش فى ذلك الوقت عصرا متفتحا من الحرية الدينية . استطاع اليهود الهولنديون من الاشتراك فى التجارة الداخلية والخارجية ، بما فيها من تجارة العبيد على الساحل

الغربي لأفريقيا وشحنهم إلى الأمريكتين . هؤلاء اليهود ، ضمن الكثير من الهولنديين المسيحيين، قـاموا بتوريد العبيد ليس فقط للمستعمرات الهولندية فى البرازيل وسورينام ، ولكن أيضا إلى جـزر الأنتيل بغرض نقلهم إلى مستعمرات العالم الجديد الخاضعة لدول أوروبية أخرى وبهذا تمكـن اليهـود من عمل استثمارات هائلة فى الأراضى والمنشآت بأمريكا الاستوائية بواسطة مزارع العبيد وخاصة فى البرازيل وسورينام "[٢٢] .

ويدافـع اليهـود عن تجارة العبيد ، بأن الأفارقة أنفسهم كانوا يبيعون العبيد الأفارقة ، ويـستطرقون إلى ذكر الممالك الأفريقية المختلفة وتاريخ المنطقة وحروب القبائل . ويكفينا بأنهم شهدوا على أنفسهم ، وعلى دورهم المؤثر فى تجارة العبيد .

كـانت تجارة العبيد مصدر الثروة لليهود الإنجليز ، وكان قانون محاربة الإنجليز لتجارة الرقيق مصدر ثروة أعظم لليهود الإنجليز . ففى مطلع القرن التاسع عشر قررت بريطانيا عام ١٨٠٧ منفردة إصدار قوانين لتحريم الرقيق ، وكانت تلك القوانين هى المنفذ للاستيلاء على القارة الأفريقية بدعوى محاربة تجارة الرقيق .

جابت أساطيل الإنجليز الشواطىء الأفريقية بدعوى محاربة تجارة الرق ، والاستيلاء على السـفن الـبرتغالية والهولـندية الناقـلة للأفارقة ، ثم تطور الحال إلى استعمار الأرض وطرد الـبرتغاليين والهولنديين منها ، فحولت غانا – ساحل الذهب قديما – إلى مستعمرة إنجليزية عـام ١٨٧٤ ، وبدأت الزحف منها إلى نيجيريا ، وتوغلت فى القارة حتى جنوب افريقيا فى حرب البوير ، وانتقلت بريطانيا بقوتها إلى شرق القارة الأفريقية ، تنجانيقا وكينيا ثم أوغندا ، لتصـلها بمسـتعمرتها الجديدة فى مصر التى غزتها عام ١٨٨٢ ، وكان ذلك الاحتلال لمصر ، ذريعـة لـلدول الأوروبية لتمزيق القارة الأفريقية والتهام أراضيها ودولها ، فهجمت فرنسا وبـلجيكا والبرتغال وألمانيا وإيطاليا ، كل منها تنتزع لها أرضا تحيلها إلى مستعمرة خاصة بها ، إلى أن أعيـد التقسـيم بيـنها بعد الحرب العالمية الأولى واقتسام دول الحلفاء للمستعمرات الألمانية .

الـتاريخ الأسود للاستعمار كان نتيجة حتمية للجشع اليهودى فى استغلال تجارة الرقيق استغلالا بشعا لجنى الثروات الطائلة ، ثم تفتق الذهن اليهودى المدمّر ، بدفع الإنجليز إلى اتخاذ إلغـاء الرق ذريعة لاحتلال الأراضى الأفريقية واستغلال أراضيها وثرواتها . ويكفى أن نعلم أن رؤسـاء وزراء انجلترا ووزراء خارجيتها فى تلك الفترة المظلمة من تاريخ الإنسانية ، كانوا

من اليهود الذين يعملون وفقا لمخطط مرسوم بعناية للتطويق الإسلامى من جهة وجنى الثروات من أراضيهم .

إن العـــالم اليـــوم يشـــهد نوعا مشابها من الاسترقاق والسيطرة . دورًا مشابهًا لما قام به الإنجليز قديما ، تقوم به الولايات المتحدة ، وساستها من اليهود السافرين الذين يرتدون العلم الأمـــريكى وحســـب ، فى التفرّد بالقوة وفرض سيطرتها على كل الدول وإجبارها على اتخاذ السياســـات - وخاصـــة الاقتصادية - التى تمكن اليهود من التغلغل فى كل المجالات ، وهم بالفعل فى كل عمل يدر ربحا أوثروة ، فى كل دول العالم الإسلامى .

إن الحصـــار اليهودى للمسلمين مستمر وسوف يستمر إلى يوم الدين ، فهذا هو القدر الذى كتب علينا ، لكن عالم اليوم غيره بالأمس . يمكن لنا أن نستنبط الآن بالمعلومات ما يقوم بـــه اليهود من تخطيط لإحكام السيطرة والحصار على المسلمين . لعلنا نتعلم بعض الدروس من تاريخنا الإسلامى المجيد .

★ ★ ★

هوامش الفصل الحادى عشر

(١) انظر كتاب (مختصر دراسة التاريخ) أرنولد توينبى - ج٣ ص٣٠٧ إلى ٣١٢ .

(٢) انظر كتاب (أطلس التاريخ الأفريقى) كولين ماكيفيدى - ص٧٥ - ٨٦ .

(٣) انظر كتاب (الإسلام الفاتح) د. حسين مؤنس ص١٢٣ .

(٤) انظر الفصل السادس من هذا الكتاب ص ١٠٩ .

(٥) انظر كتاب (مختصر دراسة التاريخ) أرنولد توينبى . والتعبير " وضع الطوق حول رقبة الفريسة " هو تعبير المؤرخ وكلماته . وهى تشعر القارىء بأن مؤامرة واسعة قد تم نسج خيوطها حول الإسلام ، كفريسة تنقض عليها الجوارح من كل اتجاه لالتهامها . لكن المؤرخ لم يتعرض لمن حاكوا تلك المؤامرات ، لكن التاريخ الحديث فى هذه الأيام ، يثبت دور اليهود فى تثبيت أقدام الروس فى تلك المنطقة. قام المسلمون فى " داغستان " مؤخرا بثورة على الحكم الروسى الاستعمارى فقاومهم الروس بوحشية موجهين تحذيرا شديد اللهجة للدول الإسلامية لعدم التدخل لمساندة المسلمين الإرهابيين - على حد قولهم - لكن إسرائيل سارعت - وفى العلن هذه الأيام - وأسهمت بقواتها ومعلوماتها إلى جانب الروس فى ضرب قواعد المسلمين ومحاربتهم فى داغستان المسلمة وفى الشيشان المسلمة ، أقاليم وبلاد المسلمين التى استولت عليها روسيا القيصرية البلشفية من الإمبراطورية العثمانية ، بتحريك يهودى روسى ويهودى من الدونما .

(٦) انظر كتاب (الإسلام الفاتح) د. حسين مؤنس ص١٣٥ /١٣٧

(٧) المغامرة المنشورة هى إحدى منشورات مؤسسة (كلنا) اليهودية فى نيويورك التى تبحث عن اليهود المتخفين فى كل بقاع الأرض وتدفعهم إلى إعادة إظهار يهوديتهم المتخفية مثل (المارانوس) وهى تعمل بهمة ونشاط حاليا بين المسلمين ، وخاصة فى الحزام الإسلامى الأفريقى . المنشور تحت اسم : (FINDING THE JEWS OF TIMBUKTU - (BY; SAMANTHA M. KLEIN

(٨) مؤسسة (كلنا) تدعى بالعبرية KULANU - والبحث تحت عنوان (تجديد إظهار الشخصية اليهودية فى تمبكتو) THE RENEWAL OF JEWISH IDENTITY IN TIMBKTU - BY : KARIN PRIMACK

والنظر أيضًا مجلة (JEUN AFRIQUE) يناير ١٩٩٧ - مقال حول اليهود فى مالى .

(٩) وقد يبرز هذا الحدث كيف أن متطوعى منظمة الـ (PEACE CORPS) الأمريكية تعمل لخدمة الولايات المتحدة ، واليهود فيها أغلبية يجوبون العالم الثالث فى أفريقيا لمهمات أخرى تظهر آثارها بين كل حين . وكيف أن منظمة (USAID) هيئة المساعدات الأمريكية التى من المفترض أن تسهم فى مشروعات

تـنمية الدول النامية ، يعمل اليهود بها لخدمة أغراض يهودية بحتة . ففى حالة مالى ، فإن تلك الهيئة تبنت مشروعات خاصة بأولئك المسلمين المتهودين الذين أعادوا جذورهم إلى اليهودية ومساعدتهم على إعادة شعائرهم ، رغم كل ما ينكره كتاب المقالات والأبحاث من إصرار أولئك الماليين على التمسك بالإسلام ، لكن المحاولات بلا شك ، يسعى بها اليهود لإعادة تهويدهم .

(١٠) رحـلة ابـن بطوطـة إلى غرب أفريقيا عام ١٣٥١م – انظر كتاب (أطلس التاريخ الأفريقى) كولين ماكيفيدى ص١٠١ /١٠٢ .

(١١) انظر كتاب (تاريخ أوروبا فى العصر الحديث) هربرت فيشر – ص٣٥٠ .

(١٢) عن (مجلة الوعى الإسلامى) – الكويت : العدد ٣٨٩ مايو ١٩٩٨ ص٣٥

(١٣) (تاريخ أوروبا فى العصر الحديث) ص ٣٥٢ / ٣٥٥

(١٤) جـورج كانـنج : رئيس وزراء انجلترا عام ١٨٢٧ فى عهد الملك جورج الرابع الذى انتخب أستاذا أعظمـا للمحافل الماسونية ، والذى وحد المحافل البريطانية تحت محفل واحد أطلق عليه اسم محفل انجلترا الأكبر المتحد . انظر الفصل الرابع من هذا الكتاب عن علاقة الماسونية باليهودية .

(١٥) انظر كتاب (وصف مصر) علماء الحملة الفرنسية على مصر – ج٦ ص٢٣٩

(١٦) المصدر السابق – ج٤ ص٢٤١

(١٧) المصـدر السـابق – ج٤ ص٢٣٧ – كـتب هـذا الجزء عن التجارة فى مصر أثناء الحملة الفرنسية الفرنسـى : بير سيمون جيرار – وهو مهندس طرق وكبارى وعضو الأكاديمية الملكية للعلوم – ولد عام ١٧٦٤ ومات عام ١٨٣٦ ورافق حملة نابليون .

(١٨) رأيـت فى غانا ، وفى مكان على البحر غير بعيد عن أكرا ، سجن العبيد المنحوت داخل الصخور تحت مستوى البحر ، لايستطيع من يقذف به داخله ، الخروج منه . كان الإنجليز يقتنصون الأفارقة ثم يجمعونهم فى ذلـك الجحر شهورا حتى يملأوا شحنة باخرة بهم ويرسلونهم إلى أمريكا . وقام الفرنسيس بعمل سجن مـماثل فى إحـدى الجزر المواجهة لداكار عاصمة السنغال لتجميع العبيد تمهيدا لشحنهم إلى مستعمراتها فى أمـريكا . وتصور رئيس وزراء انجلترا " جورج كاننج " بأن علاقة الأفارقة لايختلفون عن الحيوانات " هـو التصوّر لما قام به أعوانه من حفر ذلك السجن الغير الآدمى لأبناء أفريقيا الذين تم سبيهم . ثم تلصق النخاسة بالمسلمين .

(١٩) انظر كتاب (عصر اسماعيل) – عبد الرحمن الرفعى ج١ – ص١٣١

(٢٠) حـاولت بكـل الوسـائل الحصول على نسخة من هذا الكتاب ولم أفلح . فمن الواضح أنه تم جمعه من السوق الأمريكى ، ولم نعد نسمع عن تلك المؤسسة التى أصدرته .

(٢١) انظر كتاب (العبودية واليهود) – بالإنجليزية – وينتروب د. جوردون .

(٢٢) المصدر السابق .

الفصل الثاني عشر

اليهود ووعد الآخرة

عندما بدأت الكتابة فى الموضوع الذى يعالجه الكتاب عن اليهود ، وجدت وكأننى أمام إحـــدى أشهر لعب الأطفال شيوعا فى العالم . علبة مرسوم عليها صورة مكبّرة ، تستطيع أن تـــرى ملامحها تماما ، وكل تفاصيلها أمام عينيك . وعندما تفتح العلبة ، تجد قطعا من الأوراق الصغيرة المخلوطة ذات الأشكال غير المتساوية ، عليك أن تحاول تجميعها معا بوضع كل قطعة إلى جـــوار الأخرى حتى تكوّن القطع الصغيرة تلك الصورة التى سبق وأن رآها الإنسان على غطاء العلبة .

كـــانت الصـــورة أمامى . أعرف شكلها : اليهود بوجه العموم ، وما أخبرنا عنهم رب العـــزة فى كتابه العزيز ، وما قرأته عن قتلهم للأنبياء من غير وجه الحق ، عندما كتبت عنهم فى أحـــد كـــتبى (المبعوثون إلى الأرض) ، وعرفت مدى حقدهم على المسلمين ، وأنا أعالج استيطانهم فى أرض شبة الجزيرة العربية ثم خروجهم منها ، فى كتابى (اليهود أعداء محمد صلى الله عليه وسلم) . عرفت صورهم العامة وأساليبهم . لكننى لم أكن أتصور المدى الذى وصل إليـــه اليهودى فى تخريبه لكل المعانى الإنسانية السامية . فهمت معنى الكثير من آيات القرآن الكـــريم عنهم ، والتى كانت تفسيرا لكم المعلومات التى عرفتها فيما بعد ، والتى يقرؤها كل مســـلم ولايتدبر معانيها الدفينة التى حذرنا بها الله من كيد اليهود الذى تكاد الجبال أن تزول بسببه .

كانت المعلومات التى أقوم بتجميعها أمامى ، كما هائلا يملأ مجلدات كثيرة ، تحير كل من يكتب عن تاريخ اليهود الأسود ، أحاول أن استنبط الحقائق لأضعها أمام القارىء لكى تظهر لـــه الصورة فى نهاية الأمر واضحة . أسأل نفسى كل حين : ماذا يريد اليهود ؟ هل يريدون المال ؟ وأجد الاجابة دائما : نعم . فأسأل من جديد :

لديهم المال والثروة والجاه فى كل مكان فماذا يريدون بعد ذلك ؟ أهو الإصرار على أنهم شعب الله المختار ؟ إنهم يدركون أن ذلك غير صحيح ، فلقد نزل القرآن بين ظهرانيهم وهم بأرض الجزيرة العربية ، وأدركوا أنه هو الحق من ربهم وأن محمدا صلى الله عليه وسلم هو آخر الأنبياء الذى يجدون اسمه عندهم فى التوراة ، فلم يؤمن به إلا القليل منهم . يدركون أن المؤمن بـــالله ورسله وكتبه هو خليفة الله فى الأرض . إنسان صالح يعبد الله لايشرك به أحدا . يطيع أوامر ربه ، وينتهى عن النواهى التى أمرنا بها الله ورسوله .

لاشك عندنا، أن ما يحدث فى أيامنا هذه ، من اشتداد سطوة اليهود على العالم كله شرقا وغربا ، شمالا وجنوبا ، وامتلاكهم لكل الثروات ظاهرة ، وتحت عباءة مسميات يتحكم فيها اليهود ، له سبب جوهرى يعـــدّه الله بعزته لهم . فلقد ازداد الفساد فى الأرض فى أيامنا هذه زيادة لاحد لها وانتشر فى كل بلاد الدنيا . خطط اليهود ونفذوا تفشيه فى الأرض ، وما كان ذلك يمكنهم أن يحققوه لو لم يكن الله عز وجل قد قدّر ذلك من قبل .

لعـــب اليهـــود الخزر ، دورا أساسيا ، فى تخريب الدينين الإسلامى والمسيحى كما بينا لا يـــتورعون عن عمل اى شىء من اقتراف اى افتراء وكذب ، أو قتل النفوس التى حرّم الله قتـــلها ، أو الغـــش والمكـــر ، أو الوقيعـــة والدس لتحقيق غرض سام واحد . هو الانتقام من المسيحيين والمسلمين . كانت قبائل الخزر الوثنية الهمجية التى عاشت على الإغارة والسلب والنهب والسبى، هى التربة الصالحة لزراعة أفكار اليهودية الشيطانية التى تتلاءم و طبيعة تلك الشعوب الخزرية أو التركية كما كان العرب يطلقون الاسم عليها . وما حدّث رسول الله عن الشـــر الذى اقترب بفتح سد يأجوج ومأجوج إلا علامة أوحى بها الله عز وجل لرسوله صلى الله عـــليه وســـلم ، بأن بعض أحبار اليهود قد وصلوا إلى هذه القبائل الخزرية الهمجية لأكبر عملية تهويد فى تاريخ البشرية ، استعدادا لانطلاق الفساد من تلك السلالة التى أفرزت اليهود الإشكناز . وقد ثبت تاريخيا – وعلى لسان اليهود – أنهم تسللوا إلى الخزر قبل مائة سنة على الأقل قبل إعلان تهود خاقان الخزر ، أى فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

لقـــد حـــاولت كـــل جهدى أن أوثق كل الحقائق التى مررت عليها مرّ الكرام لأشرح للقارىء المسلم والمسيحى ما الذى فعله اليهود بنا على مر السنين ، وما الذى اقترفوه فى حق البشـــرية جمعاء من أجل السطوة والشهوة . السطوة على المال والشهوة للقتل . هكذا خلقوا وهكذا ينتهوا إن شاء الله . وهو قدر كتب على الإنسانية أن تعانى منه إلى يوم الدين . إن أول

مـــا سوف يقوله اليهود عن الحقائق التى وردت عنهم فى هذا الكتاب ، أنه كلام استنباطى فى معظمه لا أساس له سوى كراهية اليهود ، فلا يمكن أن يتهم مصرى مسلم بمعاداة السامية لأنه مـــن أصـــل سامى . بل إن الشيء المضحك أن اليهود الإشكناز الذين يرفعون شعار معاداة السامية ، لايمتون لسام بن نوح – عليه السلام – بصلة .

★ ★ ★

ولا يمكـــن لى كمســـلم ، أن أسلم بالخرافات التى يطلقها اليهود ، واعتنقها الكثير من المســـيحيين الإنجيليين ، المنادية بمعركة " هرمجدون " ، وعودة المسيح المخلص لإنقاذ البشرية ورفـــع شأن اليهودية . ولايمكن لنا كمسلمين ، ولايجب أن نردد ما يقوله أولئك السفهاء ، فالغيب لايعلمه إلا الله سبحانه وتعالى . لنحتكم إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وحسب ، تاركين الغيب لله الذى اختص به نفسه عز وعلا ، والعمل على جمع شمل المسلمين ، مـــتحابين فى الله . نؤدى شعائرنا ، ونحترس من أعداء ديننا ، مبتعدين عن الملل والطرائق التى جرنا إليها اليهود ، وكما سبق وأن أفضنا فى ذكر ما فعلوه بنا كمسلمين .

مـــاورد فى الأحـــاديث النبوية عن عودة السيد المسيح ابن مريم عليه السلام ، تختلف فى إســـنادها بإضافة عودة السيد المسيح كعلامة عاشرة من علامات يوم القيامة ولم يرد ذكر ذلك فى بعضها ، وفى الصحيحين الدليل على ذلك . وبالعقل ، فإن محمدا رسول الله صلى الله عـــليه وسلم هو خاتم الأنبياء ، ولانبىّ بعده . وأن بعث سيدنا عيسى ابن مريم ، كما ورد فى القرآن ، يردّ إلى وجوده حيا فى السماء مثله كمثل بقية الأنبياء عليهم السلام ، طبقا لحديث الإســـراء والمعراج وطبقا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بإمامته عليه أفضل الصلاة والســـلام لكل الأنبياء عليهم السلام فى الصلاة بالمسجد الأقصى . وطبقا لحديث رسول الله صـــلى الله عليه وسلم برؤيته للأنبياء عليهم السلام جميعا وكلامه معهم . وطبقا لحديث محمد صلى الله عليه وسلم بأن جسد الأنبياء لايبلى ولايفنى . والبعث حيا – كما ورد فى القرآن – ينطبق أيضا على سيدنا يحيى عليه السلام . غاية ما أقوله وأفكر فيه – والعلم عند الله وحده – أن المســـلم لايجب عليه أن يصدق ما يقال ، وإلا فإن معنى ذلك أننا نوافق اليهود على نظرية المســـيح المخلص الذى يعود إلى الدنيا ليقضى على كل من كان غير يهودى . ولقد ذكرنا فى مـــتن الكتاب ، نبذة سريعة عن أولئك اليهود الذين ادعوا أنهم ذلك المسيح المخلص ، وكان

أهمهمـــا فى ذلـــك التاريخ الأسود لليهود: ابن الروحى ، ثم شبتاى زيفى ، وكلاهما من الخزر اليهود . إن آيات القرآن واضحة وصريحة فى شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنه خاتم الأنـــبياء . وأن الله عز وجل قد أخذ من النبيين جميعا ميثاقا وعهدا بأنه إذا بعث محمد فإن من كان منهم – عليه السلام – حيا فلابد أن يتبعه . يقول الله عز وجل فى سورة آل عمران :٨١ ﴿ وَإِذْ أَخَـــذَ الـــلَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُـــمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَـــا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ . وسبق لنا ذكر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما قال : " لو أن موسى – عليه السلام – كان حيا لاتبعنى " .

لا أريد الدخول فى جدل حول ما قيل فى هذا الشأن ، لكن قناعتى كمسلم تجعلنى أؤمن بقـــول رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه جاء بدين الإسلام صفحة ناصعة الوضوح لاحاجة لنا بغيره ، ولانكذب الكتب السماوية ولانصدقها ، لما أدخل عليها من تحريف كما أخبرنا الله عز وجل فى كتابة الكريم على يد اليهود ، بل نتمسك بديننا الذى أمرنا بترك الغيب لصاحب الغيـــب جلّ شأنه ، ولانتماشى مع ما يقوله اليهود ، أو ما يردده البعض نقلا عنهم ، أملاً فى استيلائهم على القدس وهدم المسجد الأقصى الشريف لبناء معبد داود وهيكل سليمان عليهما السلام مكانه .

ويهمـــنى فى هذا المجال أن أذكر ما كتبه العالم ابن كثير رحمه الله فى تفسير سورة الإسراء فى كـــتابه (تفسير القرآن العظيم) – ج٣ ص٢٥ : " روى ابن جرير فى هذا المكان حديثا أسنده عن حذيفة مرفوعا مطولا وهو حديث موضوع لامحاله لايستريب فى ذلك من عنده أدنى معرفة بالحديث ، والعجب كل العجب كيف راج عليه مع جلالة قدره وإمارته . وقد صرح شـــيخنا الحـــافظ العلامة أبو الحجاج المزى رحمه الله بأنه موضوع مكذوب وكتب ذلك على حاشية الكتاب. وقد وردت فى هذا آثار كثيرة إسرائيلية لم أر تطويل الكتاب بذكرها لأن منها مـــا هو موضوع من وضع بعض زنادقتهم ومنها ما قد يحتمل أن يكون صحيحا ونحن فى غنية عنها ولله الحمد " .

★ ★ ★

ماذا يريد اليهود ؟

– امتلاك ثروات الدنيا ، فبها يتحكمون فى مصائر البشر .

- العودة إلى القدس ، ونسف المسجد الأقصى لبناء معبد داود وهيكل سليمان .

- السيطرة على المنطقة من الفرات إلى النيل وتحقيق الحلم اليهودى بتملك الأرض وحكمها .

سار اليهود فى هذا المخطط منذ قرون ، يتخذون من اضطهادهم وقودا لحركتهم ، فهم الذيــن يدبــرون الاضطهاد لأنفسهم ، وهم الذين يستغلون نتائجه لصالحهم ، وكأنهم آلة تعمــل بــالدفع الذاتى . الشيء الملفت للنظر أن أعداد اليهود قد تزايدت فى كل أنحاء العالم فــارتفع عددهم فى القرن الحالى لنحو إثنى عشر مليونا من اليهود موزعين فى كل بلاد العالم ، بعــد ان كــانوا نحو مليونين فقط فى القرن السابع عشر - طبقا لتقديرات اليهود أنفسهم - أيــن يذهب هذا البشر، المؤمن بأن القدس قبلتهم وأن الأرض الموعودة لهم هى من النيل إلى الفرات حيث سار عليها سيدنا إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ؟ سؤال وإجابة لا نفكر فيهما كثيرا . الحلم اليهودى الخزرى الإشكنازى هو تحقيق ذلك . ليس حبّا فى دين الله ، وإنما حــبّا فى التملك والقوة والشهوة فى الانتقام من كل ما هو غير يهودى ، فهم تحت وهم أنهم شــعب الله المخـــتار ، وباقى خلق الله من العبيد الذين خلقوا لخدمتهم ، أو ما يطلقون عليهم بالعبرية لفظ " الجنتيل " .

لايجــب علينا أن نظل نشاهد ونعاين ولتحمل نتائج تخطيط اليهود لما يريدونه ، وتنفيذ مــآربهم . لقــد عايــنا فى الفصــول الســابقة ، كيف خطط اليهود للحروب بين المسلمين والمســيحيين ، ثم بين المسيحيين وبعضهم البعض فى حروب إقليمية ثم فى حربين عالميتين أتت على عشرات الملايين منهم ، قتلى ومشوهين ، وخراب عم كل الدول المسيحية ، رأينا كيف ألب اليهود ، المسلمين على بعضهم البعض ، فسقط منهم مئات الآلاف من القتلى .

ومررنا فى سردنا لتاريخهم بإيجاز شديد ، كيف تمكنوا من ثروات العالم القديم ثم الحديث وكيــف ســيطر اليهــود سياسيا على مقدرات تلك القوى وكيف خربوا الدينين المسيحى والإســلامى ، وكيــف اســتغلوا تجارة العبيد منذ قديم الزمن ، ثم اتخذوها وسيلة للاستعمار الحديث الذى امتص خيرات أراضى الله وخلق الله ، بواسطة اليهود .

أعود لأسأل نفسى : ماذا يريد اليهود ؟

- المــال ؟ : إنــنا ندرك جميعا كمّ الثروة التى يمتلكها اليهود فى كل أنحاء الدنيا . فهم أغنى الأغــنياء . هم فى كل بلد أكثر من يهودى يمتلك مئات الملايين . هم سادة التجارة ، فهم

آبــاء الــربا والاســتغلال . هم كل الشركات الكبرى التى تمتد خيوطها فى كل شبر من الأرض تستغل الأرض والبشر أبشع استغلال .

- التعداد ؟ : زاد عددهم ، وتضاعف خلال ثلاثة قرون لست مرات على الأقل ولايكتفون بهــذا ، بل عملوا على إعادة تهويد المسيحيين والمسلمين من ذوى الجذور اليهودية . وقد أشــرنا فى مــتن الكتاب الذى بين يدى القارىء ، إلى الجمعيات التى تبحث عن الأصول اليهوديــة فى أفــريقيا وآسيا، وأشرنا إلى المجهودات الفردية اليهودية التى تعمل فى ذلك المضمار أيضا فيتلقف اليهود ذلك ويسعون إلى تحقيق إعادة التهويد .

- الإعلام ؟ : لقد استولى اليهود على وسائل الإعلام الحديثة ، المقروءة والمسموعة والمرئية ، تملكا ماديا ومعنويا . أصبح صوت اليهود هو الأعلى فى كل الدنيا . فى الدول التى يملكون مقدراتها سياسيا ، وفى الدول الأخرى التى تعاديهم عقيدة وفكرا ، باستغلال المادة والنفوذ وكل الوسائل غير الشريفة من الرشوة والإفساد .

- الفساد ؟ : ولقد حقق اليهود أحد مآربهم فى إفساد الدنيا ، بالمال والجنس ، سلاحا اليهود فى تخــريب المــثل والمبادىء السامية التى نزلت بها الأديان السماوية . نرى فى عالم اليوم ونســمع عن تفشى الرشوة والانحلال الخلقى والجرائم التى لم نسمع عنها من قبل من قتل الابــن لأمــه وأبيه وأخته وأخيه وصاحبه ، ونسمع عن اغتصاب المحارم وتفشى السرقة والانــتقام ، والمخــدرات والميســر وانتشار الخمر ، وغيرها من الأثافى التى تفشت فى المجتمعات الإسلامية والمسيحية التى تحافظ على المثل التى نزلت بها تعاليم الله على يد الرسل الكرام عليهم السلام وخاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم .

★ ★ ★

عندما أصل بفكرى إلى هذه النتائج ، أرفع يدىّ إلى السماء شاكرا الله عز وجل ، أدعوه قائلا : صدقت يا رب . فلك الحمد والمنة دائما . يقول الله عز وجل فى سورة الإسراء : ٤/٧

﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا (٤) فَإِذَا جَـاءَ وَعْدُ أُولاَهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلاَلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولاً (٥) ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (٦) إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴾ « صدق الله العظيم » .

أصـبح اليهـود فى عالمنا اليوم هم الأقوى ، بما تملكوه من سيطرة سياسية طاغية على الولايـات المتحدة ، ومن قبلها روسيا وانجلترا وفرنسا وهولندا ، ومن قبلها البرتغال وأسبانيا وإيطاليـا والدولة العثمانية ، ومن قبلها جميعا إمبراطورية الخزر المتهودة . رد الله بعزّته لليهود قوهم التى سحقها بختنصر وشتت شملهم وهدم مسجدهم وأحرق كتبهم وسبى من بقى منهم . فقد كان ذلك وعدا مفعولا من الله سبحانه وتعالى . أصبح اليهود الآن هم أكثر الناس مالا فى هذه الدنيا ، بسيطرهم على كل منافذ الثروات طبيعية أو ربوية أو تجارية . أمدهم الله عز وجلّ بالأموال من كل صوب ، هو الرزاق الكريم ، هو صاحب الأمر والتقدير جلّ شأنه .

وزاد عـدد اليهود فى الدنيا ، كما سبق وأن أوضحنا ، أمدهم الله بالبنين ، وساعدهم بعـزته وألهمهـم كيف يتكاثرون على مرّ السنين وكيف يبحثون عن اليهود فى كل شبر من الأرض ليـزداد عددهـم . أمدهم الخالق سبحانه وتعالى بالبنين . وأوحى الله بعزته وسلطانه لليهود ، بأن يتبعوا الشياطين لتملك أجهزة الإعلام فى كل أنحاء الدنيا ، فيعلوا صوهم ويزداد نفوذهـم ، يبثون آراءهم ومعتقداهم بين البشر فى كل مكان . جعلهم الله أكثر نفيرا وأعلى صوتا .

كان كلام الله عز وجل عنهم ، فى تقويتهم وإمدادهم بالمال والبنين وعلو الصوت فوق كـل صـوت ، مقدمة لوعد المرّة الثانية التى وعدها الله فى كتابه الكريم بأن يدخل المؤمنون القدس مرّة أخرى ويهدموا ماعمله اليهود ، ويذلهم الله عز وجل نتيجة إفسادهم فى الأرض . ويقـول الله فى كـتابه الكريم فى سورة الإسراء أيضًا : ١٠٤ ﴿ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾ « صدق الله العظيم » .

إيمانى كمسلم ، يدعونى إلى الربط بين الآيات الخاصة بوعد الآخرة فى سورة الإسراء . إن تحقيـق وعد الآخرة – وهو واقع لامحالة ، فالله قدّره وقائله – لابد وأن يحدث عندما يأتى الله بـاليهود جميعا إلى الأرض التى اغتصبوها ، ليقيموا بها هيكلهم ومعبدهم – مسجدهم – وبعد أن أمدهم الله بالمال والبنين وجعلهم أكثر نفيرا .

ماذا نفعل كمسلمين ومسيحيين ؟

يعـتقد اليهود أن المرّة الثانية هى حرب ذريّة لا تبقى ولاتذر سوى ١٤٤ ألف يهودى يتـبعون المسيّح المخلص ، الذى يعيد السلام إلى الأرض بعد إفناء كل من هو ليس بيهودى . فالله سبحانه وتعالى ، أورد فى التوراة الأصلية التى أنزلت على موسى عليه السلام هذا القدر ،

مثـــلما أورده فى القـــرآن الكريم ، بعلوهـم مرتين وإفسادهم مرتين وأنهم سوف يتلقوا عقاب ربّهـــم ، شديدا فى الأولى ، وهى التى حدثت . أما الثانية ، فإن الله بعزته لم يوضح لنا كيفية دخولــنا المسجد إن شاء الله . هل هى الحرب ضرورة ؟ أم أن الله بعزته وجلاله ، ترك لنا أن نتدبر أمرنا فى أن نظهر الوجه القبيح لليهود وأن نهدم كل ما خططوا له وكل ما فعلوه ؟

أتصور أن الله سبحانه وتعالى – وله العلم وحده – ترك لنا الخيار ، لكن أمره شىء واقع لايقـــبل النقاش والجدل . سوف ندخل المسجد إن شاء الله كما دخلناه أول مرة وسوف نهدم كل ذلك العلوّ اليهودى ، تلك حقيقة غير قابلة للنقاش والبحث ، فهى ذكر من عند الله خالق الكون فى كتاب لايضل أبدا .

ماهو الخيار إذن أمام المسلمين ؟

إنـــه العودة إلى الدين . والابتعاد عن كل مانهى الله عنه فى كتابه الكريم وفى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

نتعلم من دروس التاريخ الذى مررنا عليه مرّ الكرام ، أن لانركن إلى الفرقة فى المعتقدات باتـــباع الملل والطرائق ، بل إيمان مطلق بالله عز وجل ، وبرسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، وانـــتهاج خلق أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام . لا نغالى فى ديننا ، بل نتبع أصوله ونواكب العالم تقدما وعلما وفنا ، فلقد نحت العالم حضارته الحديثة من علوم المسلمين .

نـــتقرب مـــن النصـــارى ، أكثر الناس مودّة للذين آمنوا – وليس للمسلم أن يناقض ما يقوله ربّ العزةّ فى محكم آياته أبدا – فنحن لانعلم كبشر ما فى القلوب ، الله وحده يكشف ستر ما تخفى الصدور . وفى هذا المجال ، فإننى أناشد أقباط مصر ، أن يفضحوا ما قام به اليهود مـــن مذابح بين المسيحيين ، وما اقترفوه للوقيعة بينهم ، والوقيعة بينهم وبين المسلمين على مرّ العصـــور . وأشيد هنا بالأب الجليل شنودة ، رئيس الكنيسة القبطية المصرية الذى رفض حج النصارى إلى كنيسة العذراء بالقدس حتى تعود مدينة الله الشريفة إلى المسلمين والنصارى مرّة أخرى .

علينا جميعا كمؤمنين أن نوقف الفساد فى الأرض ، بالبدء بأنفسنا فيفشل اليهود فى تحقيق أحلامهم . اللهم قد بلغت . اللهم فاشهد يا أرحم الراحمين .

والحمـــد لله رب العـــالمين والصـــلاة والسلام على محمد رسول الله خاتم الأنبياء وسيد المرسلين ، على أن أعاننى على إنهاء هذا الكتاب .

★ ★ ★

مراجع الكتاب

١ - القرآن الكريم

٢ - (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم) محمد فؤاد عبد الباقي ـــ دار الحديث للنشر - القاهرة .

٣ - (التاريخ اليهودى العام) - د. صابر طعيمة - دار الجيل - بيروت .

٤ - (المسيحية وإسرائيل) - البابا شنودة الثالث - مطابع الأهرام التجارية - القاهرة .

٥ - (مختصـــر دراســـة التاريخ) - أرنولد توينبى . ترجمة فؤاد محمد شبل - لجنة التأليف والترجمة والنشر : جامعة الدول العربية .

٦ - (مصر الفرعونية) - الدكتور أحمد فخرى - مكتبة الأنجلو المصرية : القاهرة .

٧ - (وصف مصر) تأليف علماء الحملة الفرنسية ترجمة : زهير الشايب : دار الشايب للنشر القاهرة .

٨ - (الرحيق المختوم) - لصفى الدين المباركفورى - دار الريان للتراث - القاهرة .

٩ - (المبعوثون إلى الأرض) - للمؤلف - توزيع الأهرام .

١٠ - (قصص الأنبياء) - للأمام أبى الفداء ابن كثير - مطابع الإخوان - جدة .

١١ - (الفيل والبيت العتيق) - للمؤلف - دار الزهراء للأعلام العربى - القاهرة .

١٢ - (اليهود أعداء محمد صلى الله عليه وسلم) للمؤلف - توزيع الأهرام .

١٣ - (السيرة النبوية) لابن هشام - دار الريان للتراث - القاهرة .

١٤ - (محمد فى التوراة والإنجيل) إبراهيم خليل أحمد - دار المنار - القاهرة .

١٥ - (تاريخ الخلفاء) للإمام جلال الدين السيوطى - دار الفكر - بيروت .

١٦ - (مجلة الوعى الإسلامى) وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت .

١٧ - (البداية و النهاية) لابن كثير دار الحديث للنشر - القاهرة .

١٨ - (أطلس تاريخ الإسلام) - دكتور حسين مؤنس - الزهراء للإعلام العربى .

١٩ - (اليهـــود فى مصـــر منـــذ الفتح الإسلامى حتى الغزو العثمانى) - د. قاسم عبده قاسم - دار الفكر للدراسات والنشر - القاهرة .

٢٠ - (الصهيونية وتركيا) - د. ياشار قوطلى آى - ترجمة د. أحمد فؤاد متولى - الزهراء للإعلام العربى - القاهرة .

٢١ - (مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية) - محمد عبد الله عنان - الهيئة العامة للكتاب القاهرة .

٢٢ - (اليهود تاريخا وعقيدة) - د. كامل سعفان - دار الاعتصام - القاهرة .
٢٣ - (تفسير القرآن العظيم) - للإمام ابن كثير - دار الحديث للنشر - القاهرة .
٢٤ - (يهود اليوم هم يأجوج ومأجوج) - فهد سالم - دار الإشعاع للطباعة والنشر - القاهرة .
٢٥ - (حكومة العالم الخفية) - شيريب سبيريدوفيتش - ترجمة مأمون سعيد - دار النفائس - بيروت .
٢٦ - (القبيلة الثالثة عشر و يهود اليوم) - أرثر كيستلر - ترجمة أحمد نجيب هاشم - الهيئة العامة للكتاب - القاهرة .
٢٧ - (الإسلام الفاتح) - د. حسين مؤنس - الزهراء للإعلام العربى .
٢٨ - (رسالة ابن فضلان) - تحقيق د. سامى الدهان - دار صادر - بيروت .
٢٩ - (اليهود أنثروبولوجيا) - د. جمال حمدان - الهيئة العامة للكتاب - القاهرة .
٣٠ - (جامع الأحاديث) للإمام السيوطى - مطبعة خطاب - القاهرة .
٣١ - (مختصر صحيح البخارى) - تحقيق عماد عامر - دار الحديث - القاهرة .
٣٢ - (تاريخ الأمم والملوك) لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى - دار الكتب العلمية - بيروت .
٣٣ - (الماسونية العالمية وموقفها من الإنسان والأديان) - د. عابد منصور عابد - مطبعة الأمانة - القاهرة
٣٤ - (اليد الخفية) - د. عبد الوهاب المسيرى - دار الشروق - القاهرة .
٣٥ - (تسعة عشر ملكا) - حسين ناجى محيى الدين - الزهراء للإعلام العربى .
٣٦ - (المنجد فى اللغة والإعلام) - دار المشرق - بيروت .
٣٧ - (من اليهودية إلى الصهيونية) - د. أسعد الحمرانى - دار النفائس - بيروت .
٣٨ - (وثائق الحروب الصليبية) - محمد ماهر حمادة - مؤسسة الرسالة - بيروت .
٣٩ - (حياة عثمان) - محمود شلبى - دار الجيل - بيروت .
٤٠ - (المؤامرات الخفية ضد الإسلام والمسيحية) - د. أحمد محمد عوف - الزهراء للإعلام العربى .
٤١ - (تلبيس إبليس) - للأمام أبى الفرج بن الجوزى - دار الحديث - القاهرة .
٤٢ - (الفرق بين الفرق) - للإمام عبد الظاهر التميمى - المكتبة المصرية - بيروت .
٤٣ - (القوى السياسية فى كوت الأحساء) - د. يوسف جعفر سعادة - البحرين .
٤٤ - (جريدة الأهرام) المصرية - أعداد ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ مايو ١٩٩٩ .
٤٥ - (التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان لها من أخبار) لابن غلبون - مكتبة النور - طرابلس ليبيا .
٤٦ - (اليهود فى المغرب) - ماهر سمك - دار الحرية للصحافة والطباعة والنشر - القاهرة .

٤٧ – (فتح المغرب) د. حسين مؤنس – مكتبة القاهرة – القاهرة .
٤٨ – (الإســـلام فى المغرب والأندلس) – أ. ليفى بروفنسال – ترجمة السيد محمود عبد العزيز سالم وآخرين – مؤسسة شباب الجامعة – الإسكندرية .
٤٩ – (قراءة فى وثائق البهائية) د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) – مركز الأهرام للترجمة والنشر .
٥٠ – (بين البهائية والماسونية نسب) – مجمع البحوث الإسلامية – الأزهر الشريف .
٥١ – (بيان للناس) – الأزهر الشريف .
٥٢ – (النبوءة والسياسية) – جريس هالسل – ترجمة محمد السماك – دار الشروق .
٥٣ – (أطلس التاريخ الأفريقى) – كولين ماكيفيدى – ترجمة : مختار السويفى – الهيئة العامة للكتاب .
٥٤ – (أفـــريقيا القديمـــة وإعادة اكتشافها) – باسيل دافيدسون – ترجمة نبيل بدر وسعد زغلول – الدار القومية للطباعة والنشر – القاهرة .
(55)OMAN AND EAST AFRICA : AHMED M. EL MAMORI - LANCERS - NEW DELHI
٥٦ – (الموسوعة الفلسطينية) – منظمة التحرير الفلسطينية – دمشق .
٥٧ – (عالم الإسلام) – د. حسين مؤنس – الزهراء للإعلام العربى .
٥٨ – (وتذكروا من الأندلس الإبادة) – أحمد رائف – الزهراء للإعلام العربى .
٥٩ – (صحيح مسلم) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى – دار الحديث – القاهرة .
٦٠ – (جذور الحركة الإسلامية فى تركيا) – مصطفى أوغلو – ترجمة حسن بيومى : الزهراء للإعلام العربى – القاهرة .
٦١ – (دائرة المعارف الإسلامية) – دار الشعب – القاهرة .
٦٢ – (حكاية أتاتورك والإسلام) – عبد الحميد الكاتب – كتاب أخبار اليوم – القاهرة .
٦٣ – (تاريخ الدولة العثمانية) إشراف : روبير مانتران – ترجمة بشير السباعى – دار الفكر للدراسات – القاهرة .
64- THE TRUTH ABOUT THE TALMUD: MICHEAL A. HOFFMAN II AND ALAN R. CRITCHLEY IDAHO U.S.A
٦٥ – (تاريخ عجائب الآثار فى التراجم والأخبار) للعلامه الشيخ عبد الرحمن الجبرتى – دار الجيل – بيروت.
٦٦ – (الفقية والسلطان) وجيه الكوثرانى – المركز الدولى للنشر والترجمة – القاهرة .
٦٧ – (عصر محمد على) عبد الرحمن الرافعى – دار المعارف – القاهرة .

٦٨ – (تـاريخ أوروبـا فى العصـر الحديث) هربرت فيشر – ترجمة أحمد نجيب هاشم ووديع الضبع ، دار المعارف – القاهرة .

٦٩ – (الأسـاطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية) روجيه جارودى – ترجمة محمد هشام – دار الشروق – القاهرة .

70- THE JEWISH MENTALITY:
MICHEAL A. HOFFMAN II- IDAHO-U.S.A

71- THE RESCUE OF THE PORTOGUESE MARRANOS :
DAVID AUGUSTO CANELO : BELMONT PORTUGAL

72- A BIOGRAPHY OF CAPTAIN BARROS BASTO : THE APOSTLE OF THE MARRANOS BEN ROSH PORTO PORTUGAL

73- HEBREWS OF THE PORTUGESE NATION CONVERSOS AND COMMUNITY IN EARLY MODERN AMESTERDAM BODIAN MIRIAM BLOOMINGTON INDIANA U.S.A.

٧٤ – (مجلة القوات المسلحة) – العدد رقم ٤٢١ سنة ١٩٦٤ – القاهرة .

٧٥ – جريدة (الأهرام) – العدد الصادر بتاريخ ١٦ يناير ١٩٩٩ – القاهرة .

٧٦ – (شخصية مصر) – د. جمال حمدان – دار الهلال – القاهرة .

٧٧ – (عصر إسماعيل) – عبد الرحمن الرافعى – دار المعارف – القاهرة .

٧٨ – (قوة اليهود فى أمريكا) – جوناثان جولدبرج – ترجمة : نمال الشريف – دار الهلال – القاهرة .

79- FINDING THE JEWS OF TIMBUKTU SAMANTHA M . KLEIN
– تـرجمة عـن الفرنسية بجريدة لربيليكان المالية – منشورة بواسطة مؤسسة (كلنا) اليهودية فى نيويورك على الإنترنت :
(http : // www . ubalt . edu / kulanu / finding the jews of Timbuk tu .html .

80- THE RENEWAL OF JEWISH IDENTITY IN TIMBUKTU
BY: KAREN PRIMACK – وهو بحث نشرته مؤسسة (كلنا) اليهودية بنيويورك
على الإنترنت : http: // www. Ubalt .edu /kulanu /timbuktu . html

- SLAVERY AND THE JEWS BY : WINTHROP D. JORDAN THE ATLANTIC MONTHLY U.S.A

صدر للمؤلف

(١) لن يشقى وحده (قصص قصيرة)	توزيع دار الحديث - القاهرة
(٢) دموع على وجه أسود (قصص قصيرة)	توزيع دار الحديث - القاهرة
(٣) المبعوثون إلى الأرض ـــ قصص الأنبياء عليهم السلام	توزيع الأهرام - القاهرة
(٤) ديوان شعر (من وحى الأنبياء)	المؤلف - القاهرة
(٥) قصص الأنبياء للنشء	دار الحديث - القاهرة
(٦) الفيل والبيت العتيق	دار الزهراء للإعلام العربى - القاهرة
(٧) زمزم المنهل العذب	دار الزهراء للإعلام العربى - القاهرة
(٨) حامل حقيبة دبلوماسية	الهيئة العامة للكتاب - القاهرة
(٩) اليهود أعداء محمد صلى الله عليه وسلم	توزيع الأهرام - القاهرة
(١٠) رجع بخفىّ حنين (قصص قصيرة)	لونجمانز للنشر - القاهرة
(١١) سعادة السفير	لونجمانز للنشر - القاهرة

المحتويات

عـــربيـــة للطباعة والنشر
7 & 10 شارع السلام أرض اللواء المهندسين
تليفون : 3256098 - 3251043

المسلمون والمسيحيون
تحت الحصار اليهودى

المصريون القدماء طردوا الإسرائيليين من مصر حوالى ١٢٠٠ ق.م. وطهروا وطنهم من عبث بنى إسرائيل . والمصريون القدماء لم يظلموا بنى إسرائيل ولم يتجنوا عليهم ، إنما لاحظوا فى مسلكهم لؤم الطبع وسوء الخلق والانحراف عن المروءة ، والبعد عن النبل بعد أن سمحوا لهم أن يصيبوا من رزق أرضهم ويرعوا أغنامهم وأنعامهم وماشيتهم ، ولكنهم لم يراعوا حرمة الضيافة ، فطردوهم من هذا الوادى الخصيب .

والمصريون القدماء لم ينفردوا بين أمم الدنيا بفعلتهم هذه ، وإنما كان شأنهم كشأن كثير من الأمم .

هؤلاء اليهود الذين وفدوا إلى فلسطين من ثلاثين دولة ويتحدثون سبعين لغة (٧٠) وبعضهم عدو لبعض نظرًا للخلافات الكثيرة التى تسود عادة مثل هذا الخليط من المجتمعات ، ومن الأقوال المأثورة التى يذكرها مؤرخوا إسرائيل المعاصرة عبارة الجندى الإسرائيلى المسمى (روفائيل) إذ يقول : لولا اشتباكنا مع العرب فى حرب لاشتبك اليهود مع اليهود . وتلك فضائل بنى إسرائيل شعب الله المختار أولئك هم صفوة البشر كما يدعون !!

هذا الكتاب له منهج بحث وبه كم هائل من المعلومات قد يستفيد منها رجل التاريخ ، ورجل الحرب ، وصاحب السياسة ، ورجل الدين ورجل الأدب قد يستفيد منها الإنسان عامة فى الإحاطة بمسلك اليهود خلال مراحل مختلفة من التاريخ والمرتبطة بعلاقتهم مع المسلمين ، والكتاب يوضح أن حسن النية [illegible] وحسن التقدير شىء آخر والمرء قد تحسن نيته ويصح عزمه ولكنه قد يخطىء ال[illegible] كثيرًا فيما يطلب من أمور الحياة .

الن[illegible]

